المستعربون الإسبان

فى القرن التاسع عشر



المشروع القومى للترجمة

تأليف : مانويلا مانثاناريس

ترجمة وتقديم : جمال عبدالرحمن

406

المشروع القومى للترجمة

المستعربون الإسبان

فى القرن التاسع عشر

تأليف : مانويلا مانثاناريس

ترجمة وتقديم : جمال عبد الرحمن

المجلس الأعلى للثقافة

٢٠٠٣

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٤٠٦
- المستعربون الإسبان
  فى القرن التاسع عشر
- مانويلا مانثا ناريس
- جمال عبد الرحمن
- الطبعة الأولى ٢٠٠٣

هذه ترجمة لكتاب

Arabistas españoles del siglo XIX

Manuela Manzanares de Cirre

Instituto Hispano - Arabe de Cultura

Madrid , 1970

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House. El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 **Fax** : 7358084 .

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

تقديم

قرأت هذا الكتاب لأول مرة منذ ما يقرب من عشرين عاما ، وقلت حينها إنه واحد من الكتب المتميزة التى لا يصح أن تخلو منها مكتبة أحدنا ، ثم مرت السنوات وجرفنى تيار البحث العلمى إلى ميدان العلاقة بين إسبانيا والحضارة العربية الإسلامية وصورة المسلم كما يقدمها الأدب الإسلامى القديم والحديث ، عندها فطنت إلى أن هذا الكتاب ليس مجرد عمل متميز ؛ وإنما له أهمية قصوى بالنسبة للمهتمين بهذه المجالات .

هذا الكتاب – وإن كان عنوانه "المستعربون الإسبان فى القرن التاسع عشر" – يعالج مسيرة الاستعراب الإسبانى منذ بدايتها وحتى السنوات الأولى من القرن العشرين ، و يمهد الطريق أمام الباحثين الذين يريدون التصدى لموضوع الدراسات العربية فى إسبانيا طوال القرن العشرين وخلال السنوات الحالية ، وأظن أننا فى حاجة إلى أن يقوم أحدنا بمثل هذه الدراسات ، فمما لاشك فيه أن جهود المستعربين تؤثر تأثيرا واضحا فى تقديم صورة المسلم فى الأدب .

كتاب مانويلا مانثاناريس يحدثنا عما يمكن أن نسميه ملحمة الاستعراب فى القرن التاسع عشر ، فقد بذل مستعربو ذلك القرن – كوندى، وغايا نغوس، وسيرافين كالديرون على وجه التحديد – جهوداً جبارة من أجل تأسيس حركة الاستعراب العلمى فى بلدهم. لقد ضحى هؤلاء الرجال بالجهد والمال من أجل هذه المهمة الجليلة : مهمة التعرف على ثقافة الآخر التى كانت – ولا تزال – تكون جزءا من مكونات الثقافة الإسبانية .

والكتاب يلقى الضوء على قضية مهمة هى قضية الأدب الألخميادو ، وهو الأدب الذى كتبه مسلمو الأندلس بعد سقوط دولتهم ، كتبوه بالإسبانية لكن بحروف عربية ،

مما جعل دراسته تستحيل على من لا يجيد العربية والإسبانية معا. كانت الريادة فى مجال دراسة الأدب الألخميادو من نصيب مستعربى القرن التاسع عشر ، فهم الذين أنفقوا من وقتهم وجهدهم ومالهم الكثير من أجل الحصول على مخطوطات ذلك الأدب ثم على نشره ودراسته ، كل ذلك مهد الطريق أمام المهتمين بهذه الدراسات فى الوقت الحاضر من أمثال غاليس دى فوينتيس وغيره.

لقد تابع المهتمون بالحضارة العربية الإسلامية و أثرها فى إسبانيا ذلك الجدل الذى دار فى أوائل القرن العشرين بين أميريكو كاسترو وسانشيث البورنوث ؛ فالأول يرى أن إسبانيا مدينة لحضارتنا من عدة جوانب ، والثانى يرى أن المسلمين هم السبب الذى أدى إلى تخلف إسبانيا عن بقية بلدان أوروبا . والمطالع لكتاب مانويلا مانثاناريس يكتشف أن الجدل الفكرى لم ينشأ فى القرن العشرين بل فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ولنا أن نضيف هنا أن الجدل لم ينته حتى الآن ؛ فمنذ أقل من ثلاثة أعوام نشر أحدهم كتابا يحاول فيه أن ينفى أى أثر للحضارة الإسلامية فى إسبانيا ، ولا نظن أن يقف الأمر عند هذا الحد ، بل نتوقع صدور المزيد والمزيد من الدراسات حول هذا الموضوع الحيوى بالنسبة لتاريخ وثقافة إسبانيا ، هذا يعنى ببساطة أننا لسنا إزاء كتاب قديم عفا عليه الزمن ، بل كتاب يعالج – بين أمور أخرى – قضية متجددة .

والكتاب يعالج قضية أخرى معاصرة : إن الجميع يتحدثون الآن عن صورة المسلم كما يراها الأدب الغربى ، ومن يتصدى لدراسة صورة المسلم فى الأدب الإسبانى على وجه التحديد سيدرك على الفور ذلك التحول الهائل الذى طرأ عليها . لقد صوّر أدب العصور الوسطى وأدب العصر الذهبى فى إسبانيا المسلم على أنه يتصف بكل نقيصة. كان المسلم آنذاك بالنسبة لبعض الكتاب شخصا مجهولا ، ولم يعرفه الإسبان فى القرنين السادس عشر والسابع عشر إلا فى ميدان الحروب ، فوصموه – عمدا أو جهلا بحقيقته – بكل الرذائل التى يمكن أن يتصف بها بشر ، أما عندما بدأ المستعربون فى دراسة التراث العربى الإسلامى فقد أدركوا أن المسلم – وإن كان عدوا فى تلك السنوات – صانع حضارة وصاحب فضل على أوروبا وذو حس مرهف ، هذا

"الاكتشاف" انعكس – بشكل أو بآخر – على صورة المسلم التى تظهر فى الأدب ؛ فقد رأينا فى السنوات الأخيرة من القرن العشرين – ولا زلنا نرى– أدبا يقدم وجهة النظر الأخرى ، وجهة نظر المسلم فى الأحداث التى عاشتها شبه جزيرة أيبريا ، هذا الأدب يظهر فيه المسلم بشكل موضوعى ، وهذا اتجاه جديد ومحمود فى أدب إسبانيا.

هناك قصة صغيرة تتعلق بهذا الجانب الأخير ، فحين وقعت حوادث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ فى أمريكا كنت فى مهمة عمل فى مدريد ولمست بنفسى ذلك التغيير الهائل فى طريقة التعامل مع العربى أو المسلم أو الشرقى فى دول أوربا. فى أعقاب ذلك الحادث لم يكن أحد فى وسائل الإعلام الغربية يجرؤ على معارضة الاتجاه العام السائد هناك: المسلم والإرهابى مترادفان. لم يخرج على الإجماع فى إسبانيا إلا أديب عاش بين العرب والمسلمين وعرف عنهم الكثير. خرج خوان غويتيسولو على الإجماع ، وسبح ضد التيار وقال فى شجاعة إنه من الخطأ الفادح أن تتخذ أمريكا ما حدث ذريعة للتغاضى عما يحدث من ظلم للشعبين الفلسطينى والشيشانى ، وإنه من الخطأ الفادح كذلك أن يقارن ياسر عرفات بأسامة بن لادن وأن يستمر حصار الشعب العراقى ، وقال إن الإرهاب ليس حكرا على من يعتنقون الدين الإسلامى ، وإن هناك إرهابيين ليسوا مسلمين ، وحذر أمريكا من الانتقام من دولة ما قد يثبت فيما بعد أنها لا علاقة لها بما حدث. قال غويتيسولو كل ذلك بعد أسبوع واحد من حادثة سبتمبر. نعم لقد ردد هذا الكلام مفكرون آخرون فيما بعد ، لكن البوح بذلك فى أوربا وبعد أسبوع واحد كان شجاعة بكل المقاييس إن لم يكن تهورا.

أعود مرة أخرى إلى أحداث سبتمبر ، فقد أسهمت بشكل أو بآخر فى تأخر ظهور هذا الكتاب. لقد أصبح الرعب يسيطر على الجميع فى أمريكا مما عرف حينها باسم الجمرة الخبيثة ، وكان كل خطاب صادر من دولة عربية أو إسلامية يفحص جيدا ، وكان ذلك يؤدى إلى تأخر وصول الرسائل ؛ لهذا كانت مراسلتى مع المؤلفة – التى كانت ولا تزال تقيم فى نيويورك– تمر عبر إسبانيا حتى لا تستغرق وقتا أطول.

أظن أن الجهد المبذول فى الترجمة ضئيل إذا ما قورن بأهمية الكتاب ، خاصة وأن المؤلفة واحدة من أبرز المهتمين بالدراسات العربية فى إسبانيا ، فقد نشرت –

بالإضافة إلى هذا الكتاب - دراسات عن الأدب الألخميادو وعن الأشعار ذات الطابع الدينى التى كتبها مسلمو الأندلس ، وعن كتاب السمرقندى ، وعن مقدمة ابن خلدون ، كما كتبت تعليقات حول كتابى ابن قزمان والموشحة وعروض الشعر الإسبانى لغارثيا غوميث ، وحول كتاب ملحمة المغازى لغاليس دى فوينتيس ، وحول دراسات عن الموريسكيين فى تونس لميكيل دى إيبالثا.

وفى النهاية أشكر للمؤلفة تعاونها الصادق وحرصها على أن يخرج هذا العمل فى أحسن صورة ومتابعتها المستمرة لمراحل نشر الكتاب ، فبرغم بلوغها الثالثة والتسعين إلا أنها تبارى الشباب من الباحثين من حيث المثابرة والرغبة فى الوصول إلى المعرفة ، لا يفوتنى كذلك أن أتوجه بالشكر العميق إلى الصديق الكريم فيرناندو دى أجريدا الذى بذل من وقته ومن جهده الكثير حتى يخرج هذا العمل إلى حيز الوجود.

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

جمال عبد الرحمن

مدريد - القاهرة : سبتمبر ٢٠٠١

مقدمة

يواصل المعهد الإسباني العربي للثقافة بنشره كتاب " المستعربون الإسبان فى القرن التاسع عشر" مهمة كان قد بدأها عندما نشر كتاب " الخط الكوفى فى إسبانيا وتطوره" لأوكانيا خيمينث.

إن تقديم كتاب مانويلا مانثاناريس دى ثيرى عمل شاق ومثير ويتضمن مخاطرة. الصفة الأولى واضحة جداً، فرغم أننى مكثت سنوات عديدة فى جمع بيانات عن الموضوع إلا أننى لا أزعم أن علمى يضارع علم المؤلفة ، ثم إن تقديم الكتاب يتضمن مخاطرة أيضًا لأنه يمثل مشكلةً أنا ضالع فيها . هناك مجموعة محدودة جداً من الإسبان يعيشون الاستعراب كقضية يتساءلون فيها - فرادى أو جماعات - ويبحثون عن حل؛ أخشى أن يحجب عنى هذا " الانطباع " أو " التورط" وضوح الرؤية والقدرة على التحليل رغم أننى حاولت تفادى العقبتين.

هذا كتاب عن الاستعراب الإسبانى خلال مرحلة معينة، الإعلان نفسه مثير وهام، لكن ربما كان من المناسب أو من الضرورى أن نتبع تعريفًا ما. يقول معجم أكاديمية اللغة إن المستعرب هو " الشخص الذى يدرس اللغة العربية أو الأدب العربى" ، وهذا يُحد كثيراً من محيط الاستعراب . سنستعمل كلمة " مستعرب" فى دائرة أوسع، دون أن نقصره على المجال اللغوى، ونقول إن المستعرب هو " الشخص الذى يدرس اللغة العربية أو الأدب العربى أو التاريخ أو أى مجال يتعلق بالحضارة العربية الإسلامية ". المستعربون الإسبان يتميزون - بالإضافة إلى ذلك ، ولأسباب تاريخية - بأن دراساتهم تنصبّ على الإسلام الإسبانى بشكل يكاد يكون مستمراً.

موضوع ما نسميه تاريخ الاستعراب المحلى أثار اهتماما خلال العقدين الأخيرين، وقد تمخض هذا الاهتمام عن إصدارات سأشير إليها وفق الترتيب الزمنى: " الدراسات العربية فى إسبانيا " تأليف كاستيانو تيخيرا (مدريد ١٩٤٧) ، " الاستعراب" فى " معجم تاريخ إسبانيا" تأليف جيبرت فينيث (مدريد ١٩٥٢)، " الدراسات العربية فى أوربا " تأليف ج. فوك (ليبزج ١٩٥٥، ص ٦٥-٢٦٩) " المستشرقون " تأليف ن. عفيفى (القاهرة ١٩٥٨)، "العلاقات الثقافية بين إسبانيا والعالم العربى " تأليف رويث موراليس (مدريد ١٩٦٠)، " الوضع الحالى للدراسات العربية فى إسبانيا" تأليف كورتاباريا بيثيا (١٩٦٦) ، " الاستعراب فى إسبانيا المعاصرة". ، "إسهام فى التأريخ للدراسات العربية فى إسبانيا" تأليف كالداس دى بيسايا (١٩٦٨)، " الدراسات العربية فى مدريد وبرشلونه" تأليف جيبرت فيلنيش (١٩٦٨)، " المستعربون" فى " موسوعة بروليبير" تأليف ب. ش (مدريد ١٩٧١)، "الإسلام والعرب فى المدرسة الإسبانية" تأليف ح . ت مونرو (ليدن ١٩٧٠) .

ربما كان من المستحيل أن أحاول أن أقدم هنا صورة لتاريخ الاستعراب الإسبانى، لكن ربما كان من المناسب أن نوجز البيانات المعروفة ، هذا سيساعد فى وضع كتاب مانويلا مانثاناريس فى المكان الذى يستحقه، وسيساهم فى أن تتكون لدى القارئ فكرة عن أهميته .

بعد غزو الجيش الإسلامى لشبه الجزيرة فى عام ٧١١ بدأت مرحلة أولى " للاستعراب " بمعنى أن مجموعة من الناس - أهل البلاد الأصليين - درسوا لغة العرب وثقافتهم. لندع جانبًا المسلمين الجدد - الموالى - ، فهؤلاء لم يتعلموا شكلاً جديداً من الحضارة بل اندمجوا وشاركوا فى صياغة هذه الحضارة ، لكن لم يكن هذا هو حال الجميع، بل إن البعض - من المغامرة تحديد عددهم ولو بشكل تقريبى نظراً لنقص البيانات - حافظوا على لغتهم وعاداتهم ودينهم ، هؤلاء هم النصارى ، هذه المجموعة لم تكن مهمشة، بل إنها عاشت - بإرادتها أو رغمًا عنها - فى إطار نمط الحضارة العربية الإسلامية ، هؤلاء هم المستعربون arabizados ، وهذا هو أصل كلمة مستعرب .

هذا التأثير كان عميقًا طبقًا لما يرويه المستعربون أنفسهم، حتى لو وضعنا فى الاعتبار المبالغة والدعاية الناتجة عن أى رد فعل فى القرن التاسع. يعبّر الفارو دى كوردوبا عن أسفه الشديد حين يتساءل " من منا الآن على وعى يمكّنه من دراسة الكتاب المقدس والكتب المفسرة له باللغة اللاتينية؟ من منا يطبق تعاليم الإنجيل والرسل بحماس؟ ألا نرى أن الشباب المسيحيين المفعمين بالحيوية والجمال والفصاحة قد تفقهوا فى اللغة العربية ، وأنهم يهرولون بلا تعقل خلف الكتب الكلدانية ويدرسونها بنهم ، وأنهم يجدون متعة فى دراسة هذه الكتب دون غيرها ولا يتحدثون إلا عنها ، وأنهم – يا للأسف أيها المسيحيون ! – يجهلون شريعتهم ولغتهم الأصلية؟ وهكذا لا نكاد نجد واحداً من بين كل ألف مسيحى يستطيع كتابة رسالة تحية قصيرة إلى أخيه، لكننا نجد الكثيرين يتحدثون الكلدانية بفصاحة. إنهم يقرضون الشعر بالعربية بشكل أفضل من العرب أنفسهم" .

هذا الإلمام باللغة العربية والعلوم المكتوبة بها هو الذى جعل من الممكن تأسيس مراكز ثقافية على يد النصارى بعد نزوحهم على فترات مختلفة . أبرز هذه المراكز الثقافية هو دير ريبول الذى درس فيه البابا سيلفسترى الثانى ، ومركز آخر بالقرب من ليون ، بالإضافة إلى مركز طليطلة. هذه المدينة احتلها المسيحيون عام ١٠٨٥ ، وكنتيجة لذلك نزح النصارى إليها { راجع دراسة غونثاليث بالنثيا: نصارى طليطلة فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر، مدريد ٢٦– ١٩٣٠ } ، أضف إلى ذلك ما حدث من تدعيم للثقافة العربية فى طليطلة بعد نزوح اليهود من الأندلس وهجرتهم إليها بعد وصول الموحدين الذين عُرفوا بتشددهم، هكذا تأسست مدرسة المستعربين فى طليطلة. اعتباراً من هذا الوقت يمكن الحديث عن وجود مركز حضارى ذى تأثير وذى سمعة علمية وأدبية، إذ كان الناس يفدون إليه طلبًا للعلم.

منذ عصر ألفونسو السابع وتحت رعاية الأسقف رايموندو (١١٣٠– ١١٥٠) كان المسلمون والمسيحيون واليهود يترجمون أعمال ابن سينا والغزالى ، ودراسات فى الفلك والطب وقصصا، وقد عُرف الفلاسفة اليونانيون – خاصة أرسطو – بفضل الترجمات العربية ، وهكذا أصبح ممكنًا الإلمام بفكر أرسطو نتيجة لدراسات الغزالى وابن سينا

وابن رشد ، وهكذا تأسست مدرسة فلسفية جديدة: فلسفة ابن رشد التى تمخض عنها موقف توماس الأكوينى الخاص بالعلاقة بين العقل والدين .

ليس من الغريب إذن قرار ابن عبدون (أشبيلية فى منتصف القرن الثانى عشر رقم ٢٠٦): "لا يجب أن تباع كتب العلوم – إلا كتب علوم ديانتهم – إلى النصارى واليهود لأنهم يترجمون الكتب العلمية وينسبونها إلى أنفسهم أو إلى أساقفتهم مع أن مؤلفيها مسلمون " . ليس من الغريب أن يكون هذا القرار صدىً لرأى الأندلسيين فى مدرسة المترجمين فى طليطلة. عموماً فإن صيت هذا المركز الحضارى قد وصل إلى العديد من الأجانب فقدموا إلى طليطلة: جيراردو دى كريمونا، وهيرمان الألمانى، وميغيل سكوت، روبرتو كيتون الذى ترجم القرآن إلى اللاتينية عام ١١٤٣ بتكليف من بدرو راهب كلونى ، وفى القرن الثالث عشر قام ماركوس دى توليدو بترجمة القرآن بتكليف من الأسقف رودريغو خيمينيث دى رادا.

لم يكتف رودريغو خيمينيث دى رادا بالإعداد والمشاركة الفعالة فى معركة العقاب ، بل وضع كتاب " تاريخ العرب" الذى يشكل أحد المصادر الرئيسية لمعرفة الأندلس منذ وصول المسلمين وحتى غزو المرابطين لها، ويُعتبر رودريغو ممثِّلاً لفكر عصره ، إذ أن كتابه " تاريخ العرب" عبارة عن تلخيص أو ترجمة لكتاب الرازى كما أثبت أ. فيرى ("مصدر جديد لتاريخ إسبانيا الإسلامية" ١٩٦٧) وهذا أمر غريب، خاصة إذا وضعنا فى الاعتبار عداءه الشديد للإسلام.

تميزت إسبانيا على مدى تاريخها – فى العصر الوسيط والحديث والمعاصر – بتطلعاتها الثقافية وبميلها إلى التعصب والغيرة على الدين أو – بمعنى آخر – بدرجات متفاوتة من عدم التسامح . وخلال القرن الثالث عشر كانت هناك أسباب لقيام حركة استعراب محلية، منها توسيع مجال المعارف العلمية والأدبية ومنها الرغبة فى التبشير. هذه الرغبة فى التبشير أصبح لها مكان الصدارة. الرغبة فى التبشير أيضاً هى التى أدت إلى اهتمام الجماعات الدينية المسيحية بدراسة اللغة العربية والثقافة العربية والدين الإسلامى ، فالذى يدخل مجال الجدل الدينى يجب أن يكون على دراية بثقافة الآخر. هذا بالضبط هو الذى حمل رايموندو مارتين على القيام بدراسات

منها " معجم باللغة العربية " فيرنز ١٨٧١ و " ضد المسلمين واليهود " ، وهذا ما جعل رايموندو لول ينشئ مدرسة لتعليم اللغة العربية للمبشرين في مايوركا عام ١٢٧٥ وقد جعل البابا أونوريو الرابع ينشئ مركزاً للدراسات الشرقية في روما (درس خوليان ريبيرا أثر التصوف الإسلامي على رامون لول) ، يُقال إن لول قد وضع كتاباً بالعربية قبل أن يترجمه إلى اللغة القطالونية – كتاب الوثني والعلماء الثلاثة – ، في هذا الإطار أيضاً يندرج بدرو باسكوال صاحب كتاب " دحض شريعة محمد " ، وأذكر أن الجدل الديني إبان تلك الفترة جذب اهتمام باحثين معاصرين (منهم كاباديلاس " خوان دي سيغوبيا وأول طبعة للقرآن بثلاث لغات " مجلة الأندلس ١٩٤٩ ، والقرني " ماركوس دي توليدو " ، مجلة الأندلس ١٩٥٢ ، دلوب " التبشير المسيحي في إسبانيا الإسلامية " مجلة الأندلس ١٩٥٢ ، سويتمان " الإسلام واللاهوت المسيحي " لندن ١٩٥٥ ، كوتلر " من الذي كان راهب فرنسا؟ " مجلة الأندلس ١٩٦٣ ، تركي " خطاب راهب فرنسا " الأندلس ١٩٦٦ لا غرانخا " جدل ديني في مرسية " مجلة الأندلس ١٩٦٦ ، إيبالثا " التحفة سيرة حياة وجدل إسلامي " برشلونة ١٩٦٧ ، لا غرانخا " معجزات مسيحية في مؤلف جدلي إسلامي " مجلة الأندلس ١٩٦٨ ، إيبالثا : " ملاحظات حول تاريخ مجابهة المسيحية " مجلة أرابيكا ١٩٧١) .

لكن الذي جعل الاستعراب جزءاً من المكون الثقافي الإسباني هو الملك ألفونسو العاشر الذي اتخذ قراراً حاسماً بترجمة أعمال عربية إلى الإسبانية ، إننا ندين بالفضل للملك ألفونسو في ظهور أول ترجمة إسبانية للقرآن ولأعمال ذات تأثير أدبي عظيم مثل " كليلة ودمنة " و " كتاب خدع ومكائد النساء " و " معراج محمد " و " لعبة الشطرنج " وبالإضافة إلى هذه الترجمات فقد استفاد ألفونسو من المعارف الإسلامية عند وضع " كتاب علم الفلك " وكتاب " أغنيات مريم العذراء " . هناك كتب تؤكد أثر الثقافة الشرقية في الثقافة الإسبانية : " الكونت لوكانور " لخوان مانويل ، وكتاب " الطب الطيب " لخوان رويث قسيس إيتا الذي يتحدث أمريكو كاسترو عن تأثره بالثقافة العربية في كتابه " إسبانيا عبر تاريخها " .

فى القرن الخامس عشر عادت من جديد تلك الرغبة القديمة فى التبشير ، وكان يعبر عنها اتجاهان : موقف كل من خوان دى سيغوبيا وتالابيرا من جهة ، وموقف ثيسنيروس من جهة أخرى. ينطلق خوان دى سيغوبيا من نقطة التسامح والتفهم ، وقد تمخض عن ذلك صداقته للمسلمين ، وكان تالابيرا محبوبًا من المسلمين ، وكان بوسعه أن يدخل بمفرده بين صفوفهم أثناء ثورة البيازين وأن يقنعهم بإلقاء السلاح، أما ثيسنيروس فكان يريد أن يفرض التنصير ؛ إذ كان يرى أن " المسلمين يجب أن يُنصروا قسراً" ، وهذا ما كان يتعارض مع روح اتفاقية تسليم غرناطة الموقعة عام ١٤٩١ بل ومع نصوصها الواضحة.

لهذا السبب أمر ثيسنيروس" بأن يحضروا له كل المصاحف والكتب الدينية لأى مؤلف كان ، وعن أى موضوع كان؛ نُفذ الأمر وأحضروا له ما يقرب من خمسة آلاف كتاب باللغة العربية وكانت كتب مجلدة بعناية ، وبعضها كان مزخرفا بالفضة والذهب واللؤلؤ ، وقدرت قيمتها بأكثر من عشرة آلاف دوقية ، وألقيت الكتب كلها فى حريق عام حتى لا يبقى من شريعة محمد أدنى أثر. لم ينقذ من الحريق سوى ثلاثمائة كتاب كانت خاصة بوصفات لعلاج الأمراض وليست بها أخطاء ولا خزعبلات " .

لم يقتصر الأمر على ذلك بل أصدرت السيدة خوانا أمراً ملكيًا بأن يُحضر المواطنون الذين تنصروا حديثًا من مدينة غرناطة ، ومن كل المدن والقرى التابعة لملكتها – خلال خمسين يومًا من الإعلام بهذا الأمر – كل الكتب الإسلامية التى لديهم، سواء كانت فى العقيدة أو فى السُنة أو فى الطب أو فى الفلسفة أو فى التاريخ أو أى كتاب محرر باللغة العربية، وأن تُسلم هذه الكتب إلى القضاة فى المدن والقرى التابعة للملكة حتى يفحص القضاة هذه الكتب بمعرفة أشخاص يجيدون العربية ، ستصادر الكتب الخاصة بالعقيدة والسنة ، ويستطيع المواطنون استعادة الكتب الأخرى التى فحصتها السلطات وسمحت بها... صدر الأمر فى إشبيليه ٢٠ يونيه عام ١٥١١(*) .

(*) راجع كتاب داريو كابانيلاس : " خوان دى سيغوبيا ومشكلة المسلمين " مدريد ١٩٥٢ ،
(راجع كتاب سيمونيت : الكاردينال ثيسنيروس ، ص ٩ – ١٨ ، ٦ – ٤٧) .

بعد هذا الأمر الملكى الشبيه بأمر القسيس ضد مكتبة كيخوتى صدرت طبعة من الإنجيل بعدة لغات.

وخلال القرن السادس عشر ظهر كتاب بدرو دى ألكالا " المعجم العربى بحروف إسبانية" وهو عمل رائع يسبقه فصل عن تعلم اللغة العربية (غرناطة، ١٥٠٥) وهو مرجع أساسي لمن يريد معرفة أصوات ومفردات العربية فى الأندلس. فى ذلك الوقت نُشرت سلسلة كاملة من الكتب عن تاريخ مملكة غرناطة واحتلالها وثورات الموريسكيين: من " تاريخ الملكين الكاثوليكيين" لأندريس بيرنالديس ، " أخبار الملكين الكاثوليكيين" لفيرناندو دى بولغار إلى " حرب غرناطة" لدييغو أورتادو دى مندوثا ، "تاريخ ثورة الموريسكيين وعقابهم" لمارمول دى كارباخال الذى ألف أيضًا كتاب " وصف أفريقيا" وهو كتاب يضارع كتاب ليون الأفريقى.

بهذا ينتهى ما يمكن أن نطلق عليه الاستعراب الإسبانى وهو استعراب أخذ يتضاءل أمام إجراءات محاكم التفتيش. حاول الموريسكيون إظهار أنهم لا يعرفون أى شىء عن لغتهم الأصلية (يراجع كتاب كابانيلاس: " الموريسكى الغرناطى ألونسو ديل كاستيو" غرناطة ١٩٦٥) ، أما الإسبان الذين لم يتلفوا أو يحرقوا الكتب العربية فقد حاولوا أن يبعدوا عن أنفسهم شبهة معرفة اللغة والحضارة العربية. كيف لا يكون الأمر هكذا بعد أن قام الكاردينال ثيسنيروس بإحراق الكتب الإسلامية فى مشهد عام؟ إن هذا الإجراء قد دعمه فيما بعد الأمر الملكى الصادر عام ١٥١١ والذى أشرنا إليه. إن الإنسان التعيس الذى كان يُضبط ومعه كتاب، كان يكتب عليه عبارة "أخشى أن يكون هذا الكتاب مصحفًا لعينًا " ، وكان الشخص الذى يكتب ذلك على حق فيما يفعل ؛ لأن محاكم التفتيش كانت تعتبر ضبط أية كراسة مكتوبة بحروف عربية فى حوزة موريسكى دليلاً على ارتداد هذا الموريسكى عن المسيحية ، وكان هذا كافيًا لدخوله فى قضية شائكة يصعب أن يكون له منها مخرج .

إن ما ذكرناه الآن هو السبب المحزن والحقيقى فى أننا لا نستطيع التحدث عن الاستعراب إلا بعد تلك الفترة بكثير، فى القرن الثامن عشر، أى عندما وصل إلى الحكم أحد أفراد عائلة بوربون وهو كارلوس الثالث. من الغريب جداً أن الاستعراب

الإسباني الحالي وافد من الخارج ؛ لأن الاستعراب المحلي قد اضمحل بفعل الإسبان أنفسهم. نعم، رغم أن ذلك يؤسفنا. هذا الاستعراب الحالي لم يكن نتيجة تطور شيء محلي بل هو مستورد ، رغم أن الوطنية المزيفة تحاول أن تطمس هذه الحقيقة بدلاً من أن تواجه المشكلة وتستخلص منها الدروس وتحاول تصحيح الوضع، هذه النزعة الوطنية المزيفة تحاول أن تقول إن قرنين من انقطاع الدراسات العربية بشكل إرادي لا يمثلان شيئًا، هذا هو سبب ضعف الدراسات العربية لدينا وهي لا تزال ضعيفة لم تتأصل بعد، لأننا ليس لدينا الوعي الكافي بأن الجو العام يعادي الاستعراب. إن الاستعراب لا يثير اهتمامًا بل شفقة ساخرة ، هذا أمر لا ينكره أحد ، ولا يمكن أن ننسى واقعة ذات دلالة عميقة: فعندما أراد كارلوس الثالث تأسيس الدراسات العربية هنا تعين عليه استيراد المعارف والأشخاص من فرنسا، لا لمجرد هوىً في نفسه، بل لضرورة، فلم يكن هناك في إسبانيا مستعربون؛ حينئذٍ أحضر كارلوس الثالث رهبان مارونيين من بينهم ميخائيل الغزيري أمين مكتبة الأسكوريال وصاحب كتاب " المكتبة العربية الإسبانية في الأسكوريال (مدريد- ٦٠- ١٧٧٠) ، و " فهرس المفردات الإسبانية ذات الأصل العربي" (١٧٧١) ومترجم كتابي " الإحاطة" ، و" لمحة " لابن الخطيب . في ذلك الوقت (عام ١٧٥١) ترجم خوسيه أنطونيو بانكيري " كتاب الفلاحة" لابن العوام الأشبيلي، ووضع فرانثيسكو كانييس "القاموس العربي اللاتيني" (مدريد ١٧٨٧) .

من حيث الموضوعات كان الاستعراب الإسباني محليًا بشكل أساسي، فعندما ظهرت بوادر الاستشراق الأوربي في أواخر القرن السابع عشر اتخذ الاستشراق طابعًا رومانسيًا، إنه استشراق للتسلية، نابع من حكايات ألف ليلة وليلة، أما الإسباني فلم ينظر صوب الشرق أبدًا، وباستثناء سيرافين كالديرون " الرومانسي الذي يواصل خط رواية ابن سراج" ، و" تاريخ الثغريين وبني سراج فرسان غرناطة المسلمين" لبيريث دي ايتا ، " قصة العاشقين أو ثمين ودراجة...إلخ" أقول باستثناء سيرافين كالديرون كان للاستعراب الإسباني منذ البداية صفة علمية تاريخية. من نماذج هذا الاتجاه الترجمات التي بدأت مع خوسيه أنطونيو بانكيري عندما ترجم " كتاب الفلاحة "

لابن العوام الإشبيلى عام ١٧٥١، ودراسات خوسيه أنطونيو كوندى ومنها " تاريخ السيطرة العربية فى إسبانيا" (مدريد عام ٢٠- ١٨٢١) كان موقف باسكوال دى غايانغوس يندرج فى إطار الترجمة، فقد كان يعتقد أنه من المبكر كتابة التاريخ، ففضّل ترجمة كتاب المقرى " تاريخ السلالة المحمدية فى إسبانيا" مع تقديم ملاحظات هامشية كثيرة.

هناك خاصية أخرى يتميز بها الإسبان وهى أننا " عشنا " الثقافة العربية، فلا الإنجليز عاشروا الإسلام الهندى أو المصرى، ولا الفرنسيون تأثروا لأن مونتيسكيو ألّف كتاب " خطابات فارسية" أو لأن فولتير ألف كتاب " محمد" أو لأن ماردروس ترجم " ألف ليلة وليلة" ، أما هنا فانظر إلى العنف السياسى الذى يبدو فى كتاب " تاريخ نصارى الأندلس" لسيمونيت أو فى كتاب " إسبانيا لغز تاريخى" لسانشيث ألبورنوث. يبدو كما لو أن العلاقات الإسبانية العربية القديمة قد تولد عنها فريقان: متحررون ومحافظون. لا أستطيع إلا أن أشير إلى أن كوندى كان متأثرًا بفرنسا ، وأن غايانغوس كان متحرراً ، وهو شيء سبب لهما المتاعب. هذا يكاد يعنى أن ازدهار الاستعراب الإسبانى واكب انتصار المتحررين. لكى نصل إلى هذا التأكيد يتعين علينا أن ندرس بعناية المذاهب الفكرية والصراع على السلطة خلال القرنين الماضيين.

من واقع هذا التعايش مع الثقافة العربية تنبع المواقف الفردية من وضع إسبانيا بالنسبة لأوربا . لقد عانينا نحن الإسبان من " مركّب النقص" مع أننى يجب أن أعترف بأننا حاولنا التغلب على هذه العقدة بكل الوسائل. كانت هناك محاولات لشرح هذه المشكلة ونسبتها إلى أسباب تاريخية أو نفسية. ملخص القول إننا متخلفون ؛ لأنهم أوقفونا فى لحظة ما من تطورنا ، إن هذه الفجوة بيننا وبين أوربا قد حدثت لأننا لم نستطع التقدم بنفس السرعة ؛ لأننا مختلفون عنهم فى داخلنا. أين تتلاقى النظريتان؟ فى نقطة فاصلة: الغزو العربى الإسلامى. يبدو أننا نشير إلى عصور قديمة، لكن هذا يتضح حتى عند أونامونو وأورتيغا وسانشيث البورنوث ، وهنا نعود إلى الحديث عن المواقف " السياسية". ليس هذا اختراعًا من جانبى، بل إن سيمونيت نفسه (فى كتاب " تاريخ النصارى" ص ٣٥- ٣٩) يربط الغزو الإسلامى عام ٧١١ بغزو نابليون ويقارن خوليان وأتباعه بالمتفرنسين، بينما كان النصارى الطيبون – فى

رأيه – هم قدوة الوطنيين الذين حاربوا عام ١٨٠٨ . بصفة عامة كان المتحررون يرون أن تخلف إسبانيا يعزى إلى طرد الموريسكيين بينما كان المحافظون يرون أن السبب يرجع إلى الاحتلال العربى الإسلامى. من الطبيعى أن هذا التوجه لم يكن بنفس القوة عند الجميع – مستعربين وغير مستعربين – لكنه توجه واضح وإن كان غير معلن... إن كل المستعربين تقريباً وكل المناهضين للحضارة العربية الإسلامية – مثل سيمونيت – أرادوا إثبات شىء، كانت لديهم وجهة نظر ، ولهذا كانوا يجادلون، ربما كان الوحيد الذى لم يتورط فى الجدل هو كوديرا، وكان كوديرا باحثًا دؤوبًا لا يكل، اكتفى بعرض الوقائع واستخلاص النتائج منها بلغة واضحة لا تحتمل التأويل ولم ينجرّ إلى أى جدل فكرى.

يركّز جيمس ت. مونرو فى كتابه " الإسلام فى مدرسة الاستشراق الإسبانية (ليدن عام ١٩٧٠) على أهمية مذهب كارل كراوس(*). ينطلق من فكرة أن مذهب كراوس هو الذى بلور حركة الانفتاح الفكرى فى إسبانيا ، وذلك عبر مؤسسة التعليم الحر(**) ، ليس ذلك فقط ، بل إن مستعربًا واحداً فقط هو الذى يمكن اعتباره من أتباع كارل كراوس وليس هناك مستعرب واحد درس فى مؤسسة التعليم الحر. إذا كان سابيدرا قد ألقى محاضرة فى مدرسة التعليم الحر عن القرآن ، وإذا كان فيرنانديث غونثاليث من أتباع كراوس وصديقًا لخينير دى لوس ريوس فهذا لا يكفى. هذا لا يكفى لأن أحداً لم يقم بمهمة تأسيس " مدرسة" فى الاستعراب. إن كل الاستعراب الإسبانى ينبع من كوديرا ، وكوديرا تلميذ لغايانغوس.

استخدمنا لفظ " مدرسة" ، ولكننا بعد تأمل نشك فى دقة المعنى. إن المعنى القديم لكلمة " مدرسة" هو " مجموعة مؤلفين لدراسات لها صفات مشتركة أو توافق زمنًا ما أو مكانًا ما بحيث تشكل مجموعة متميزة عن غيرها" ، أى مجموعة تعمل معًا أو يتبع أحدهم الآخر فى دراسة نفس الموضوعات وداخل إطار فكرى أو وفقًا لأفكار متشابهة. إذا فهمنا كلمة " مدرسة" على هذا النحو وحللنا المعطيات بلا انفعال فسندرك أنه

(*) فيلسوف ألمانى (١٧٨١ – ١٨٣٢)
(**) أسسها دى لوس ريوس وهو من أشد المتحمسين لكارل كراوس . (المترجم)

ليست هناك " مدرسة" استعراب إسبانية. لم تكن هناك استمرارية وإذا وُجدت فهى واهية تشبه " نمط عائلة واحدة" وهو الشىء الذى يميز الإسبان إذا غادروا وطنهم نظراً لخصائصهم المتميزة.

تحدث البعض عن " بنى كوديرا" يريد أن يشير إلى سبق السيد فرانثيسكو كوديرا إى ثايدين. هذا صحيح من وجهة النظر الزمنية ، لكنه أمر محل نقاش فيما يتعلق بالمجال العلمى؛ كان كوديرا باحثًا منعزلاً بين جيل من المثقفين وأعدّ خطة الدراسات والأبحاث ووضع البذرة لحقل الاستعراب، بدأ مشروعًا وحدد هدفًا لكى يصل إليه تلاميذه من بعده، خلّف تراثًا ومهمة عليهم القيام بها. إن " خطة الدراسات والمنشورات التى يجب أن تنفذها الأكاديمية" تعود إلى عام ١٨٩٠ ، وقد بدأ مشروع " المكتبة الأندلسية" عام ١٨٨٢ ، وتوقف عام ١٨٩٥ بسبب هزيمة إسبانيا فى كوبا. إذا كان المشروع لم يمض بالسرعة المحددة له ، ألا يدل ذلك على عدم وجود "مدرسة " بالمعنى الذى أشرنا إليه سابقًا ؟

لا أحاول أن أتجاهل دراسات ريبيرا وأسين وغارثيا غوميث... إلخ ، ولا أن أقلل من شأنها، لكن من الضرورى أن نعترف بأن دراساتهم سارت فى طريق آخر. إن كلاً منهم باحث عظيم ، لكن هذه العظمة نفسها لها تبعاتها، وتحت الأشجار الوارفة عظيمة الارتفاع لا تنبت الحشائش. إن الخضرة لا تنبت إلا خارج إطار ظل الشجرة الكبيرة... إذا قبلنا وجهة النظر هذه فسنعرف أن الرابطة الوحيدة بين أعضاء " مدرسة" الاستعراب الإسبانية لا تكمن فى مشروع بحث؛ بل فى أنهم درسوا أعمال الأندلسيين.

يتوقف كتاب مانويلا مانثاناريس قبل أن يصل إلى "مدرسة المستعربين" وهى ما يمكن أن نسميها مدرسة الاستعراب الرسمى. لا يتضمن الكتاب فرانثيسكو كوديرا ولا تلاميذه "بنى كوديرا". وبالفعل فإن هذه المجموعة لها خصائص مميزة. إن الاستعراب الإسبانى لا يتشابه فيه ما قبل كوديرا مع ما بعده، لقد انتهى عصر وبدأ عصر آخر له أهداف جديدة وتوجهات جديدة.

اختلف الاستعراب الإسبانى واختلفت علاقته بالوسط المحيط به . يشير كوديرا إلى مولد " استعراب علمى" لا يزال حتى الآن مرتبطًا به. جاء كوديرا بعد كوندى ،

ورأى أن يصحح ما سبق، أن يحطم كل مخافات الرومانسية الخيالية والحافلة بالمعلومات الخاطئة والتعميمات الكثيرة حول تاريخ وحضارة الأندلس. يبدو أن تلك الفترة قد حظيت باهتمام ثورى، ربما يمكننا الحديث عن تيار ما، لكن ربما كان الأمر يشمل اعترافًا بأن تلك الفترة جزء من تاريخنا.

حطم كوديرا بشكل علمى منهجى أساطير كوندى، حطم التواريخ المزيفة للأن خيالية شُيدت فى الفترة الأندلسية وحطم الأساطير، أقنع كوديرا الجميع بأن الاستعراب لا يجب أن يكون شيئًا ارتجاليًا بل أن يكون دراسة وبحثًا. كان الاستعراب بالنسبة له علمًا وبالتالى فهو من عمل المتخصصين، وكانت النتيجة أن اختفى "المرتجلون"، لكن فى نفس الوقت أيضًا انفض الجمهور، ربما لأن أولئك المرتجلين كانوا يلبون الحاجة إلى النشر وهو ما كان يضع أمام الجماهير المعلومات التى كانت حكرًا على المتخصصين، وهكذا – فى بلدنا الذى يشكل الاستعراب فيه جزءًا من تراثنا الحضارى – وصلنا إلى وضع متناقض: مجموعة علماء تبحث بجدية علمية فى أحداث تنتمى إلى ماضى الشعب ولا تهم أحدًا (أقول تهم أقلية مميزة فقط).

انفرد بنو كوديرا كمجموعة بخصائص تميزهم، بفكر خاص، بل وبنمط من الفعل والتصرفات، هذا هو ما يجعل دراستهم من الخارج صعبة (انظر مثلاً ما يكتبه عنهم مونرو فى كتابه " الإسلام ومدرسة الاستشراق الإسبانية " ، أو ما يكتبه كورتابارليا فى كتاب " الاستعراب فى إسبانيا المعاصرة): هم يجمعون المعلومات ويحددون معالم التاريخ، لكنهم لا يستطيعون تفسير التطور. كان ينقصهم إدراك الجوهر وهو ما حدث مع كتاب ف. كاتشوفيو "مؤسسة التعليم الحر". هذا الكتاب وذاك يقدمان لنا مخلوقات بدلاً من شخصيات حقيقية يشع منها الدفء.

لكى نتعرف على هذه الفترة – بما أن من يستطيعون ذلك لا يريدون إذ أنهم مشغولون بأمور أخرى أكثر إلحاحًا، وبما أن من يريدون لا يستطيعون لأنهم ليسوا " فى" الموضوع...– لكى نتعرف على هذه الفترة حبذا لو أن المؤلفة وسعت هذه الدراسة الرائعة لتشمل أيضًا القرن العشرين .

بدرو شالميتا

مدخـــل

لا يزال تطور الاستعراب الإسباني قيد الدراسة، فلم يقم أحد حتى الآن بدراسة شاملة، لا عن سنوات التعايش مع الشعب العربي ولا عن السنوات التي أعقبت طرد هذا الشعب، بل ولا حتى عن أية فترة أخرى.

وفي القرن العشرين ظهرت مقالات عن بعض الكتّاب ، وتركزت الدراسة عن مدارس مترجمي العصور الوسطى: مدرسة الملك ألفونسو العالم ومدرسة رايموندو توليدو، أو عن بعض المترجمين أمثال غونديسالفو ، وخوان اسباليسني ، وماركوس توليدو ، لكن هذه الدراسات تناولتهم كشخصيات منفردة أو كمترجمين لفرع معين من فروع المعرفة.

وقد نشر خوسيه فالنتي عام ١٩١٠ كتيباً صغيراً يستحيل الحصول عليه تقريباً، ورغم عنوانه الضخم – " الدراسات العربية في إسبانيا"– إلا أنه مجرد قائمة بأسماء الذين اهتموا بهذه الدراسات في العصور الوسطى وفي عصر النهضة.

وتحت نفس العنوان – " الدراسات العربية في إسبانيا"– نشر سيرخيو كاستيانو عام ١٩٤٧ دراسة أخرى مصغرة ، هي في جزء منها نسخة لكتيب فالنتي ، يتحدث فيها عن العصور القديمة ، ويذكر فيها اسماً أو اسمين من مستعربي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ويركز فيها بعمق على أعمال المستعربين في العصر الحديث أمثال : ريبيرا ، وكوديرا، وأسين بلاثيوس ، وغونثاليث بالنثيا، وغارثيا غوميث.

لم يكن كتاب سيرخيو كاستيانو كذلك رؤية مجملة، وحتى الآن لا يزال هناك الكثير الذي يمكن إضافته إليه حتى يصبح مؤلفاً، فقد اقتصر على ذكر المستعربين الذين عاشوا ونشروا أعمالهم في القرن التاسع عشر ، والذين مهدوا الطريق إلى مدرسة المستعربين الحديثة والعلمية.

إن أول مستعرب يجدر ذكره هو خوسيه أنطونيو كوندى ، فرغم أنه عاش معظم سنوات حياته فى القرن الثامن عشر إلا أنه نشر أهم كتاب له عام ١٨٠٢ أى فى القرن التاسع عشر ، بل إنه رغم كل العيوب التى نُسبت إليه ، ورغم عدم تقديره فى أواخر القرن إلا أنه يمكن اعتباره رائداً للمضمون الجديد فى الدراسات العربية.

أما آخر المستعربين فهو فرانثيسكو كوديرا، فرغم أنه عاش ونشر أعماله فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، إلا أنه ينتمى إلى النوعية الجديدة من المستعربين ؛ وذلك لنشاطه ولتكوينه الثقافى ولطريقته فى النقد ، وهو رائد مدرسة المستعربين الحديثة التى تميزت كثيراً فى السنوات الأخيرة .

كان هناك اهتمام بالدراسات العربية فى إسبانيا فى مختلف العصور وبدرجات متفاوتة من الشدة ؛ ولهذا سنخصص الجزء الأول من الكتاب لإعطاء وصف مبسط لحالة هذه الدراسات منذ العصور الوسطى وحتى عصر الرومانسية التى اشتد فيها الاهتمام بالدراسات العربية.

الدراسات العربية فى إسبانيا

قبل القرن التاسع عشر

قال موديستو لافوينتي فى حفل استقباله بأكاديمية التاريخ الملكية فى ٢٣ يناير ١٨٥٣ ، بعد أن دافع دفاعًا بليغًا ومبالغًا فيه عن خلافة قرطبة وعن أهمية الثقافة العربية فى إسبانيا:

" إيها السادة، لقد قدّم مؤرخونا عبر القرون هذا الشعب على أنه شعب همجى وفظ وغير متحضر، ناظرين إليه من وجهة نظر دينية بحتة، وهى فكرة تغفرها الغيرة الدينية التى أوحت بها ، والتى تأصلت فى شعبنا على مدار السنين، إلى أن جاء بعض المستشرقين الذين ينتمون إلى هذه الأكاديمية وكشفوا كنوز الأدب العربى التى كانت ترقد مجهولة فيما بيننا ، وأشاعوا الضوء وعرّفونا كيف كان هؤلاء الشرقيون الذين تسيدونا" (١) .

لم يكن هذا بالصوت المنفرد الذى ارتفع إبان فترة التجاهل العام؛ ففى نفس اليوم الذى وافق هذا الخطاب ألقى أنطونيو كابانياس عضو أكاديمية التاريخ هذه الكلمات الواضحة:

" لقدبدأت هذه الدراسات العربية متأخرةً للأسف، فلم تكن اللغة العربية حتى ذلك الوقت منتشرة بنفس درجة الرغبة فيها، لدرجة أنها - للأسف - قد نُسيت بيننا ، بينما كان ينبغى أن تكون ينبوعًا أدبيًا. لقد اختفت المخطوطات، والأسكوريال- ذلك المستودع الضخم الذى خرج منه الجزء الأعظم من المخطوطات التى تزين المتاحف والخزائن الأجنبية، الإسكوريال الذى حفظ مخطوطات دييغو مندوثا وبنيتو آرياس مونتانو والأربعين ألف مخطوطة الخاصة بالملك زيدان ، والتى اقتنصت عام ١٦١٢

بالقرب من ميناء مارمورا – هذا الإسكوريال قد هلك الجزء الأكبر من كنوزه الأدبية فى حريق ضخم عام ١٦٧١، وقد تلف عدد كبير من وثائقه بفعل الزمن " (٢)

وقد أثير فى الخارج نفس التعليق على وضع الدراسات العربية فى إسبانيا، ففى تقرير الجمعية الأسيوية بباريس عام ٤٣ – ١٨٤٤ يُذكر التقدم الذى أحرزته الدراسات العربية فى أوربا والجهود التى تبذلها الدول المختلفة فى هذا المضمار مثل فرنسا وإنجلترا وألمانيا ، أما عن إسبانيا فيقول التقرير:

منذ وقت طويل لم تقدم إسبانيا والبرتغال سوى بعض ترجمات لمؤلفات عربية، أما إذا عاد الهدوء إلى إسبانيا فمن المنتظر أن تكمل الأبحاث المتعلقة بتاريخ المسلمين ؛ فلديها الكثير من المراجع عن هذا الموضوع (٣) ..

كان هذا بالفعل هو واقع الدراسات العربية حتى دخول القرن التاسع عشر، فقد كان عدم الاهتمام بما هو عربى مطلقًا، وكان هجر الدراسات العربية شاملاً ، وإذا نظرنا إلى الوراء فإننا نجد أن ما حدث بشكل عام هو ما يلى: أُلحقت العلوم والفلسفة اليونانية بالثقافة الإسلامية من خلال الساسانيين الفرس الذين قاموا بنشاط ثقافى عظيم خلال القرن السادس الميلادى، وفى حوالى عام ٧٥٠ ، عندما كان الإسلام قد غزا الإمبراطورية الفارسية وإسبانيا ، كان العباسيون قد سيطروا على الجزيرة العربية وانتقل مركز الإسلام إلى بغداد، فى ذلك الوقت تزايد نشاط المترجمين وترجموا إلى اللغة العربية موسوعة أرسطو وهندسة أيوقليديس وعلم الطب لجالينو والجغرافية لبتولوميو، ولما كان بعث هذا الفكر الإغريقى يتم باللغة العربية فقد وصلت هذه التيارات الفكرية إلى إسبانيا من بغداد عبر سوريا ومصر وشمال أفريقيا. وكان الأمويون الإسبان منذ عام ٩٢٩ يعملون على مباراة منافسيهم فى الشرق فى مركزى الثقافة الإسبانية فى ذلك الوقت: قرطبة وطليطلة (٤).

وقد فُتحت أبواب الثقافة العربية أمام المسيحيين بعد غزو طليطلة عام ١٠٨٥ ، ذلك التاريخ الذى تم فيه اللقاء التام بين الثقافتين. بعد ذلك بسنوات قام رايموندو

رئيس أساقفة طليطلة بنفس العمل الذى تم فى بغداد خلال القرنين التاسع والعاشر، وذلك بمساندته لمترجمى الكتب العربية إلى اللاتينية. وكانت طليطلة المسيحية فى القرن الثانى عشر مشبعة بالثقافة العربية ، وقد استمر ذلك الوضع فى القرن التالى كاستجابة لميول الملك العالم ألفونسو العاشر الذى كان مولعًا بالثقافة الإسلامية.

فى تلك الفترة كنا نبحث – إلى جانب ذلك – فى الكتب العلمية لنجد فيها التراث اليونانى ، وكانت الفلسفة والعلوم الدينية العربية تُدرس لأهداف جدلية (٥).

وقد جمع الفونسو العاشر أعمال المطران رايموندو وترجمها إلى الإسبانية مباشرة بدلاً من ترجمتها إلى اللاتينية ، وكانت اللغة الإسبانية سهلة الفهم بالنسبة لكل من يريد فهم الكتاب (٦).

لكن قوة العرب السياسية والثقافية قد تدهورت بشكل واضح واشتدت قوة العالم المسيحى ، وأدى الازدهار الثقافى فى أوروبا إلى أن تعاود إسبانيا الاهتمام بالنهضة الأدبية التى تحدث فى الغرب بتوجيه من الكنيسة ، وقد أُهملت المخطوطات والكتب التى تحوى الثقافة العربية وظلت هذه الكتب فى المكتبات والمخازن لسنوات طويلة ولم يكن يقربها إلا المثقفون من حين لآخر.

وإلى جانب هذه الظروف اجتمعت لإسبانيا ظروف أخرى ربما كانت أشد تأثيراً؛ فقد أفتت الكنيسة – المهتمة بالوحدة الدينية وتنقية العقيدة – بأن الكتب العربية مليئة بالإلحاد الذى يجب القضاء عليه وبأن هذه الكتب يجب أن تدرس بهدف التشهير وكسلاح ضد العدو.

وقد أذكت الروح الوطنية والميل إلى أوربا احتقار العرب ، وكان ذلك بمثابة حصن أمام أى تأثير تكون الدراسات العربية قد أحدثته فى الشعب أو فى ثقافته، وقد اعتُبر العرب بصفة عامة "محاربون، أعداء للعلم والأدب" ، كما يقول الأب ماريانا (٧) .

ومع ذلك كان هناك دائماً أصحاب الفكر المتفتح والذين استمر اهتمامهم بالثقافة العربية في حد ذاتها، فدرسوا اللغة العربية ونقلوا الاهتمام بها من جيل إلى جيل.

* * *

يتحدث فرانثيسكو خابيير سيمونيت فى كتابه "دراسات تاريخية وفلسفية لأدب نصارى الأندلس" (٨) عن وجود مخطوطات قوطية وإنجيل قوطى ونسخة قوطية من القانون الرومانى وبها ملاحظات هامشية مكتوبة باللغة العربية، موجودة فى كاتدرائية طليطلة، وتوجد فى سانتا ماريا دى ريبول مخطوطات من القرن العاشر فى علم الفلك والرياضيات مترجمة عن العربية، وقد ترجم قسطنطين الإفريقى عن ساليرنو أعمالاً فى علم الطب، وقد تمت كل هذه الأعمال بصفة فردية ولم تكن حينئذٍ تمثل حركة جماعية تهتم بالثقافة العربية.

وفى كتابه " ترجمات شرقية لمخطوطات المكتبة الكاتدرائية بطليطلة" (٩) يقول مياس بياكروسا: " يجب أن نرجع إلى عصور سابقة على القرن الثانى عشر لنجد أول تأثير عربى فى الغرب، وإلى جانب المخطوطات اللاتينية فى سانتا ماريا دى ريبول فهناك مخطوطات قوطية شهيرة تتضمن فقرات تتعلق بنظام الرياضيات العربى"

لكن عامة المؤرخين يتجاهلون ذلك التأثير الذى أحدثته مدرسة المترجمين فى طليطلة فى القرن الثانى عشر، وقد حوّل المطران الشهير رايموندو تلك المدرسة القديمة أو الجامعة الرسمية العربية إلى مدرسة المترجمين المعروفة والتى كوّنها مجموعة من العلماء ينتمون إلى الأديان السماوية الثلاثة (١٠) . كانوا يعملون معًا ، وقد ترجموا إلى اللاتينية كتبًا عربية فى علوم الرياضيات والفلسفة والطب (١١).

كان من المعتاد أن يعمل معهم بعض الأجانب، وقد اعتاد هؤلاء التلاميذ الرحالة أن يذهبوا إلى طليطلة بحثًا عن مخطوطات. وكانوا يمكثون هناك لعدة سنوات فى بعض الأحيان يكرسون جهودهم للدراسة والترجمة ، ويساعدهم فى ذلك بعض اليهود أو المسلمين. ومن أشهر هؤلاء الباحثين: روبرتو بورخاس وهيرمان اليوغسلافى،

وأبيلاردو باث الذى عمل مع اليهودى بيرو الفونسو، وخيراردو كريمونا [١٢] الذى تميز عن الآخرين بأنه لم يقتنع باستخدام مترجم فأراد أن يتعلم اللغة العربية لكى يقوم هو مباشرة بالترجمة. وقد مات خيراردو كريمونا عام ١١٨٧ فى طليطلة عن ثلاث وستين سنة بعد أن ترجم من العربية إلى اللاتينية أكثر من ستين مؤلفًا فى المنطق والفيزياء والفلسفة ، خاصة كتب الفارابى وأبى القاسم وابن سينا [١٣]

والترجمة الشهيرة للقرآن الكريم التى قام بها روبرتو ريتيناس أو روبرتو شيستر عام ١١٤٣ [١٤] بأمر من بدرو الموقر راهب كلونى، هذه الترجمة لها علاقة بمدرسة المترجمين وهدفها الدعاية ضد الإسلام، وهكذا تظهر فى تاريخ المستعربين عناصر الجدل الدينى ونشر الأفكار المناهضة للإسلام والتى آتت ثمارها فى القرن التالى.

وفى السنوات الأولى من القرن الثالث عشر بدأ فى إسبانيا ظهور الجامعات التى أسس الملوك معظمها كتقليد لدراسات باريس وبولونيا، وفى عام ١٢١٢ أسس الفونسو الثامن ملك قشتالة مدرسة بالنثيا العامة، وفى كتاب " تاريخ أحد عشر ملكًا " يُذكر أن الفونسو الثامن " أرسل إلى جميع البقاع معلمين للفنون وأنشأ المدارس الرائعة فى بالنثيا. وقد أسس الفونسو التاسع ملك ليون مدرسة سلمنكا عام ١٢١٥، وفى عام ١٢٦٠ أنشئت مدرسة بايادوليد[١٥] ؛وفى هذه المدارس أو الجامعات كانت الدرجات العلمية فى الرياضيات وفى الطب يمنحها اليهود أو العرب المرتدين إلى المسيحية" .

وقد وضع المطران رودريغو خيمينث دى رادا[١٦] - الذى يحُتمل أنه كان يعرف اللغة العربية - كتاب " تاريخ العرب" لأهداف تتعلق بالجدل الدينى، وكان يعمل إلى جانبه ماركوس دى توليدو ، وهو قسيس من نفس الكاتدرائية بطليطلة ، كان يقرأ لجالينوس بالعربية وكان يفخر بأنه ترجم إلى اللاتينية كتبًا مفيدة لأساتذة وطلاب مهنة الطب [١٧].

وبالفعل فإن الطب - الذى كان متطورًا فى الشرق - مثّل واحدًا من العلوم التى كانت تسترعى اهتمام العلماء الغربيين، وهو مجال آخر من المجالات التى انتشر فيها

الاهتمام بالدراسات العربية. ويتحدث ديسيديريو شاكون الفاربى – وهو كاتب من أشبيلية فى القرن السادس عشر – عن الطب وعن جامعة سلمنكا فيقول طبقًا لما يورده موريخون (١٨) :

"كان الأطباء الذين يدرسون هناك يحاولون إعادة علم الطب الذى كان مهملاً فى كل أنحاء أوربا تقريبًا إلا بين العرب المقيمين فى إسبانيا، وكان هؤلاء الأطباء لكثرة تعاملهم مع جيرانهم المسلمين يعرفون العربية، وقد أخذوا عن المسلمين جزءًا من هذا العلم ونقلوا إلى اللاتينية كتاب ابن سينا والمؤلفات الأخرى التى رأوها مجدية.

ومنذ ذلك الحين (من عصر الفونسو العالم) ثبت أن السبق العلمى إنما هو لابن سينا، ولم يتغير هذا المفهوم فيما بعد" .

ويعرف الجميع أهمية الفونسو العالم كناشر للثقافة العربية فى إسبانيا ، ولن نسهب فى ذلك. إن مترجمى بلاطه هم المواصلون لمدرسة طليطلة التى ازدهرت منذ منتصف القرن السابق، وقد انتقلت رعاية هذه المدرسة من الأساقفة إلى الملك الفونسو نفسه ، ومن المعروف أن الفونسو نفسه قد بدأ وهو لا يزال أميرًا فى كتابة " الجداول الألفونسية" وأنه بعد ذلك أمر بترجمة: كتاب الفلك، وكتاب الإسطرلاب المستدير والإسطرلاب المسطح، وكتاب قياس الزوايا وغيرها(١٩).

كان اهتمام الفونسو بتعلّم اللغة العربية مكمِّلاً لهذه الأعمال، وفى عام ١٢٤٥ أنشأ " المدرسة العامة للاتينية والعربية" فى أشبيلية، وطبقًا لما تثبته بعض الكتابات الموجودة فى كاتدرائية أشبيلية فى نفس العام فإن الملك الفونسو طلب من المطران والمجمع الديرانى تخصيص بعض المساجد " لتكون مقرًا لعلماء الطبيعة الذين قدموا من الهند لكى يكونوا قريبين ولكى يقوموا بالتدريس لمن أرسلناهم لهم لكى يقوم هؤلاء بتعليمها لنا، فلذلك أحضرناهم"، ويُعتقد أن تلك الدرجات العلمية فى الدراسات العربية والتى أنشئت فى أشبيلية كانت فى العلوم الطبيعية وأن المدرسين الذين كانوا يقومون بالتدريس فيها كانوا يفدون من أكاديمية العلوم التى كانت تضم علماء عرب ويهود يدرسون فى طليطلة تحت رعاية الفونسو العالم (٢٠) .

وحتى هذا الوقت لم يخضع الميل إلى العربية – كأداة لمنافسة الإسلام بطريقة سلمية – لم يخضع هذا الميل إلى دراسة كنافية، وقد ظهر هذا الميل في بدايته في الجمعيات الدينية، خاصة الدومينيكانية والفرنسيسكية.

كان الرهبان الدومينيكان يعلّمون العربية والعبرية في أديرتهم منذ منتصف القرن الثالث عشر، ورغبةً في زيادة التبشير قرر المجمع الديراني المنعقد في طليطلة عام ١٢٥٠ – بمقتضى مرسوم الطاعة المقدسة(٢١) – أن يُرسل الراهب بيرنارديو سالفانيا أستاذ اللغة العربية إلى مايوركا بصحبة ثمانية من علماء الدين لكي يتعلموا ويدرسوا معه، ومن بين هؤلاء الرهبان أرنالدو دي لا غواردیا وبدرو كاديريتا ورايموندو مارتي (٢٢).

هذا الراهب الأخير الذي يمكن أن نعتبره المنشئ الحقيقي للاستشراق في إسبانيا – بل وفي أوربا كلها – قام بجولات فيما بعد وكرس جهوده لتلك الدراسات فذهب إلى تونس كمبشر وأنشأ هناك "دراسات عربية"، ووضع – ربما بالعربية – أول ترجمة لكتاب "المختصر في تعليم الدين المسيحي" "تفنيد القرآن"، كما ألف عملاً ممتازاً في علم اللاهوت والفلسفة عام ١٢٧٨، لكن أهم عمل له هو "المعجم" والذي سنتحدث عنه فيما بعد إذ إنه يدل على علمه الواسع والتعمق باللغات الشرقية (٢٣).

وفي فالنسيا كانت هناك أديرة مثل دير سانتو دومينغو. في هذه الأديرة كان يتم تدريس اللغات العربية والعبرية واليونانية واللاتينية، ومن بين مدرسي هذه اللغات بيرو الراهب غييرمو أنخيليس، والراهب خوان مونثو، والقديس فيسنتي، والراهب أرنالدو كورتيس (٢٤)، وفي عام ١٢٨٠ اشتغل الراهب خوان بويغفينتوس هناك بتدريس اللغة العربية وبوعظ الموريسكيين.

وفي برشلونه بدأت دراسات أخرى في اللغتين العربية والعبرية عام ١٢٨١، وبعد ذلك بعشر سنوات أنشئت مدرسة للعربية والعبرية في خاتيبا وأعطتها الملكة بلانكا زوجة خايمي الثاني(٢٥) حق منح درجة علمية في هاتين اللغتين، ويقول فلورنس – مؤرخ دراسات العصور الوسطى – إنه في عام ١٢٧٢ أرسى رهبان الدومينيكان في مورثيا تقليد دراسة العربية والعبرية في أديرتهم.

ومن بين الرهبان الفرانسيسكان يبرز اسم رايموندو لول الشهير الذى جاهد لكى يوضح للسلطات السياسية والدينية أهمية تعليم أفكار ولغة أعداء المسيحية كسلاح للدفاع عن العقيدة، وبالإضافة إلى ذلك فقد ألح المقر البابوى كثيراً فى طلب إنشاء دراسات شرقية؛ والنتيجة الوحيدة التى جاء ت إثر مبادرة لول الشخصية كانت إنشاء مدرسة لتعليم اللغة العربية للمبشرين فى ميرامار. وكان من المقرر أن يعيش هناك ثلاثة عشر راهباً وأن يتخصصوا فى دراسة اللغة العربية فقط ، وأن يدفع لهم الملك خايمى الثانى رواتبهم (٢٦).

وفى اتفاقية فيينا عام ١١ – ١٣١٢ – وتحت رعاية البابا كليمنتى الخامس وبهدف إرساء الدراسات العربية فى أوربا – تقرر إنشاء الدرجات العلمية فى اللغة العربية فى روما وباريس وسلمنكا واكسفورد وبولونيا . وكان البابا يدفع رواتب مدرسى روما ، وكان الملك يدفع رواتب مدرسى باريس، أما فى باقى المدن فكان المدرسون يتقاضون رواتبهم عن طريق الأديرة والمجمعات الديرانية (٢٧) . ومع أن هذه المدارس قد أنشئت بالفعل إلا أنها كانت قليلة النتائج لأن أسماء المستعربين المشاركين فيها كانت غير معروفة ، كما أن مستوى علمهم وإنتاجهم كان مجهولاً كذلك.

أما العملان اللذان لهما قيمة لغوية حقيقية فى تلك القرون فهما القاموسان المحفوظان ضمن مخطوطات فلورنسا وليون واللذان أشار إليهما كوديرا فى خطاب استقباله فى أكاديمية اللغة الإسبانية (٢٨) .

وقد نشر ثيستينو شياباريللى أحد القاموسين فى عام ١٨٧١ بتوجيه من أستاذه أمارى تحت عنوان " القاموس العربى"، وهذا القاموس قد كتبه الراهب الدومينكانى رايموندو أمارى وكان عنوانه الأصلى " قاموس عربى – لاتينى ولاتينى – عربى" ، وهو واحد من أقدم القواميس التى عُرفت من هذا النوع والتى أُلفت فى أوربا المسيحية. والخط الذى كُتب به هذا القاموس له خصائص القرن الثالث عشر ويشمل اللغة الدارجة والفصحى التى كان المسلمون فى إسبانيا يستعملونها إبان الحكم الإسلامى. وقد حدث جدل حول ما إذا كان رايموندو مارتى هو الذى وضع قاموس فلورنسا؛ ويرى سيمونيت فى مقاله " علم اللغة العربى الإسبانى"(٢٩) وفى المقدمة التى وضعها

لكتاب " منتخب الأدب" للأب ليرشوندى [٣٠] أنه لا يشك فى أن رايموندو هو مؤلف هذا العمل ، ويرى ايغيلاث ويانغواس ودوزى نفس الرأى السابق.

والقاموس الثانى من مخطوطات ليدن – طبقًا لما يذكره ستيخر[٣١] – سابق فى تأليفه على قاموس فلورنسا ولا يُعرف من الذى ألفه، وهو أقل أهمية من سابقه. وقيمة الاثنين بالنسبة للغة الحديث الإسبانية أكبر منها للغة الفصحى، حيث توجد فيهما كلمات لها خصائص اللغة العربية فى إسبانيا رغم أنها كلمات فصحى.

وبعد رايموندو لول لا نجد فى القرون التالية مستعربين حقيقيين . نستطيع فقط أن نذكر أسماء أدباء تأثروا بالعربية وظهر فى كتاباتهم ذلك التأثير الذى يُعد سردًا للثقافة الموجودة فى ذلك العصر أكثر منه قربًا إراديًا إلى دراسة العربية ، وهكذا فإن خوان مانويل وخوان رويث ولوبيث دى أيالا كانوا يعرفون اللغة العربية: الفصحى منها والعامية ، لكثرة تعاملهم مع المسلمين الإسبان.

واستمرارًا للرغبة فى التبشير فى القرن الرابع عشر نجد أن الراهب الدومينيكانى الفونسو بونهومى – الذى كان يجادل المسلمين واليهود – قد درس العربية والعبرية بهمة كبيرة.

ويقدم لنا القرن التالى بعض أسماء أكثر شهرة من سابقيهم بدءًا بالقديس فيسنتى فيرير الذى كان يُلقى مواعظه باللغة العربية ، وألونسو دى كارتاخينا مؤرخ قشتاله ، وخوان دى سيغوبيا مترجم ومفند القرآن [٣٢]، وأخيرًا – وكنموذج للحماس فى التبشير الذى كانت تشجعه المنظمات الدينية فى ذلك الوقت – نجد الراهب إيرناندو تالابيرا أول مطران لغرناطة ، والذى كان له نفس الاهتمام بدراسة اللغة العربية، فعند تعرضه لمشكلة وعظ مسلمى الممالك التى تم غزوها مؤخرًا : بحث فى كل الجهات عن القساوسة ورجال الدين الذين لديهم فكرة عن اللغة العربية لكى يعظوا بها ويدرّسوها، وحث على أن يتعلم القساوسة اللغة العربية وعلى أن يكون هناك درس يومى للغة العربية فى بيته، وحتى تتكون لدى القساوسة فكرة عن اللغة العربية أمر بعمل قاموس مكتوب بالعربية بحروف إسبانية، وكثيرًا ما كان يقول: " أقدم إحدى عينى راضيًا لمن يعلمنى هذه اللغة لكى أحدّث المسلمين وأعظهم بها" [٣٣].

وكان حماس المطران هو السبب فى إنشاء مدرسة اللغة العربية والتبشير التى برز منها الراهب دييغو دى غواديكس مترجم اللغة العربية لدى محاكم التفتيش(*) وفرانثيسكو لوبيث تاماريد مترجم محكمة التفتيش فى غرناطة ومؤلف " قاموس الكلمات التى أخذتها اللغة الإسبانية عن اللغة العربية"، وهناك دراسة عن القضايا التى نظرتها محاكم التفتيش – والتى لا تزال محفوظة فى الأرشيفات – . هذه الدراسة قد بدأ إعدادها وسوف تلقى مزيداً من الضوء على هذه المشكلة خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر(*)

وفى تلك الفترة برز اسم هام هو اسم القسيس لوبيث اوبريغون الذى فنّد القرآن معتمداً على أدلة لكتّاب مسلمين. وقد كتب الراهب خوان لوبيث وهو راهب خيرونيمى " فن ومفردات اللغة العربية" وهو كتاب ذكره نيكولاس أنطونيو ولا ندرى أين هو الآن.

* * *

إن الانتصار الذى تحقق فى عصر النهضة وفى أوائل العصر الحديث – والذى يتفق زمنيًا فى إسبانيا مع احتلال غرناطة الذى انقطع معه الاتصال المباشر مع الإسلام – يتوافق من جانب آخر مع اكتشاف أمريكا الذى انتقل بالرغبة فى التبشير إلى آفاق أخرى، هذا الانتصار الذى تحقق فى عصر النهضة نتج عنه ضعف الاهتمام بما هو عربى، وفى عام ١٤٩٧ قال ماريانو سيكولو الباحث الصقلى الذى قضى معظم سنوات حياته فى إسبانيا: " إن اليونانية والعبرية كانتا تدرسان فى سلمنكا فى حين اعتُبرت اللغة العربية والكلدانية من اللغات الهمجية التى قل الاهتمام بها لأنها غير ضرورية" (٣٤).

كان هذا أيضًا رأى ثيسنيروس الشهير مؤسس جامعة ألكالا والذى تقع على عاتقه وصمة إجبار سكان غرناطة المحررة حديثًا على حرق كل ما كان بحوزتهم من

(*) ظهرت بالفعل دراسات عديدة عن محاكم التفتيش نذكر منها – على سبيل المثال لا الحصر – كتاب مرثيديس غارثيا أرينال "محكمة التفتيش والموريسكيون : القضايا التى نظرتها محكمة كوينكا"، مدريد ١٩٧٨ (المترجم)

كتب عربية، وقد هلك فى الحريق آلاف المجلدات التى لم تكن مصاحف ، وقد قدر المسلمون عددها بثمانين ألف مجلد بينما قدّر الإسبان عددها بخمسة آلاف .

إن موقف اعتبار اللغة العربية " غير ضرورية" يتضح مثلاً فى صعوبة العثور على مدرس للغة العربية لشغل وظيفة أستاذ بجامعة سلمنكا ، وقد ظهر ألونسو أركوس (أو ألونسو ليون أو ألونسو ثامورا) فى حوالى عام ١٥٠٠ كأستاذ للغة العربية ، لكنه كان أكثر دراسة للعبرية (٣٥) ، وعندما نوقش ترشيح ايرنان نونييث توليدو لهذا المنصب أعلن الأستاذ ساندرو دى سالايا أن مادة اللغة العربية هامة جداً فى هذه الجامعة ، خاصة للأطباء (٣٦) .

وبالفعل فإن معرفة اللغة العربية فى السنوات الأخيرة من القرن الرابع عشر والسنوات الأولى من القرن الخامس عشر قد قلت واقتصرت تقريباً على بعض الأطباء والفلاسفة المهتمين بالمصادر الأصلية لعلومهم، ورغم أن بعض دارسى الآداب القديمة كانوا يجمعون بين معرفتهم للعربية والعبرية بسبب وجود بعض المتحدثين بهاتين اللغتين فى شبه الجزيرة الإيبيرية وبسبب استمرار الرغبة فى التبشير إلا أن ذلك الاهتمام قد انعدم لتغير سياسة التبشير السلمى نتيجة لتأثير ثيسنيروس الكبير، وكانت الكنيسة تبدى الشك فيمن يهتم بدراسة اللغة العربية دون سبب ظاهر.

وبسبب حظر استعمال اللغة العربية وضغوط محاكم التفتيش فإن نفس العرب الذين كانوا يقيمون فى أراضٍ مسيحية كانوا ينسون لغتهم، وهكذا فقد اعترف عيسى بن جابر مفتى سيغوبيا بجهل مواطنيه باللغة العربية عندما نُشر بالإسبانية كتاب " ملخص الأوامر والنواهى الرئيسية فى القرآن والسنة" (٣٧)

وفى عام ١٥٠٨ أسس الكاردينال ثيسنيروس جامعة الكالا ، و" أمر بأنه إذا اشترك فى هذه الجامعة أشخاص لديهم علم باللغات ويريدون تدريسها فإن رئيس الجامعة ومستشاريه ينشئون الأقسام التى يرونها على غرار تلك الأقسام التى أنشئت فى كلية فيينا"(٣٨) ، أى أنه ترك الباب مفتوحاً أمام تعليم اللغة العربية والكلدانية ، لكن فقط فى حالة وجود عدد كاف من الطلاب تحملهم الغيرة الدينية وحب الله على نشر

كلمة الله بهذه اللـغات [٣٩] ، وليست لدينا شواهد على أنه لم يُنشأ قسم للغة العربية ، لكن من المؤكد أنه كان من أقل الأقسام من حيث راتب الأساتذة، وذلك - دون شك - لإضعاف همة أي شخص يحتمل ترشيحه. كان راتب أستاذ اللغة العربية خمسين فلورنسا بينما كان راتب أستاذ علم اللاهوت مائة فلورنس ، وراتب أستاذ القانون والآثار ثمانين فلورنساً .

وفي حوالي عام ١٥٤٠ أسست جامعة غرناطة على نسق الجامعة العربية التي أسسها يوسف الأول في القرن الرابع عشر (١٣٣٢- ١٣٥٤) ، وقد رتب أمورها رجلان ذوا شخصيتين متعارضتين هما الكاردينال ثيسنيروس (الذي كان يحتقر الثقافة العربية أو أن عدم ثقته في المسلمين الإسبان قد أملى عليه هذا الاحتقار)، والراهب إيرناندو تالابيرا الذي كان كثير الاهتمام بالدراسات العربية كوسيلة للدعاية أو للتقرب إلى المسلمين الإسبان. وكان رأي تالابيرا - دون شك - هو السائد، لأن ثيسنيروس لم يهتم بهذه الجامعة لانشغاله بجامعة الكالا، وقد دُرست اللغات الشرقية في جامعة غرناطة حتى دخول القرن الثامن عشر حسب ما يُفهم من تغيير خطة التعليم الذي تم عام ١٧٧٦ [٤٠].

ليست لدينا أخبار عما إذا كانت دراسة اللغة العربية [٤١] قد أرسيت في الجامعات الأخرى التي أنشئت في تلك الفترة ، وهو ما يدعونا إلى الاعتقاد بأنه لم يحدث: على الأقل من الناحية الرسمية.

ولم تكن الدراسات العربية أحسن حالاً في أوربا؛ فعلى سبيل المثال ذهب نيكولاس كلينارد إلى سلمنكا عندما لم يجد من يعلمه العربية في باريس، وبعد وفاة كلينارد بثماني سنوات نُشرت في لوفاينا رسائله التي يتحدث فيها عن حياته الجامعية في سلمنكا حيث بدأ في فك رموز حروف الهجاء العربية وفي دراسة مبادئ علم النحو، وكان أستاذه إيرنان نوبييث - رغم هجره للدراسات العربية لسنوات طويلة - قادراً على أن يقرأ له نصوصاً عربية ويترجمها مباشرة [٤٢] .

وإلى جانب عدم الاهتمام الرسمي كان هناك - مع ذلك - العديد من دارسي الآداب القديمة الذين جمعوا بين معرفة العربية والعبرية واليونانية واللاتينية ، نذكر

منهم فقط الذين برزوا فى إسبانيا: من فالنسيا خيرونيمو توريا، وهو أستاذ فى جامعة فالنسيا وعالم فلك وطبيب لحاشية الملك فيرناندو الكاثوليكى، كان بارعًا فى اللغتين العربية واليونانية، وهو مؤلف لكتاب يعرض فيه أعمال ابن سينا. كما نذكر أيضًا فيرناندو دى كوردوبا الذى كان يجيد اللاتينية واليونانية والعبرية والكلدانية والعربية، ونذكر ايليو أنطونيو دى نبريخا الذى كان يجيد العربية ، وبدرو الكالا وهو راهب خيرونيمى وضع معجمًا للغة العربية فى غرناطة عام ١٥٠٥ – وهو معجم يعتبر وثيقة للغة العربية الدارجة التى كان يتحدث بها أهل غرناطة – ، كما ألف كتاب " فن معرفة العربية"(٤٣).

وفى أوائل القرن السادس عشر ، عندما كانت مشكلة الموريسكيين محتدة ، كان مارتين دى أيالا هو الذى اشتغل بالتبشير ووعظ الناس فى فالنسيا ، وقد وضع – بأمر منه – كتاب "العقيدة المسيحية باللغتين العربية والإسبانية لإرشاد الذين اعتنقوا المسيحية حديثًا فى مملكة فالنسيا"(٤٤) (*) ويبرز كل من دييغو لوبيث ستونييغا وخوان لويس فيفيس ، وكان الأخير متحمسًا للغة العربية كوسيلة للتبشير الصحيح وكان يعتقد أنه لو كان الفريقان يتكلمان لغة واحدة لكانت المناقشة سهلةً تمامًا (٤٥) ، ويبرز كذلك خوان مارتين فيغيرولا الذى وعظ المسلمين فى مملكة أراغون بأمر من الملك وجادل فقهاء المسلمين داحضًا أفكارهم (٤٦) .

وفى مجال الأدب يجب أن نذكر دييغو أورتادو دى مندوثا وهو ابن إحدى عائلات النبلاء فى إسبانيا. تعلم العربية فى غرناطة قبل أن يذهب إلى سلمنكا لكى يكمل هذه الدراسة إلى جانب دراسة اليونانية واللاتينية. وكان أورتادو دى مندوثا أيضا عظيم الشغف بجمع النصوص والمخطوطات العربية، وبعد اتفاق ترنتو الذى كان فيه ممثلاً لإسبانيا أراد أن يذهب إلى نابلس ومنها إلى القسطنطينية لشراء كتب، وقد جعله أصدقاؤه يعدل عن فكرته، لكنه على أى حال جمع عديداً من المخطوطات أهداها عند

(*) لدينا نسخة من هذا الكتاب ولا نستطيع أن نقول عنه الآن سوى إنه كان يشكل بالتأكيد مادة فكاهية للموريسكيين الذين كانوا يطالعونه ، فهو كتاب مترجم حرفيًا إلى اللغة العربية ، ونتيجة الترجمة الحرفية المعروفة هى تكوين جمل يستحيل فهمها فى بعض الأحيان.(المترجم)

وفاته إلى مكتبة الاسكوريال. وكان بنيتو ارياس مونتانو – ناشر إنجيل امبيريس المكتوب بعدة لغات – يجيد العربية ، وكان يدرّس هذه اللغة فى الاسكوريال ، وقد ترك هو أيضا مخطوطاته العربية لمكتبة الاسكوريال(٤٧) ، أما ألونسو كاستيو الغرناطى فكان ابنًا لأسرة مسلمة تنصرت ، كان يعرف العربية الفصحى والعامية وكان مترجمًا للملك فيليبى الثانى ، وقد نسخ وترجم نقوش قصر الحمراء لأول مرة، وكانت ترجمته أساسًا لكل الترجمات اللاحقة ، وقام بعمل أول قائمة للكتب العربية فى الاسكوريال (٤٨) .

وكانت هناك نساء يعرفن العربية ، فقد ذكر نيكولاس أنطونيو اسم لويسا سيخيا توليدانا وهى ابنة دييغو سيخيا وكانت تجيد خمس لغات من بينها العربية التى تعلمتها عن والدها(٤٩)

أما فى القرن السابع عشر فلدينا معلومات أقل عن الاستعراب ، وعمومًا فقد استمر الحال كما كان عليه فى القرن الماضى بشكل عام، وفى الاجتماع العام لجمعية الفرنسيسكان المنعقد فى طليطلة عام ١٦٨٢ تقرر إنشاء مدارس للغتين العربية واليونانية فى سلمنكا وألكالا وباريس وتولوسا، وقد أُكد هذا القرار فى اجتماع عام آخر عقد عام ١٦٩٤ فى فيتوريا ولكننا لا ندرى ما إذا كان القرار قد نُفذ.

فى هذا القرن السابع عشر درس العربية كل من الأب توماس ليون اليسوعى وسباستيان كاباروبياس الشهير مؤلف الكتاب الضخم " قاموس عربى– إسبانى" الموجود فى مكتبة الاسكوريال، ومن بين الرهبان الفرنسيسكان نذكر اسم خوسيه ليون الذى درس العربية فى أشبيلية، وبرناردينو غونثاليث الذى درس فى دمشق والذى كتب " ملخص القواعد" العربية وهو كتاب عظيم الفائدة ، كما ألف " قاموس عربى – إسبانى" أكمله راهبو إسبانيا المقيمون فى القدس عام ١٧٠٩ وهو عمل رائع أثنى عليه الكونت كامبومانيس فى تقرير أرسله إلى أكاديمية التاريخ الملكية فى مارس عام ١٩٠١ .

وبطرد الموريسكيين من إسبانيا انقطعت الصلة الأخيرة والضعيفة التى كانت تجمع بين عشاق الدراسات العربية ، وقد انعدم الاهتمام بدراسة اللغة العربية

لأهداف تبشيرية لأن النشاط التبشيرى توجه إلى ما وراء المحيط وإلى الشرق الأقصى.

من الناحية النظرية كانت هناك أقسام للغة العربية فى الجامعات ، لكننا لا نعرف أى اسم من أسماء الذين كانوا قائمين على التدريس فيها، وعندما أنشأ الملك فيليبى الرابع " كلية سان إيسيدرو الملكية" لأبناء النبلاء لكى يقوم اليسوعيون بالتدريس فيها كانت هناك أقسام لليونانية والكلدانية والسيريانية ، لكن فيما يبدو لم يتذكر أحد مادة اللغة العربية. ومن بين الأسماء القليلة التى يمكن الإشارة إليها يبرز اسم بيرناردو الديريتى الذى تعلم العبرية والكلدانية والعربية ووضع كتابًا عن " أصل اللغة القشتالية أو اللغة التى تتكلمها إسبانيا حاليًا "(٥٠)

وقد تغير المنظر العام منذ أواخر القرن السابع عشر وأوائل الثامن عشر ، فقد كانت تلك السنوات هى فترة العلم الموسوعى الفرنسى وظهور مذاهب جديدة وفترة ظهور أفكار وآراء تدعو إلى تحطيم كل ما هو قديم وإنشاء نظم جديدة إيذانًا ببداية " الزمن المعاصر "(٥١)

ففى فرنسا وُلد كل من بتيت دى كروا وأنطونيو غالاند وآخرين أقل شهرة شعروا بميلهم إلى الثقافة ، وقد ترجم كتاب " ألف ليلة وليلة "، وبترجمة سال للقرآن (لندن عام ١٧٣٤) أصبح الاستعراب هو التيار السائد فى القارة الأوربية.

وفى إسبانيا أيضًا بدأ الاهتمام الجديد بالشرق فى الظهور بسبب قدوم الرهبان المارونيين من لبنان وسوريا أمثال الأب فرحات الذى عمل بعد ذلك مطرانًا فى اليبو والذى حمل معه إلى إسبانيا مخطوطات من الشرق عام ١٧١٢، وبابلو حضير وإلياس سيدباى الذى أصبح مترجمًا للبلاط الإسبانى.

وأهم كل هؤلاء الرهبان المارونيين هو ميخائيل الغزيرى (١٠-١٧٩١) الذى تعلم العربية والسريانية فى روما وسافر إلى إسبانيا عام ١٧٨٤ وعُين مترجمًا ملكيًا للغات الشرقية ثم نُقل إلى الاسكوريال حيث ألف كتابه القيم الشهير عن «فهرس الكتب العربية فى تلك المكتبة» (٥٢) هذا الفهرس الذى يتضمن العديد من الفقرات التى

ترجمت عن مؤرخين عرب كان لفترة طويلة هو المصدر الوحيد تقريبًا للمؤرخين الإسبان والأجانب الذين لا يعرفون العربية . ومن بين الرهبان المارونيين نذكر أيضًا خوان آمون سان خوان الذى كان كاتبًا للغات الشرقية فى المكتبة الملكية بمدريد.

ومن بين الرهبان الفرنسيسكان يبرز كل من الأب توماس أوبيثينى صاحب كتاب " كنوز اللغة العربية"، والأب فرنثيسكو كانييس الذى ألف كتابين هامين هما: " قواعد اللغة الأندلسية العامية والفصحى ، وقاموس عربى - إسبانى" (مدريد ١٧٧٥) و " قاموس إسبانى - لاتينى - عربى" سار فيه على نهج قاموس الأكاديمية الملكية للغة ووضع المعانى اللاتينية والعربية للكلمات الإسبانية"(مدريد ١٧٨٧)(٥٣)

ومن بين اليسوعيين يبرز الأب خوان أندريس الذى جعل للعربية أهميةً كبرى بمؤلفه العظيم " الأصل والتطور والمكانة الحالية للأدب" والذى عرض فيه آراء تأكدت صحتها فيما بعد، وقد كتب الأب خوان أندريس أيضًا " مقالات عن الموسيقى العربية" يشرح فيها بعضًا من هذه الآراء، كما نذكر أيضًا الأب ماركوس دوبيليو الذى ترجم عن أبى الفدا ، والأب خوسيه بانكيرى الذى ترجم " كتاب الفلاحة" لأبى زكريا بن العوام ونشره بالعربية والإسبانية ولم يكن بالأمر المألوف فى ذلك العصر(٥٤) ، ونذكر أيضًا الأب مانويل لا سالا وهو يسوعى من فالنسيا على درجة عظيمة من الثقافة فى اللغات الشرقية، أقام فى بولونيا بعد أن طردت الحكومة الإسبانية الرهبان اليسوعيين، ومن أهم أعماله " قصة لقمان الحكيم وموعظة بشأنها"، وممن يجدر ذكرهم أيضًا الأب استيبان ارتياغا الذى عاش فى بولونيا أيضًا بعد طرد اليسوعيين، وكان خبيرًا فى النقد الموسيقى وقام بوضع عدة مؤلفات حول الموسيقى العربية . نشر بالإيطالية كتابًا عن " الأثر العربى فى أصول الشعر الأوربى الحديث" (٥٥) أما الأب اليسوعى اورينثو هارفيس اى باندورو فلم يقتصر نشاطه على مجال الدراسات العربية إلا أن الكثيرين يعتبرونه رائدًا للنحو المقارن.

أهم شخصية فى تلك الفترة بعد ميخائيل الغزيرى هو الأب باتريثيو خوسيه دى تورى(٥٦) الذى قام بالتدريس فى الاسكوريال وحصل على منحة من الوزير خوبيانوس ليكمل دراسة العربية فى طنجة وعمل بعد ذلك مدرسًا للغة العربية فى

الاسكوريال الذى تحتفظ مكتبته بأعماله المكتوبة بخط يده ؛ إذ حالت حرب الاستقلال - على ما يبدو - دون نشر أعماله، ومن أهم مؤلفاته " مراجعة للمعجم الإسبانى العربى" الذى وضعه الراهب بدرو الكالا والذى يحمل عنوان " معجم إسبانى عربى ألفه ووضعه بحروف إسبانية الراهب بدرو الكالا من رهبانية سان خيرونيمو، حققه وزوده ووضعه بحروف عربية الراهب باتريثيو دى لا تورى وهو من نفس الرهبانية وأمين مكتبة وأستاذ اللغة العربية فى دير سان لورينثو الملكى بالاسكوريال، مدريد عام ١٨٠٥" .

وقد تحدث سيمونيت عن هذا الكتاب فى معجمه الخاص بالألفاظ الأيبيرية واللاتينية (مدريد ١٨٨٨) . يقول سيمونيت إن هذا العمل ذو قيمة كبيرة لكنه غير معروف جيداً لأنه لم يُطبع بسبب الظروف الصعبة التى كانت إسبانيا تمر بها. يتحدث سيمونيت عن وجود نسخة مطبوعة من المعجم تصل حتى كلمة تقديم ofrecimiento ويذكر أنها كانت موجودة بدير الاسكوريال وأنها فُقدت، ولم يتمكن السيد سانشيث بيريث - الذى درس أعمال هذا المؤلف - من العثور عليه رغم أن النسخة المكتوبة بخط اليد لا تزال موجودة.

وكانت لدى دوزى معلومات عن هذا الكتاب عن طريق سيمونيت ، وقد استعمل هذه المعلومات فى إعداد "ملحق للمعاجم العربية". وكان دوزى كثير الشك فيما يتعلق بأمور البحث العلمى ، وقد ثبت ذلك من خلال نقده لأعمال كوندى ومن خلال تعليقه على كتاب دى لا تورى ... ، وبعد سيمونيت ودوزى لم يهتم أحد بهذا الكتاب رغم أهميته اللغوية الأكيدة.

وإلى جانب رجال الدين فلدينا تفاصيل عن مثقفين آخرين اهتموا بالدراسات العربية فى ذلك العصر ، ومن أهم هؤلاء أندريس بيكر أروفات ، طبيب الملكين فيرناندو الرابع وكارلوس الثالث وهو عالم ألّف كتبًا كثيرة من بينها " رسالة حول الطب عند العرب"، وماريانو بيزى الذى وضع كتاب " قواعد اللغة العربية فى نظم بالإسبانية " وكتاب " قاموس الحروف اللاتينية والأندلسية" و " علم الكتابة العربية القديمة والحديثة". كما نشر أغناثيو آسو ديل ريو - وهو عالم لغوى من أراغون - كتابًا عن " الكتب العربية الأراغونية" (٥٧)

بعد هذا العرض الموجز نصل إلى أبواب القرن التاسع عشر وهو العصر الذى سندرسه فى هذا الكتاب. بدأ الاهتمام بالدراسات العربية يزداد فى أوربا كلها، وكانت الرومانسية – بنشاطها الثورى المجدد – هى أول حافز لهذا الاهتمام. سار الأدباء فى مجالات جديدة وحاولوا إيجاد طرق جديدة معتقدين أنهم سيكتشفون كنوزاً لا تحصى. وكانت العصور القديمة والوسطى والآداب الأجنبية محل دراسات جادة ومتأنية، فى نفس الوقت الذى أطلق فيه العنان للخيال لكى يتجول فى تلك العصور والآداب حراً من كل قيد. وكانت الآداب الشرقية – دون شك – ضمن الآداب التى درست، فقد كانت مجهولة أكثر من غيرها ، وكان قدم نشأتها وأنماطها العديدة وجوها القريب وصعوبة الوصول إليها..كل ذلك يدعو الرومانسيين إلى دراستها.

كان الهدف أن يعثر الرومانسيون فى تلك الآداب على حلول للمشاكل التاريخية خاصة فى إسبانيا ، وكان من المؤكد أن هناك فى الشرق أصلاً لكثير من المعتقدات ومصدراً للأفكار التى لا يكاد يعرفها أحد، وفى نفس الوقت كان من المأمول أن تسهم الآداب الشرقية فى إعطاء دفعة جديدة للآداب. كان ذلك هو التيار السائد ، وفى صفوف المجتمعات الأسيوية كانت أسماء المستشرقين تضارع أسماء السياسيين ورجال المجتمع.

بعد ذلك بدأ الابتعاد عن الدراسات الشرقية شيئًا فشيئًا ؛ إذ تحول اهتمام الأدباء إلى مجالات جديدة واختفت أسماؤهم من مجال الدراسات الشرقية وحل محلهم أناس اهتموا حقيقة بهذا الموضوع ؛ وهكذا تطور مجال الدراسات الشرقية تطوراً سريعاً واكتملت مناهجه ووصل البحث فى هذا المجال إلى درجة من الواقعية لم تكن معروفة حتى ذلك الوقت ، ونشأ علم النحو المقارن وعلم اشتقاق الألفاظ، ولم تكن هذه العلوم قبل ذلك أكثر من مجرد خيال، وقد جُمعت وثائق حقيقية ومفصلة عن تاريخ كل بلد وحلت الحقائق محل التكهنات السابقة.

وقد انعكست هذه العملية على إسبانيا بعد ذلك لنفس الأسباب، وإسبانيا مدينة بشكل كبير لأولئك المستعربين الأوائل لأنه لم يكن هناك شىء فى إسبانيا يُبدأ به. إن أدوات البحث اللازمة لبدء العمل كانت كثيرة وضخمة: كان لابد من كتابة القواعد

ووضع المعاجم وترجمة المخطوطات ونشرها، كان لابد من اكتشاف النقوش وقراءتها، ونفس الشيء بالنسبة للعملات ودراسة العقيدة والعادات، كل ذلك بينما العالم - خاصة عالم الأدب - لا يكاد يعرف شيئًا عن هذه الدراسات؛ لأن الناس لم تكن ترى نتائج ملموسة وفورية. كان من العسير على الناس تقبّل بطء تقدم هذه الدراسات وتقبّل مسألة أن هذه الدراسات هى حصيلة آلاف الاكتشافات الصغيرة والملاحظات التى لا يصل إليها إلا من يعيش فى جو تلك الدراسات، وكان هذا الموقف ينعكس غالبًا على الباحثين أنفسهم - كما فى حالة كوندى - فيدفعهم إلى استخراج نتائج متسرعة تصبح بعد ذلك خيالية لعدم وجود أسس تستند إليها أو لعدم الصبر حتى الوصول إليها.

وفى منتصف القرن، عندما كانت هناك شكوى فى إسبانيا شبيهة بالشكاوى التى عرضناها فى أوائل هذا الفصل، بدأت الدراسات الإسبانية تشد الاهتمام فى الخارج رغم أن الإسبان أنفسهم لم يكونوا راضين عن مستوى تقدمهم فى الدراسات العربية، وفى تقارير لجمعيات الاستشراق ظهرت أسماء لمستعربين من إسبانيا.

فى عام ٦٠- ١٨٦١ يقول مستر موهل، بعد أن تحدث بإسهاب عن نشر كتاب " تاريخ العرب فى إسبانيا" لدوزى :

قبل أن أنهى الحديث عن الأعمال الخاصة بتاريخ العرب يجب أن أقول بعض الكلمات عن كتاب "مجموعة النقوش العربية الموجودة فى إسبانيا" الذى نشره السيد ألكانترا فى مدريد. لسوء الحظ أننى لا أستطيع أن أتحدث إلا عن العنوان لأننى لم أتمكن من الحصول على الكتاب نفسه.

يشير بذلك إلى النقوش العربية فى غرناطة التى يسبقها "وصف تاريخى ودراسة لسلالة بنى الأحمر " لإيميليو لافوينتى الكانترا(مدريد ١٨٦٠)

بعد ذلك بقليل وفى عام ١٨٦٣ يتحدث تقرير جمعيات الاستشراق عن إكمال نص المقرى وهو عمل مشترك بين دوزى، وكوجات، وكريهل، ورايت، ثم يضيف:

كـان هذا العمل معروفا جدا منذ أن بنى عليه السيد غـايانغوس كتـابه تاريخ السلالات الإسـلامية فى إسبـانيـا. إن كتـاب غايانغوس ليس مجرد ترجمة للمقرى بل يشتمل على إضافات تفسر الكتاب .

ثم يواصل الحديث عن الكتاب بقوله:

وجدت إشارة إلى كتـاب آخر عن العرب فى إسبانيا ، ترجمه عن العربية السيد فيرنانديث غونثاليث وقد ظهر المجلد الأول منه في غرناطة ، غير أننى لا أستطيع أن أذكر سوى العنوان

يشير بذلك إلى كتاب" حكايات تاريخ الأندلس " لابن عذارى المغربى الذى ترجمه ونشره وقدم له فرانثيسكو فيرنانديث غونثاليث (غرناطة ١٨٦٠)

وأخيراً – وفى عام ١٨٦٤ – يقول التقرير:

يبدو أن ازدراء تاريخ العرب قد توقف فى إسبانيا ، فقد بدأنا نسمع عن خطة جادة لنشر أعمال مجموعة من المؤلفين الأندلسيين الذين وصل ذكرهم إلى أكاديمية التاريخ من خلال كل من غايانغوس وسيمونيت. ليس بوسعنا إلا أن نحيى هذا المشروع وأن نتمنى له تنفيذا سريعا وموفقا .

الهوامش

(1) MODESTO LAFUENTE:Discusrsos leidos en la sesión pública de la Real Academia de la Historia, en la recepci´on de don Modesto Lafuente, Madrid, 1853,p.9.

(2) Contestación de don ANTONIO en Discursos leídos...Madrid, 1853,p. 24 .

(3) JULES MOHL: Vingt-sept ans.d'Histoire des Etudes Orientales, Paris, 1879, Informes correspondientes al año 1843 - 44 .

(4) JOSÉ MARÍA MILLÁS VALLICROSA: Nuevas aportaciones para el estudio de la transmisión de la ciencia a Europa a través de España, Barcelona, 1943. KARL VOSSLER: La ilustración medieval en España y su transcendencia europea, ·Estampas del mudo románico", Buenos Aires, 1946 .

(5) A. JOURDAIN: Recherches critiques sur l'age et l'origine des traductions latines d'Aristotes et sur les commechtaires grecs ou arabes employés par les docteurs scholastiques, París, 1843, pp. 339 y ss.

(6) ALFONSO EL SABIO: Libro del saber de Astronomía, II, I. Madrid, 1863 - 67 .

(7) PASCUAL DE GAYANGOS: History of the Mohammedan Dynasties, London, 1840. pref. P. VII.

(8) FRANCISCO JAVIER SIMONET: Estudios históricos y filológicos sobre la literatura arábigo-mozárabe, en ·Revista de la Universidad de Madrid", 1872 - 73 2a época,t.I. pp .546 - 61

(9) JOSÉ MARÍA MILLÁS VALLICROSA: Las traducciones orientales de los manuscritos de la Biblioteca Catedral de Toledo, Madrid, 1942 , pp.6 - 7

(١٠) يرى غونثاليث فى كتابه EL ARZOBISPO D. RAIMUNDO DE TOLEDO أنه ليست هناك شواهد تؤكد أن مدرسة المترجمين فى طليلة كانت قائمة كمؤسسة ، بل كانت مجرد مجموعة من الأشخاص يشتغلون بالترجمة ويساعدهم فى ذلك بعض الأشخاص ومنهم أرشقف رايموندو .

(11) FEDERICO C. SÁNZ DE ROBLES: Esquema de una historia de las Universidades españolas, Madrid, 1944.Intr. P. 28.

(12) GUSTAVE DUGAT: Historire des orientalistes de l'Europe du XIX siécle précédée d'une esquisse historique des études orientales, París, 1868 - 70, p.VI. j. M. MILLÁS VALLICROSA: Las traducciones orientales de los manuscritos de la Biblioteca Catedral de Toledo, p. 10

(١٣) كانت ترجمته لكتاب "القانون" لابن سينا مرجعًا أساسيًا في معاهد الطب في أوروبا . أنظر :
Cesar Dubler : los nambres arabes de materia medica en la obra del doctor lagune, AlAndalus, 1951.

(١٤) أهد ماركوس دى تسوليدو ترجمة للقرآن تختلف عن ترجمة رتينيس ، فترجمة هذا الأخير فيها تصرف حتى يكون النص واضحًا ، أما ماركوس فقد ضحى بالأسلوب حتى تكون الترجمة دقيقة . أنظر :

Deux traduction latines du Caran au Mayan Age, en Archives d' Historie doctrinale... du Mayan Age, 1948

(15) Alberto dimenez: la ciuded del estudio: Ensayo sobre la Universidad espanola medieval, Mexico, 1941.

(16) J. Hurtodo YA. Gonzalez Palencia: Historia de la literature espanola, Madrid, 1949.

يقول كوندى فى مقدمة كتابة "تاريخ السيطرة الإسلامية ، إن الأسقف عاش بين نصارى الإسبان الذين كانوا يتحدثون وإنه كان يتحدث العربية .

(17) M.T. DÁLVERNY Y G. VAJDA: Marc de Tolède, traducteur d'Ibn Tumart, en "Al-Andalus", 1951, XVI,I, pp. 99 - 140.

(18) ANTONIO MOREJóN: Historia de la medicina, Madrid, 1942, II, p. 193.

(19) J Millas Vallicrosa: El literalismo de los traductores de la corte de Alfonso el sabio, Al Audalus, 1933.

(20)ALBERTO JIMÉNEZ: La ciudad del estudio, p. 88.

(21)E.ALISON PEERS: Ramon Lull. A Biography, London, 1929, p. 93.

(22) NICOLÁS ANTONIO: Biblioteca hispana vetus, Madrid, 1788, II, p.89.

(23) Micolas Antanio: Biblioteca hispana uetus.

(24)F.SÁINZ DE ROBLES: Esquema de una historia de las Universidades, p. 281.

(25) E. ALISON PEERS: Ramon Lull. P. 36 .B. SALZINGER, Raymundi Lulli opera ommia, Maguntiae, 1721 - 47 , 1 , 4 .

(26) Inid, pp. 129, 142 .

(27) G. DUGAT: Histoire des orientalistes..., p. VII.

(28) FRANCISCO CODERA Y ZAIDÍN: Discursos leídos ante la Real Academia española en la recepción pública del Excmo, Sr. D. Francisco Codera, Madrid, 1910 , pp . 13 - 14 .

(29) Francisco Javier Simonet :Filología arábigo-hispana, en "Revista de la Universidad de Madrid", Madrid,1874 .

(30) Francisco Javier Simonet :Crestomatía arñbigo-española o colección de fragmentos históricos, geográficos y literarios relativos a España bajo el período de la dominación sarracénica, seguida de un vocabulario..., por el reverendo padre F. JOSÉ LERGHUNDI y don Francisco J. Simonet, Granada, 1881, p. VI.

(31) ARNOLD STEIGER: Contribución a la fonética del hispano-árabe y de los arabismos en el ibero-románico y el siciliano, Madrid, 1932. Introd, p. 8 .

(32) DARÍO CABANELAS : Juan de Segovia y el primer Alcorán trilingüe, en "Al-Andalus", 1949, XIV, I, p. 149 .

(33) Fray JOSÉ DE SIGÜENZA: Historia de la orden de S. Gerónimo, Madrid, 1907 - 9 , II,p.306.,

(34) MARCEL BATAILION: L'arabe á Salamanqye au temps de la Renaissance, en "Hesperis",1935, XXI, p. 3 .

(35) ALBERTO JIMÉNEZ: Selección y Reforma. Ensayo sobre la Universidad renacentista española, México, 1944،p.106. MARCEL, BATAILION: Erasmo y España, México, 1950, I, p.23.

(36) MARCEL BATAILION: Lárabe ,Salamanque..., p.6

(٣٧) نشرة باسكوال دى غايا تغوس فى "Memaril historico espanol" 1853, pp. 247 y s.

(38) JULIO MELGARES Y MARÍN: Estado de la Universidad de Alcalá de Henares, desde su fundación hasta el año 1805 , en "Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos", 1903 , VIII, 3o época, p.60

(39) Const. 58 : " Quia nonnunquam viri religiosi et alie persone zelo fidei et Dei amore flagrantes, ut melius verbum Dei disseminari possint, desiderare solent peri-

cim linguarum obtinere", V. ANTONIO DE LA TORRE Y DEL CERRO: La Universidad de Alcalá .Datos para su historia, en "Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos", 1909 , XXI, p.51

(40) F. SÁNZ DE ROBLES: Esquema de una historia de las Universidades, p. 408 .

(٤١) لمزيد من المعلومات عن الجامعات فى عصر النهضة أنظر :

Jese Rujula Y Ochoterna: Indice de los colegiales de S. Ildefonso Y menores de Alcala, Madrid, 1946 .

(42) ALPHONSE KOERSCH: L'Humanisme belge á l'époque de la Renaissance; études et portraits, Deuxiéme séri. Louvain, 1933, pp. 101 , 103 ; Correspondance de Nicolás Clenard, Bruxelles, 1940 , 1 .

(43) ARNOLD STEIGER: Contribución a la fonética hispano-árabe, Intrd. P.8.

(44) JOSÉ VALENTÍ: Los estudios áírabes en España, p. 21

(45) LUIS VIVES: De tradendis disciplinisIII. Opera omnia, Valencia, 1785 , IV; p.300.

(46) NICOLÁS ANTONIO: Biblioteca hispana nova, Madrid, 1783 , I.p. 738 .

(47) KARL DANNENFELDT: The Renaissance Humanists and the Knowledge of Arabic, en "Studies in the Renaissance", 1955 , II, pp. 96 - 117 .

(48) Pascual de Gayansos : plans, elevations, sections and details of the Aehambra . Londres, 1942

(49) NICOLÁS ANTONIO: Biblioteca hispana nova, Madrid, 1783 , II, pp. 71 - 72 .

(50) ARNOLD STEIGER: Contribución a la fonética hispano-árabe...Intred. P.9 G. MAYANS YSISCAR: Orienes de la lengua española, Madrid, 1737, pp. 225 - 64 .

(51) Paul Hazard: la crise de la conscience europene, Paris .

(52) Pascul de Gaynngos : The History of the Mohammedan dynasties in Spain , London, 1840.

(53) M. MÉNENDEZ Y PELAYO: La ciencia española, p. 125

(٥٤) أنظر كتاب الفلاحة لأبى زكريا بن العوام الأشبيلى ، ترجمة خوسيه أنطونيو بانكيرى (مدريد ١٨٠٢) .

(55) M. MENÉNDEZ Y PELAYO: La ciencia española, p.125

(56) JOSE SÁNCHEZ PÉREZ: Un arabista española del siglo XVIII, Fray Patricio José de la Torre, en "Al-Andalus", 1953 ,XVIII, 2 , pp. 450 - 55 .

(57) M. MENÉNDEZ Y PELAYO: La ciencia española, p.125. JUES MOHL:Vingtsept ans d'Histoire de Etudes Orientales, Véase el informe correspondiente a cada año.

المستعربون المزيفون

هناك دائمًا أمل يراود الباحثين المدققين: أن يعثروا على وثيقة أصلية تمنحهم الصيت والشهرة ، وهو أمرٌ يصعب تحقيقه بطرق أخرى، وأحيانًا تكون أسباب الرغبة فى العثور على وثيقة أكثر بُعداً عن الأنانية وحب الذات: كالمحافظة على التراث أو الدفاع عن حقوق شعب أو رفع معنوياته أو إثبات أصل عادةٍ ما أو اعتقادٍ ما. وكانت كتب التاريخ المزيفة والمخطوطات المزيفة شيئًا مألوفًا فى مختلف عصور التاريخ.

ولم يكن ميدان الاستعراب خاليًا من مثل هذه الاكتشافات، رغم أنها – بسبب طبيعة المجال نفسه – لم تكن بنفس شيوعها فى المجالات الأخرى.

كان الميل إلى كتب الفروسية شائعًا فى إسبانيا خلال القرن السادس عشر ، وكان من بين هذه الكتب كتاب عن أخبار الملك رودريغو وغزو العرب لإسبانيا ، تختلط فيه القصص الشعبية بالتراث الحافل بالمغامرات الخاصة بالفرسان. كان هذا الكتاب عبارة عن رواية تبدأ فى الدوران حتى لتبدو مجهولة المؤلف، ولكن فى طبعات تالية نُسبت الرواية إلى بدرو كورال ، وكان عنوان القصة" تاريخ حكم الملك رودريغو وتدمير إسبانيا" ثم أُلحق بالعنوان فى طبعات لاحقة جملة " وكيف فتحها المسلمون، ألفه بدرو كورال فى أوائل القرن الخامس عشر"، وقد عُرف هذا الكتاب أيضًا باسم " أخبار المسلمين". كان الكتاب يتحدث بخيال بينما كانت الأحداث التى يرويها قريبة نسبيًا.

بعد ذلك بقليل كان الميل إلى هذا النوع من الكتب يتضاءل ، وبدأ القراء يشعرون بفضول يدفعهم إلى حب معرفة تفاصيل وأسباب تلك الأحداث، الأمر الذى لم يعد معه هذا الكتاب كافيًا. كان القراء يريدون روايةً أكثر توافقًا مع الذوق السائد ومع الاتجاهات الجديدة التى بدأت تأخذ بها الكتب المتعلقة بهذا الموضوع.

وقد أراد ميغيل دى لونا أن يملأ هذا الفراغ بكتابه " التاريخ الحقيقى للملك رودريغو" ، وكان ميغيل دى لونا غرناطيًا وابنًا لأبوين مسلمين ومترجمًا رسميًا للغة العربية [١] ، ولما كان واثقًا من الجهل العام بهذه اللغة ومن ضعف الاهتمام بالبحث الجاد فى هذا المجال فقد نشر عام ١٥٩٢ رواية أخرى تكذب روايته السابقة. ويدل العنوان الطويل الذى وضعه لها على هدفه من كتابتها: " القصة الحقيقية للملك رودريغو التى يُناقش فيها السبب الرئيسى فى ضياع إسبانيا وفتحها على يد أمير المؤمنين المنصور ملك أفريقيا والمغرب... كما يرويها العالم القاضى أبو القاسم طريف بن طارق العربى الأصل، ترجمها عن اللغة العربية ميغيل دى لونا الغرناطى مترجم مليكنا فيليبى" وطبعتها مؤسسة رينيه رابوات عام ١٥٩٢ ، وهناك نسخة نادرة جداً من هذا الكتاب فى إحدى مكتبات مدريد.

زعم ميغيل دى لونا أن مؤلفها هو أبو القاسم طريف بن طارق [٢] ليقوى حجته، كما فعل بدرو كورال فى كتابه " أخبار المسلمين". وتؤكد المخطوطة نفسها أن ميغيل دى لونا قد اكتشفها فى مكتبة الاسكوريال ، وأنه - كدليل على أمانته فى الترجمة - كتب فى الهامش الكلمات العربية غير المألوفة والتى يستخدمها المؤلف نفسه. لكن ميغيل دى لونا لم يضع فى حسبانه أن بعض هذه الكلمات كانت ذات استخدام حديث، أى يرجع استعمالها إلى عصر ميغيل دى لونا نفسه، وأن هذه الكلمات لم تكن مستخدمة فى القرن الثامن الميلادى ، وأنه بذلك يدل على تاريخ تأليف المخطوطة دون أن يدرى.

وكتاب ميغيل دى لونا أقل من الكتاب الذى أراد أن يحله محله من حيث الخيال ، وفى الوقت الحالى - بعد أن كُشف زيفه وفقد الأهمية التاريخية التى أراد المؤلف أن تكون له بين معاصريه - حقق الكتاب نجاحًا كبيرًا حتى أنه أُعيد طبعه عدة مرات فى سنوات قلائل. وللكتاب قيمة كبيرة كوثيقة لغوية وفلكلورية لعصره، ويتضمن قصصًا وروايات وأقوالاً كانت تجرى على ألسنة الناس حول تلك الأحداث حتى بين الطبقات الاجتماعية الفقيرة.

الكتب الرصاصية:

وكانت غرناطة بعد مائة سنة من سقوطها فى أيدى الملكين الكاثوليكيين لا تزال تحتفظ بطابعها الشرقى، كانت شوارعها وملابس أهلها وعاداتهم... كل ذلك كان يحمل الطابع الذى خلفته قرون من السيطرة العربية. كانت هناك فى غرناطة ثلاث طبقات محددة:

١ - الأرستقراطية التى ضمت إليها أموال الشعب المهزوم.

٢ - الطبقة الوسطى ومعظمها تجار حرير أو أصحاب صناعة كانت لا تزال مزدهرة فى المدينة

٣ - شعب كسول وضعيف احتل المكان الذى تركه المسلمون.

كل هؤلاء كانت تهمهم المسائل الدينية ، وكان تصديق كل هؤلاء لأنباء العثور على رفات قديسين وكتابات قديمة تصديقًا لاشك فيه.

وعندما هدمت بعض البنايات فى نهاية القرن السادس عشر لإقامة كاتدرائية عثر على صندوق به رفات قديسين ورقعة جلد عليها خمسة صلبان موضوعة على شكل صليب.[٣] ، وكانت رقعة الجلد عليها كتابة باللغة العربية تبشر بقدوم محمد فى القرن السابع وسط ظلام يمتد من المشرق إلى المغرب ، وتتنبأ بقدوم لوثر فى القرن السادس عشر على شكل فارس ، وتقول المخطوطة إنه بعد لوثر سيأتى يوم القيامة.

بعد ذلك بسنوات وعند القيام بالتنقيب فى ربوة بجبل سكرومونتى بغرناطة بهدف البحث عن بعض الكنوز التى ظن الناس وجودها فى بناية قديمة عُثر على لوحة رصاصية مستطيلة مكتوب عليها بحروف مسمارية باللغة اللاتينية.

وأعقب ذلك العثور على أشياء أخرى تخبر عن الشهداء والقديسين، وحتى نهاية عام ١٥٩٧ كان قد عُثر على لوحات وكتب باللغة العربية ذات دوائر متداخلة مع الكتابة أو ذات تراكيب من المثلثات والنجوم وعملات تقول الكتب إنها خاتم الملك سليمان. هذه الكتب لم تُنشر أبداً وكان هدفها أكثر طموحًا من أهداف الكتب التى سبقتها، كانت

هذه الكتب تهدف إلى توحيد الديانتين المسيحية والإسلامية ، ليس فقط لأنهما مشتركتان فى الأصل والتراث والأساطير ، بل لوجود براهين تدل على هذا الاشتراك فى النبوءات والوحى. كانت هذه الكتب تحاول إرضاء احتياجات وتطلعات أفراد تحولوا فى الظاهر إلى المسيحية ويشكلون جزءاً من المجتمع الإسبانى.

ظن المؤلف أن الشعب المسيحى سيصدق كل ما يصدر عن الحواريين الذين زُعم أنهم مصدر هذه الكتب، وظن المؤلف كذلك أن العربى أو المسلم سيشعر أنه مرتبط بشكل ما بحضارة ودين كان يعتبره منبوذاً . ويبدو أن الكتب كلها لم تصدر عن مؤلف واحد؛ فالبعض معلوماته سطحية وله تعبيرات معينة شبيهة بتعبيرات الرقعة الجلدية التى اكتشفت أثناء الحفر لبناء الكاتدرائية، أما البعض الآخر فيتمتع بثقافة دينية مسيحية أوسع حظا.

كان هناك اعتقاد بأن المخطوطات الأولى ترجع نسبتها إلى ميغيل دى لونا وبأن المخطوطات الأخرى ترجع نسبتها إلى ألونسو ديل كاستيو، وعلى مدى سبعة وثمانين عامًا كانت هذه المخطوطات هدفًا لمناقشات عنيفة بين المؤيدين والمعارضين ، وقد درسها الخبراء والباحثون وأساقفة الكنيسة حتى أُرسلت فى النهاية عام ١٦٨٢ إلى روما وأعلن البابا أنها افتراءات محضة من مخلفات الإسلام وأن الكنيسة تدينها[٤]

فاوستينو دى بوربون:

اسمه الحقيقى فاوستينو دوسكات ، وقِيل – دون أى دليل – إنه ابن الأمير غابرييل. كان أميناً للمكتبة الملكية و مؤرخًا ، وكان مستعرباً أكثر منه مؤرخًا . ويحكى غودوى الكانترا أن فاوستينو نشر إعلاناً فى صحيفة لا غاسيتا يدعو الناس إلى إحضار ما لديهم من مخطوطات ونقوش قديمة لكى يترجمها، وكان أصدقاؤه يتسلون بتأليف نقوش خيالية فى أشكال غريبة ويرسلونها إليه سراً ، وكان هو يحاول ترجمتها ثم يضمنها بعد ذلك فى كتبه ذات الموضوعات التاريخية.

وتحت عنوان " رسائل لتوضيح تاريخ إسبانيا العربية" ، وبدعوى مساعدة ماسديو فى أبحاثه، نشر فاوستينو سلسلة من الرسائل عرض فيها نتائج دراساته ، والنتيجة

التى توصل إليها فى غاية الأهمية ؛ فقد اكتشف - نقلاً عن مؤرخين عرب ذكر أسماءهم - أن سقوط إسبانيا لم يكن بسبب الحزب المعارض لحكومة رودريغو وإنما لأن الأمور سارت على النحو التالى: كان اليهود الكثيرون الذين يعيشون فى إسبانيا يشعرون بأنهم محتقرون ومضطهدون فتفاهموا مع عرب أفريقيا اليهود على أن يسلموا إليهم إسبانيا، وتحول رئيسهم خولان - بطريق الخطأ - إلى الكونت خوليان ، وكان " كعبة" اسماً لإحدى القبائل اليهودية فى إسبانيا وكان ما تعرضت له من اضطهاد دليلاً على الظلم الذى عامل به القوط الجنس اليهودى.

وعلى هذا النحو واصل فاوستينو تفسيره لسقوط إسبانيا طبقًا لما أوحى به إليه خياله فوضع تواريخ وأوجد حلولاً للقضايا واخترع المصادر العربية للأحداث. ويقول غودوى الكانترا إن فاوستينو دى بوربون لم يكن صاحب عبقرية وإن ادعاءاته لم تدخل التاريخ؛ لكن ما يقوله غودوى ليس بالأمر المطلق، فهناك بعض المؤرخين المعروفين بدقتهم قد صدقوا بعض أخبار فاوستينو المزيفة.

وفى العصر الحديث فقط - إبَّان مدرسة المستعربين الحديثة التى أسسها كوديرا - نُقدت كتب فاوستينو بشكل علمى وثبت زيفها، وكان فاوستينو يؤكد أن النصوص التى يستخدمها كمصادر موجودة لديه كمقتنيات خاصة إلا أنه لم يمكن العثور على هذه النصوص بعد وفاته ولم يتأكد وجودها بشواهد عن مؤلفين عرب(٥)

وقد نُشرت الرسائل عام ١٧٩٦ ، وفى السنة التالية نشر فاوستينو " مناقشات وتمهيد لشرح تاريخ إسبانيا العربية". وترك فاوستينو عدة أعمال بخط يده كلها تقريباً وصف لجغرافية إسبانيا العربية ولأقاليم كاستيا وأستورياس والباسك .وقد درست هذه الأعمال بعناية وقدمت لنا معلومات قيمة عن أسماء البلاد وحسب ما يقول غايانغوس (٦) فإن بعض هذه المخطوطات موجود فى مكتبات إنجلترا.

الهوامش

(1) JOSÉ CODOY Y ALCÁNTARA: Historia critica de los falsos cronicones, Madrid, 1868.pp.8-9.

(٢) يقول البعض إن هذا هو الاسم الحقيقي لميغيل دى لونا

(3) JOSÉ CODOY Y ALCÁNTARA: Historia critica de los falsos cronicones, pp. 44 y sig.

(٤) قدم أسقف سيغوربى – وهو دارس للغتين العربية والعبرية – تقريرا ضد هذه اللوحات ، وذلك فى
Parecer sobre las planchas que se han hallado en Espa¯na en 1595

(5) Francisco Codera y Zaidin, Informe sobre la historia de Caravaca y su santisima cruz, por D. Quintin Bas y Martinez, en {Boletin de la Real Academia de la Historia[, t. VIII, cuaderno VI ،junio 1866, pp. 429 - 39 , Informe sobre D. Faustino de Barbón y sus Cartas para ilustrar la historia de la Españna árabe, en Boletín de la Real Academia de la Historia, t. IX, cuaderno V, nov. 1886 , pp. 337 - 43 .

(6) PASCUAL DE GAYANGOS: The history of the Mohammedan dynasties in Spain, Pref., p.X.

خوسيه أنطونيو كوندى

خوسيه أنطونيو كوندى هو المستعرب الذى برز فى بداية القرن التاسع عشر. كان تأثيره عظيمًا داخل وخارج إسبانيا. وقد انقسم معاصروه ومن تبعهم إلى فريقين: فريق اعتبر آراء كوندى لا تقبل النقاش ، وفريق هاجمه بلا هوادة و اتهمه بالتزييف والاحتيال. أما فى الوقت الحالى فإن النقاد يسعون إلى وضع كوندى فى المكان الذى يستحقه ، فيخففون من مبالغات من هاجموه ومن أيدوه.

كان كوندى رائداً فى مجاله ولهذا فقد حدث له ما يحدث للرواد. قبل كوندى لم يكن أحد قد نشر أية دراسة عن فترة السيطرة العربية مستنداً إلى وثائق عربية، كان المؤرخون عموماً يقتصرون على البيانات الواردة فى كتابات المسيحيين ، وكانوا فى كتاباتهم يتركون فجوات ويأملون أن تُكتشف مصادر جديدة بمرور الوقت.

أما كوندى فقد رأى بوضوح ما يجب عمله، ورغم أنه ربما يكون قد أخطأ فى المنهج الذى اتبعه إلا أنه أراد أن يقوم بدراسة تجْمل التاريخ ، فى الوقت الذى لم تكن تتوافر بيانات كافية لذلك، أو اعتقد بحسن نية أن عُمْر شخص واحد يكفى للقيام بتلك المهمة. من ناحية أخرى استسلم لاتجاه عام فى كل عصر بين المشتغلين فى مجال غير مطروق بشكل كافٍ: ألا وهو استخراج نتائج من واقع بيانات غير مكتملة.

هذا الأمر كان خطيراً جداً فى زمن كوندى ؛ ففى مجال الدراسات العربية لم تكن هناك أبحاث تقريباً ؛ وبالتالى فإن جمهور القراء كان يتقبل بيانات وأفكار أى مستعرب دون أن تتوافر للقارئ إمكانية مضاهاة هذه البيانات ببيانات أخرى لمعرفة قيمتها الحقيقية ؛ وهكذا فقد انتقلت بعض أخطاء كوندى مختلطة بالصواب ، وهذا ما استند إليه مهاجموه فى نقده.

لو أن كوندى عاش بضع سنوات أخرى لربما تخلص من بعض هذه الأخطاء. إن كوندى نفسه لم يتوفر لديه الوقت للمراجعة ولإتمام دراساته. الجزء الثالث من كتابه "تاريخ السيطرة العربية فى إسبانيا" نُشر بعد وفاته واستند إلى بيانات وأوراق تركها كوندى دون ترتيب [١] . ليس من المستغرب إذن أن تكون هناك أخطاء، ورغم ذلك فمن المذهل تخيل حجم المجهود الذى قام به للإطلاع على مخطوطات مدريد والاسكوريال التى يشير إليها، بالإضافة إلى المصادر المسيحية التى رجع إليها، حدث هذا فى سنوات شائكة ، خاصة فى أواخر سنوات عمره.

وُلد كوندى عام ١٧٦٦ فى بلدة بيراليخا، ويلخص لنا كاتب سيرته الذاتية بدرو روكا[٢] دراساته وأعماله من واقع قائمة أعدها كوندى نفسه لكى يطلب منحة كنسية من الملك. نذكر من هذه الدراسات والأعمال ما يتعلق بدراسته للغات الشرقية وصدى أعماله: فى عام ١٧٨٩ تقدم لشغل وظيفة أستاذ كرسى اللغة العبرية فى جامعة ألكالا ، وتحدث خلال يوم واحد عن الجانب النحوى الذى طُلب منه التحدث عنه وأجاب على أسئلة الممتحنين، وفى امتحان آخر قام بترجمة فصل من كتاب باللغة العبرية وترجم نصًا آخر من " تاريخ الملوك" طُلب منه ترجمته دون إعداد مسبق، وفى عام ١٧٩٠ تقدم لشغل وظيفة أستاذ كرسى اللغة اليونانية بنفس الطريقة وطلب التقدم لشغل وظيفة أستاذ كرسى اللغة العربية[٣]

كانت لكوندى بعض المشاكل مع محكمة التفتيش بسبب شكوى قُدمت ضده واتُهم فيها بأنه ذكر أشياء لا تليق بالمسيح وبأنه قال إن كل مزامير داود ليس فيها ما يدعو للإعجاب إلا أنها كُتبت شعِراً، وبأنه ألف كتاباً يتغنى بالجنس، لكن هذه الاتهامات لم تثبت ولم تؤثر فى مسيرته المهنية؛ ففى عام ١٧٩٥ عُين أميناً للمكتبة الملكية وظل فى هذا الموقع لمدة عشرين سنة.

ملامح كوندى الجسدية نجدها فى الشكوى التى قُدمت ضده إلى محكمة التفتيش: "قامة تقل عن مترين، لونه أسمر، وجهه ممتلئ ومستدير، حاجباه كبيران، شعره طويل وأسود كعينيه".

كان كوندى صديقًا للسيد لياندرو فيرنانديث موراتين ربما منذ عام ١٧٩٢ ، واستمرت الصداقة حتى فرقت بينهما ظروف إسبانيا السياسية. كان السيد لياندرو يزور البنسيون الذى يقيم فيه كوندى لسببين: لزيارة ابنة أخيه الشابة والتى كان يقوم برعايتها، وكذلك لأنه كان على علاقة عاطفية بابنة صاحب البنسيون. كان موراتين شديد الإعجاب بمعلومات كوندى "الغريبة" وعندما كان يراسله كان يدعوه "العالم المسلم مصطفى وجايلولى ومارلين".

فى مذكرات موراتين(٤) – رغم خلوها من الصفحات الخاصة بالسنوات التى تعرَّف فيها على كوندى – تكثر الإشارة إلى كوندى ويتضح أنهما كانا صديقين حميمين، وأنهما كانا يتنزهان معًا ويستمتعان بذلك ، وأنهما كانا يرتادان نفس الأماكن التى كانت تعقد فيها ندوات أدبية ، ومع ذلك فلابد أن شخصيتيهما كانتا مختلفتين؛ ففى الخطابات المتبادلة تتعارض حدة وسخرية موارتين الشديدة مع النغمة اللينة والهدوء اللذين ميزا كوندى.

استمرت هذه الصداقة بلا انقطاع إلى أن جاءت حرب الاستقلال وسببت أذىً ومضايقات لكوندى؛ إحدى هذه المضايقات جاءت بسبب أنه استمر على نهج صاحبه ؛ ففى عام ١٨٠٨ ، عندما سقط غودوى ، لم يكن موراتين الخائف يجرؤ على العودة إلى بيته لينام، فكان ينام فى بيت كوندى ولهذا فعندما أخلى الجيش الفرنسى مدينة مدريد شعر كوندى بأنه متورط فغادر المدينة مع موراتين واستقر فى فيتوريا. هذه الخطوة ستحدد تصرفاته مستقبلاً. عاد الاثنان مع الجيش الفرنسى فى نهاية العام وعُين موراتين أيضًا أمينا لمكتبة جلالة الملك.

تلك الأوقات العصبية منعت كوندى من تكريس جهوده للدراسة التى كان يحبها، وفى ٢٧ مايو ١٨١١ كتب رسالة إلى ساسى يقول فيها : " إن مشاكل هذا البلد قد حرمتنى كثيراً من ربات الأدب العربى، مع ذلك فإننى لم أفقد حتى الآن حبى لها ، وحينما أستطيع فإننى أسلم نفسى إليها بحب..." يقول فى الرسالة إن كتابه عن تاريخ السيطرة العربية رغم أنه قد تم فى شكله الأساسى إلا أنه متوقف بسبب رغبته فى إضافة بعض الملاحق عن مملكة غرناطة، " لكن المصادر العربية ليست كثيرة لأن

الكاردينال ثيسنيروس الشهير ومحكمة التفتيش قد حرمونا من هذه المذكرات التاريخية. كان أى كتاب عربى حينئذٍ يُحرق كما لو أن كل الكتب كانت مصاحف".

يقول بعد ذلك إن الظروف اضطرته إلى السفر إلى أندلوثيا وكان حينذاك رئيس قسم فى وزارة الداخلية، ويضيف : "انظر كم كان قدرى متعارضًا مع الهدوء والسكينة اللذين تتطلبهما الدراسة واللذين كنت أميل إليهما بالفطرة، لكن بما أن التعساء يعيشون على الأمل فإننى أتمنى أن أفوز ذات يوم بالهدوء الذى ينقصنى الآن. هذه التنقلات العسكرية تعرفت خلالها على نقوش عربية هامة لدراسة تاريخ بنى أمية الذين عاشوا هنا. سأتحدث عن ذلك في رسالة أخرى"(٥)

ولما عاد إلى مدريد ١٨١٢ إبان معركة لوس أرابيليس(٦) اضطر هو وموراتين مرة أخرى إلى مغادرة العاصمة. فى هذا السفر افترقا ولم يلتقيا بعد ذلك أبدًا . خرج كوندى فى سيارة عسكرية مصاحبًا للملك خوسيه وظل فى فرنسا لمدة عام تقريبًا. خلال هذه الفترة التى قضاها فى فرنسا – والتى كانت مفيدة لدراسته – عايش سيلفسترى دى ساس الذى لم يكن يعرفه إلا عبر الرسائل ، وقد استمرت الصداقة بينهما طوال حياتهما.

عاد كوندى إلى إسبانيا عام ١٨١٤، أما موراتين فقد فضَّل البقاء فى الخارج إما خوفًا من الانتقام وإما لأنه كان قد ضجر بالسياسة التى أماتت فيه حب الوطن الجميل. استفاد كوندى من قرار الملك فيرناندو السابع الذى يبيح لحاشية الملك الأجنبى الإقامة فى أى مكان فى إسبانيا عدا مدريد. حاول أن يقيم فى بلده الأصلى ، لكن مشاكل أقاربه لم تمكنه من ذلك، فسافر إلى مدريد وعاش مختبئًا فى البنسيون الذى كان يقيم فيه من قبل دون أن يخرج رأسه من الباب أو من الشباك(٧) إلى أن حصل على إذن بحرية التنقل عام ١٨١٦ .

كان سجنه الاختيارى جميلاً لأنه أحب ابنة أخ موراتين الشابة. استغل الوقت أيضًا لكى ينهى الجزء الأول من كتاب " تاريخ العرب". بدأت حينئذٍ مشاكل نشر المخطوط؛ ففى رسالة عام ١٨١٥ يقول له موراتين : " سيدى كوندى ، ليس هناك من

يُخرج من رأسى أن الفائدة الوحيدة التى يمكن الخروج بها من كتاب " تاريخ العرب" هى أن تبحث عن أديب يترجم لك الكتاب إلى الفرنسية وأن ترسله مُترجمًا إلى شخص تثق فيه فى باريس لكى يحاول بيعه هناك. إن التفكير فى نشره فى إسبانيا مستحيل. لقد انتهى زمن القراءة والكتابة" (٨)

بعد أن حصل كوندى على تصريح بالإقامة فى مدريد أُعيدت له أملاكه التى لم تكن كثيرة وأعادوه إلى أكاديمية اللغة وأكاديمية التاريخ اللتين كان عضواً بهما منذ سنوات. يقول له موراتين بهذه المناسبة فى ٢٤ يوليه عام ١٨١٦ : " يسعدنى يا صديقى المسلم عودتك، أعطاك الله الصحة..."

تزوج كوندى - بعد سلسلة من المصاعب - من قريبة موراتين ، لكن السعادة والحياة الهادئة لم تستمرا طويلاً. ظل يعمل فى المكتبات ويحاول نشر كتابه - وقد رأى بروفته الأولى بالفعل - لكنه مات بعد ذلك بقليل فى مدريد فى ١٢ يونيه عام ١٨٢٠ . فى إحدى مقدمات كتابه " تاريخ العرب" (برشلونة عام ١٨٤٤ ص ٨) يُذكر أنه مات فى فرنسا وهو بالمنفى، لكن ليس هناك شك فى خطأ هذه المعلومة.

كتب موراتين بعض أبيات من الشعر فى رثاء صديقه يأسف فيها على فقدانه ويذكر فيها علومه ويمتدح فيها معارفه العميقة. يقول :

إله الضوء منحك العلم

باللغات المختلفة

وأنت امتلكت

جمال الأسلوب

الذى استعمله الفصحاء

من العرب والرومان

يشير بعد ذلك إلى "تاريخ العرب" فيقول إن التاريخ قد رفع الحجاب عن الأحداث لكى يراها كوندى ويتمكن من أن يحكى للعالم ما حدث فى إسبانيا : -

منذ أن أرسلت السماء

لعنتها إلى خيريث

وإلى الأرض الذليلة

سقطت عزة إسبانيا

واعتلى عرش القوط

أحفاد إسماعيل

ثم تحطمت القيود الأخيرة

ورأى العرب المهزومون

صليب ايسابيل

على قصر الحمراء (٩)

أعماله : -

أول دراسة هامة نشرها كوندى هى " وحدة إسبانيا للشريف الإدريسى المعروف بالنوبى" (١٠) وهو كتاب معروف حالياً "بجغرافية النوبى "

كان أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله إدريس (١١٠٠ - ١١٦٠) - المعروف بين الإسبان بالادريسى - جغرافيًا عربيًا من شمال أفريقيا. استقر فى صقليه هربًا من اضطهاد المهدى الفاطمى كما يقول كوندى (١١) ، أو بدعوة من أمير صقلية - روجر الثانى الفاتح - كما يقول رواة معاصرون (١٢) ، وكان هذا الملك المهتم بقضايا فلكية وجغرافية يريد أن يحصل على وصف للأرض طبقًا التجربة المباشرة وليس استنادًا إلى الكتب.

تكلف الإدريسى بهذه المهمة وأمر جغرافيين أن يجوبوا العالم المعروف بصحبة رسامين وأن يقدموا له ملاحظاتهم. كان من بين نتائج هذه المادة العلمية ودراستها

كتاب " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" أو كتاب روجير؛ لأن الإدريسى أهدى الكتاب للأمير وقد انتهى منه عام ١١٤٥[١٣].

كانت ترجمة كوندى للكتاب – تحت عنوان "نزهة الشوق فى تقسيم الأقاليم" (*) – خطوة هامة فى معرفة هذا العمل رغم أنه ترجم مخطوطة غير كاملة ومجهولة المصدر . كانت المخطوطة ملكًا لكوندى دون شك لأنه لا يشير إلى المكان الذى وجدها فيه . إنه يقول فى المقدمة: " من بين المخطوطات الكثيرة الموجودة لدى جلالة الملك لا توجد أية مخطوطة لهذا الجغرافى ولا لأى مؤلف آخر يصف إسبانيا إلا إذا كان ذلك لم يلفت نظر الغزيرى الشهير، وهذا ليس غريبًا لأن مخطوطاتنا عبارة عن مقتنيات شخصية وناتجة عن الصدفة ، ورغم وجود كثير من المخطوطات إلا أن كتب الشرق القيمة تنقصنا"[١٤]

كان كوندى يعمل فى عجلة ولم يكن يتوافر لديه الكثير من أدوات النقد. كان عادةً يكتفى بترجمة ما يجده أمامه إلى اللغة الإسبانية دون أن يحاول التأكد من صحة ترجمته، إلى جانب أنه كان يحاول أن تكون ترجمته أقرب شكلاً إلى النص الأصلى ، وهو ما أدى إلى غموض ترجمته بدلاً من الوضوح الذى كان يحاول الوصول إليه. فى كتابه "الجغرافيا" يحافظ على الكلمات العربية مثل "مدينة" و "جبل"، إنه يفعل ذلك لأنه يرى فيه وسيلة فعالة حتى يتمكن من يرغب من القراء ممن لا يجيدون العربية من التخمين ومضاهاة أسماء المدن المذكورة بالأسماء المحلية. لكن النتيجة ، هى أن "أولئك الذين لا يفهمون العربية" كان من الصعب عليهم جداً التخمين ومعرفة أماكن البلاد من واقع اسمها العربى.

إن ترجمة كوندى يمكن استخدامها إلى الآن مع بعض التحفظات، لكن بعد وقت قليل فقدت ترجمة كوندى قيمتها بعد نشر ترجمة دوزى وجوخ (لندن ١٨١٦) التى تحمل عنوان " الإدريسى. وصف أفريقيا وإسبانيا"

(*) العنوان الأصلى للكتاب – كم هو معروف – " نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق " (المترجم) .

بعد ذلك بسنوات أصدر إداردو سابيدرا طبعة فريدة من الكتاب وصوَّب ترجمة كوندى فى الجزء المتعلق بإسبانيا وذلك من خلال سلسلة مقالات نُشرت فى مجلة : " Boletín de la Real Sociedad Geográfica de Madrid " (١٥) ثم فى كتاب مستقل بعنوان " جغرافية إسبانيا للإدريسى" مع نشر النص العربى (مدريد١٨٨١)

وفى أوائل سنوات القرن التاسع عشر نشر دراستين لهما علاقة ثانوية بالحضارة العربية؛ إذ يشير فيهما إلى اللغة بشكل عام. هاتان الدراستان هما : "نقد من يزعم فضل وقدم اللغة الباسكيه"(مدريد ١٨٠٤) ، و" نقد الحروف الهجائية البدائية فى إسبانيا"(مدريد ١٨٠٦) الدراستان عبارة عن نقد ساخر موجَّه أساسًا إلى د.ج.ب دى إيرو استاريا(١٦) الذى حاول إثبات أن اللغة الباسكية هى أصل كل اللغات من الفينيقية إلى اللاتينية. يقول استاريا أيضًا إن اللغات الإغريقية واللاتينية والعربية والكلدانية واللغات المشتقة منها لغات ناقصة وإن اللغة الوحيدة التى تفيد الأمم المتحضرة هى اللغة الباسكية لأنها لغة كاملة ولأنها اللغة التى وهبها الله لآدم وحواء. رد عليه كوندى بسخرية وقال – ردًا على اتهام اللغات العربية والكلدانية بالنقص – " إنه من الصعب توجيه نقد إلى لغة ما إذا كان الإنسان يجهل مجرد الحروف التى كُتبت بها"

هاتان الدراستان هامتان إذ يتحدث فيهما كوندى عن لغة واحدة تفرعت فيما بعد عندما تفرق أبناء وأحفاد آدم وحواء إلى شعوب وقبائل ثم تفرَّعت كل لغة جديدة بدورها إلى لغات، لكن هذه اللغات جميعها بها آثار من اللغات العبرية والعربية والكلدانية. هذا الأمر يؤكد أن كوندى كان على دراية واسعة بالمشاكل اللغوية ، وهو شىء لم يكن شائعًا فى عصره فى إسبانيا، ويؤكد أيضًا أن ثقافة كوندى لم تكن ضحلة كما أشاع أعداؤه.

وقد استمر هذا الجدل حول اللغات لسنوات طويلة، وكما كان يحدث دائمًا فى المسائل الجدلية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تمخض الجدل عن شتائم متبادلة(١٧)

كما أبدى كوندى اهتمامًا كبيرًا بالعملات العربية وقُرأ عدة أبحاث فى أكاديمية التاريخ عن هذا الموضوع. أحد هذه الأبحاث كان تحت عنوان " رسالة حول العملات العربية خاصة تلك التى صكها المسلمون في إسبانيا"(٢١ يوليه ١٨٠٤) ونُشر في المجلد الخامس. هذا البحث جعل الأكاديميين يطلقون عليه " أثرى أو عتيق الأكاديمية". فى هذا البحث يُدلى كوندى بمعلومات جديدة تمامًا عن العملات ويحاول تحديد أسماء المدن التى اتخذها الملوك مقرًا لسك العملة، كما يحاول تحديد قيمة العملات العربية فى مقابل العملة المسيحية.

وكانت لكوندى كذلك دراسات أخرى متعلقة بالحضارة العربية لكنها أقل أهمية ، مثل التقارير التى قدمها للأكاديمية حول الأمور التى استُشير فيها. من بين هذه التقارير هناك تقرير عن نقوش سيف عربى ربما ينتمى إلى أحد ملوك غرناطة وتقرير آخر قدمه فى ٢ مارس ١٨٢٠ عن إناء لتسخين الماء به آيات قرآنية تتعلق بالطهارة ونظافة الجسد(١٨).

* * *

أما الدراسة التى يمكن اعتبارها مفخرة ومأساة كوندى فى آن واحد فهى كتاب " تاريخ السيطرة العربية فى إسبانيا"

كان الجميع ينتظرون بشوق نشر هذا الكتاب. كان كوندى يُعلن عن الكتاب للعامة والخاصة ربما قبل أن يبدأ هو فى كتابته، ففى أبحاث قدمها أكاديميون آخرون إلى أكاديمية التاريخ كانوا يعلنون عن الكتاب بحماس كبير كدراسة غير عادية، بل إن أكاديمية التاريخ نفسها قد نشرت تقريظًا للكتاب قبل أن يُنشر؛ ففى المجلد الرابع الذى يتضمن أبحاث الأكاديمية (ص LXII LXIII) نقرأ:

"إن الأكاديمية يسرها أن يشتغل بعض أعضائها فى أبحاث تسهم فى نشر الثقافة العامة بين الشعب وتؤكد تميز مؤلفيها، من هذه الأبحاث... كتاب " تاريخ المسلمين فى إسبانيا" لخوسيه أنطونيو كوندى ، وقد أوشك على الطبع ، وسيؤدى إلى ثورة فى مجال الأدب والبحث".

وفى المجلد السادس الذى يتضمن أبحاث عام ١٩١٨ (ص LXXV) نقرأ:

" يالفرحة الأكاديمية عندما ترى ثمرة علم كثير من أعضائها الذين يعلون من قدرها بكتاباتهم المتميزة. خلال هذا العام بدأ نشر كتاب " تاريخ إسبانيا العربية" الذى ألفه الزميل الراحل خوسيه أنطونيو كوندى والذى استمعت الأكاديمية إليه شخصياً وهو يقرأ مقدمة هذا الكتاب. تحدث فى مقدمة الكتاب عن صعوبة المهمة وقدم نقداً موضوعياً للمؤلفين الذين سبقوه فى هذا المجال وعرض خطة البحث والمراجع التى استند إليها لكى يقدم كتاباً عن موضوع غير معروف فى أوربا"

فى الوقت نفسه كانت هناك دعاية ضخمة للكتاب فى الصحف والمجلات المتعلقة بالأدب؛ ففى مجلة ثينسور Censor (٢٧ يناير ١٨٢٦) – على سبيل المثال – هناك افتتاحية تتحدث عن قرب صدور الأثر التاريخى وتقول إن العالم أجمع ينتظر بشوق صدور هذا الكتاب الذى سيقدم معلومات جديدة عن الفترة التى سيطر العرب فيها على إسبانيا.

بهذه الدعاية كان الناس ينتظرون بشوق أن يحوزوا بين أيديهم هذا الكتاب الأعجوبة، وقد ظهر الكتاب فى النهاية (المجلدان الأول والثانى فى ١٨٢٠ والثالث فى ١٨٢١) تقول صفحة الغلاف " تاريخ السيطرة العربية فى إسبانيا من واقع مخطوطات ورسائل عربية" تأليف الدكتور خوسيه أنطونيو كوندى الأستاذ بجامعة ألكالا وعضو الأكاديمية الملكية للغة وأكاديمية التاريخ... ومراسل الأكاديمية فى برلين، مدريد، مطبعة غارثيا، ١٨٢٠

بعد ذلك بأربع سنوات نُشر الكتاب فى فرنسا تحت عنوان " تاريخ سيطرة العرب والمسلمين فى إسبانيا والبرتغال منذ غزو شعوبها وحتى طردهم النهائى... باريس، ١٨٢٥ ، ثلاثة مجلدات". لم تكن الترجمة فى الواقع ترجمة حرفية، بل تنقيحاً للكتاب بالاستعانة بالمعلومات التى قدمها كوندى. وفى عام ١٨٢٤ ترُجم الكتاب إلى الألمانية . وفى عام ١٨٤٠ نشرت طبعة ثانية للكتاب فى باريس فى المجلد التاسع عشر

من " مجموعة لأفضل الكتاب الإسبان"[١٩] وفى عام ١٨٤٤ أعـيد نشـره فى برشلونة (الأجزاء ٢٨، ٢٩، ٣٠) ضمن مجموعة " كنوز كبار الكتاب" وأعيدت طباعته فى نفس العام. وفى عام ١٨٥٤ ترجمه إلى الإنجليزية جوناثان فوستر تحت عنوان " تاريخ سيطرة العرب فى إسبانيا"(لندن ١٨٥٤ ثلاثة مجلدات) . وقد استمرت شهرة الكتاب ونجاحه لعدة سنوات.

لم ير كوندى الكتاب مطبوعًا فى حياته وهو الذى كان يضع آمالاً كثيرة على هذا العمل، فعندما مات كوندى كان الكتاب فى مرحلة الطبع ، وقد تولى صديق له – خوان تينيو راميريث الذى لم يكن يعرف العربية ولا قيمة الكتاب – تولى عملية المراجعة وتصويب الأخطاء. هذا هو السبب فى وجود كثير من الأخطاء فى الكتاب تتعلق بسوء تنظيم الموضوعات وبالتكرار ، حيث تظهر بعض الأحداث فى أكثر من فصل وتروى بنفس الطريقة دون تغيير، هذا إلى جانب ظهور شخص واحد بأسماء متعددة.

النص الأصلى للكتاب محفوظ فى مكتبة مدريد الوطنية[٢٠] ويقول روكا إنه قارن النص المخطوط للمقدمة بالنص المطبوع ووجد اختلافات كثيرة ، وهناك فرق كبير بين المجلد الأول الذى راجعه كوندى قبل وفاته وبين المجلدين الثانى والثالث. الفروق تتعلق بالتنظيم والدقة وهو ما يشير – دون شك – إلى أن النص لم يكن جاهزًا للطبع عند وفاة كوندى، فعلى سبيل المثال هناك فى المجلد الأول (ص ١٢٤) ملحوظة تقول " بدا من المناسب أن نترك أسماء المدن كما هى بالتغييرات التى أحدثها العرب وهذه التغييرات موضحة فى الكشاف الجغرافى" ، لكن هذا الكشاف الجغرافى – الذى كان كوندى ينوى إضافته دون شك – لم يُنشر أبدًا.

من المعلوم أن كوندى قد أنفق سنوات كثيرة فى إعداد الكتاب نظرًا لصعوبة وحداثة الموضوع ونظرًا لظروف حياته وحياة إسبانيا فى ذلك العصر ونظرًا للكم الهائل من المراجع التى استند إليها. لم يفطن أحد قبله إلى أهمية وجود كتاب عن تاريخ إسبانيا فى العصور الوسطى مبنى على مصادر عربية. لاشك أن هذه الفكرة خطرت بباله عندما عكف على ترتيب ودراسة المخطوطات العربية الموجودة فى مكتبة القصر الملكى ، وعندما رأى كثرة المعلومات الجديدة التى تتضمنها تلك المخطوطات.

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة مجلدات وأربعة أجزاء ومقدمة طويلة جداً يتحدث فيها المؤلف عن الدراسات العربية فى إسبانيا فى عصره وحالة المكتبات وعدم اهتمام الحكومة بهذه الدراسات. بعد ذلك يعرض المؤلف الطريقة التى انتهجها والكتب المخطوطة التى استند إليها.(٢١)

يسير تقسيم الأجزاء على النحو التالى:

الجزء الأول: منذ العرب الأوائل الذين قدموا إلى الأندلس إلى نشوب الحروب الأهلية بين الزعماء العرب فى إسبانيا

الجزء الثانى: منذ عبدالرحمن بن معاوية المتخفى بين عرب شمال أفريقيا إلى فترة حكم هشام (٤٢٢ هـ)

الجزء الثالث : منذ اختيار جوهر Jehwar والحروب الأهلية بين المسلمين إلى عصر إمبراطورية بنى مرين.

الجزء الرابع : منذ حروب الطوائف إلى حصار غرناطة وتسليمها.

هذا الجزء الرابع يتناول بشكل واضح توغل المسيحيين فى الأندلس، وفى نهاية الكتاب يُدخل المؤلف حكاية الفارس ناربايث والفتى المسلم العاشق(*). بعد ذلك يقدم قائمة من ملوك إسبانيا العرب وسنوات وفاتهم منذ عبدالرحمن الأول إلى آخر ملوك الموحدين(٤٣٠- ٤٣٤). يواصل سلسلة ملوك الطوائف ويضيف أمام كل ملك السنة التى أُقصى عن العرش فيها بالتقويم المسيحى، وبعد ذلك يكتب صفحتين ويضيف صفحة تتضمن ٦٦ كلمة عربية استخدمها فى النص مع مقابلها الإسبانى، وفى آخر الكتاب هناك فهرس لجميع الأجزاء.

يُقدم الكتاب كما لو كان تأليفًا لا ترجمة ، ويريد كوندى بذلك أن يشعر القارئ بأنه يقرأ كتابًا عربيًا ، ولهذا يحاول المؤلف الحفاظ على الأسلوب البلاغى الذى تتميز به

(*) ترد الحكاية فى رواية ابن سراج، وهى رواية ينسبها بعض النقاد إلى مؤلف موريسكى أو – على الأقل – إلى مؤلف متعاطف مع مسلمى الأندلس (المترجم) .

المصادر، بل إنه يُدخل بعض القصائد في النص على عادة المؤلفين المسلمين. هذه الفكرة – رغم أنها جديدة في زمن كوندي – لم تكن من بنات أفكاره ؛ إذ يذكر منينديث بلايو في كتاب "العلوم الإسبانية" (الجزء الثالث، ص ٢٥٤) اسم ماركو اوبيليو ثيتيروني الذي وضع كتاب " دراسة تاريخ متعلقة بزمن استيلاء المسلمين على أفريقيا وكيف عبروا إلى إسبانيا بعد ذلك" ، الكتاب مترجم عن العربية. يضيف بيلايو : " في هذا الكتاب الصادر في القرن السابع عشر والذي يشبه كتاب كوندي يُدخل المؤلف عدة مقطوعات شعرية من بينها مرثيات شهيرة للمعتمد بن عباد مترجمة إلى الإسبانية"(٢٢)

كان معظم المخطوطات التي استعملها كوندي من مكتبته الخاصة. لم يكن أحد يعرف إلى أين ذهبت تلك المخطوطات، أما في الآونة الأخيرة فقد نشرت قائمة بكتب كوندي التي بيعت في مزاد علني بلندن وتم التعرف على كثير من المخطوطات المذكورة في كتابه، وهكذا تدحض التهمة التي ألصقها به البعض – ومن بينهم دوزي – والتي تقول إنه اخترع بعضاً من مصادره.

اعتباراً من ٦ يوليه ١٨٢٤ بدأ المزاد وبهذه المناسبة نشر البائع قائمة بكتب كوندي تحت عنوان " قائمة الكتب الإسبانية النادرة والهامة. وبعض المقالات المتفرقة التي تشكل مكتبة السيد خوسيه أنطونيو كوندي"

هذه القائمة نشرها عام ١٩٥٦ السيد رون دي لا باستيدا (وهو الاسم المستعار للسيد رودريغيث مونيينو)(٢٣) في الجزء المتعلق بالكتب العربية. ويشغل القسم الشرقي من القائمة المائة وتسعين كتاباً الأخيرة ومن بينها تسع نسخ بيد كوندي لمخطوطات من مكتبة الاسكوريال. هناك كتب أخرى كثيرة – ليست عربية ولكنها متعلقة بهذا المجال – عبارة عن دراسات غير منشورة للسيد ماريانو نيرزي أستاذ اللغة العربية بالدراسات الملكية بمدريد في السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر، ولابد أن كوندي كان قد اشترى هذه الكتب.

وقد اشترى اللورد كنجسبورو كثيراً من هذه الكتب والمخطوطات وأهداها فيما بعد إلى الجمعية الآسيوية.

ورغم تأكيدات كوندى فى المقدمة أنه لم يستند إلا إلى مصادر عربية فإنه من الثابت أنه استعان بمصادر أخرى للحصول على بيانات عند عدم وجود مصادر عربية أو عند وجود لبس.

إن دراسة كتاب كوندى يُفهم منها أنه أتبع ثلاث طرق فى إعداده : الأولى هى النصوص العربية الأصلية التى ترجمها بدقة أو بغير دقة حسب صعوبة نص المخطوطة. عمومًا يذكر كوندى اسم العمل الذى يترجمه لكنه فى بعض الأحيان لا يذكره، هذا ما استند إليه دوزى وغيره لكى يؤكدوا أن كثيراً من المعلومات الواردة فى كتاب كوندى قد اخترعها هو. لاشك أن هذه المعلومات كان مصدرها المخطوطات التى بحوزته والتى ضاع بعضها بعد وفاته. ولدى ظهور وثائق ومخطوطات جديدة فى المكتبات وترجمتها ونشرها تأكدت صحة كثير من تأكيدات كوندى، وقائمة الكتب المشار إليها مثال على ذلك.

المصدر الثانى هو دمج مصدر لاتينى ومصدر عربى. عندما تكون هناك روايتان إحداهما عربية والأخرى لاتينية وتتفقان فى الخطوط العامة والمصدر العربى به نقطة غامضة لم يكن يتورع عن الاستعانة بالمصدر اللاتينى لتعويض النقص الموجود فى الرواية العربية. هذه الطريقة انتُقدت أيضًا ، لكنها مشروعة بل محمودة ، وقد لجأ إليها كوندى فى مرات قليلة عندما كان الأمر يتعلق بتحديد تاريخ أو اسم شخصية.

المصدر الثالث هو " تاريخ العرب" لرودريغو دى توليدو، ويبدو أن كوندى قد أخذ عن هذا المصدر فقرات طويلة دون الإشارة إليه وهو ما يجعل القارئ يظن أنه يستمر فى قراءة مصدر عربى[٢٤] ومع ذلك فهذا أمر صعب الإثبات ، فهناك مخطوطات عربية لم تُكتشف بعد وربما قرأها كوندى. من الممكن إذن أن تكون بعض هذه الفقرات لمؤلفين عرب قرأ لهم رودريغو دى توليدو.

نجح كتاب كوندى كما ذكرنا نجاحًا هائلاً خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. إن طبيعته الأدبية أكثر منها علمية وإصرار المؤلف على المحافظة على أسلوب المؤلف العربى الأصلى " بحيث يمكن أن نقرأ كما كانوا يكتبون"(٢٥) وحداثة الموضوع وغرابته... كل ذلك جذب اهتمام القارئ الذى كان يتأهب لدخول عصر الرومانسية.

وقد تُرجم كتاب كوندى وقُلد واقتُبِس منه. إن المؤرخين اللاحقين قد اكتفوا بالأخذ عنه دون أن تخطر ببالهم فكرة التثبت من معلومات الكتاب أو الشك فيها. وبشكل عام كان كتاب كوندى على مدى سنوات كثيرة هو أساس أى خبر يتعلق بالعرب، سواء فى مجال التاريخ أو فى مجال الأدب.

الهوامش

(1) JOSÉ ANTONIO CONDE: Historia de la dominación de los árabes en España, Barcelona, 1844 .Prólogo, p.XIX.

(2) PEDRO ROCA: Vida y escritos de D. José Antonio Conde, en "Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos", tomo VIII, enero. junio 1903 ,Pp. 378 - 394 y 458 - 469 ; tomo X, enero. junio 1904, pp . 27 - 42 .

(3) PEDRO ROCA: Vida y escritos..., en "Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos", 1903, p.379.

(4) LEANDRO FERNÁNDEZ DE MORATÍN: Diario, Madrid, Biblioteca Nacional, Manuscrito 5617

(5) Quatre lettres de J.A. Conde a Silvestre de Sacy, publiées por Hartwig-Derenbourg et L. Barrau-Dihigo,en "Revue Hispanique", XVIII,1908, pp. 258 - 278 .

(٦) حدثت معركة أرابيليس فى ٢ يولية عام ١٨١٢

(7) PEDRO ROCA: Vidas y escritos..., en "Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos" junio 1903, p. 463

(٨) كل الفقرات الواردة فى الرسائل مأخوذة عن كتاب تاريخ حياة كوندى المذكور فى الفقرة السابقة

(9) JOSÉ A. CONDE: Historia de la dominación de los árabes en España, Barcelona, 1844, p.XI.

(10) JOSÉ A. CONDE: Descripción de España del Xrif Aledrís, conocido por el Nubiense, con traducción y notas por..., Madrid, 1799 ,XX-134 pp.

(11) JOSÉ A. CONDE: Descripción de España... Prólogo,p.III.

(12) ANGEL GONZALEZ PALENCIA: Historia de Literatura árabe, Madrid, 1928, p. 198 .

(13) Nubiensis Geografia, id est, accuratissima totius orbis in septem climata divisi descriptio, ex arabico in lat. Versa a G. Sionita et p. Hersonita, Parisiis, 1619,Traducción latina bastante mediana.

(14) JOSÉ A. CONDE: Descripción de España..., Prólogo, p. V.

(15) "Boletín de la Real Sociedad Geográfica de Madrid", XVIII, 1885 ,pp.234-40: XXVII,1889, pp. 171 - 77 .

(16) PABLO PEDRO DE ASTARBA, Apología de la lengua vascongada o Ensayo crítico filológico de su perfecci'Qn y antigüedad obre Qolas as ue e onocen, n espuesta os eparos propuestos en el Diccionario geográfico histórico de España, Madrid, 1804 .

(١٧) على سبيل المثال كان هناك رد من قبل شخص أطلق على نفسه لقب "المدافع عن المديح" ، وكان عنوان الرد هو " تأملات فلسفية دفاعًا عن مدح اللغة الباسكية أو ردًا على النقد الموّجه من قبل قسيس مونتوينغا ...." في هذه "التأملات" أطلق على كوندى لقب عدو الإسبان وعدو الوطن ، ويقول المؤلف إن الكتاب عبارة عن سلسلة من الحماقات والإشارات السخيفة التى تهدف إلى إخفاء جهل المؤلف .

(١٨) القائمة تشمل العام الدراسى اعتباراً من ١ ديسمبر ١٨١٨ إلى ٣٠ نوفمبر ١٨١٩ ومن ١ ديسمبر ١٨١٩ إلى ٣٠ نوفمبر ١٨٢٠

(19) JOSÉ A. CONDE: Historia de la dominación de los árabes en España, sacada de varios manuscritos y memorias arágias, París, 1840 , 680 página 8a marquilla con láminas (Tomo XIX de la Colección de los mejores autores españoles, de Baudry)

(20) Autógrafo en folio, 24 hojas útiles en 4 , o El prólogo con muchas palabras tachadas o añadidas y dos hojas sueltas con adiciones. 108 hojas útiles en folios. El prólogo en letra más cursiva. Cf. PEDRO ROCA: Vida y escritos...,en "Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos", 3. o serie,X, 1904, p.33.

لا أدرى ما إذا كانت موجودة فى الوقت الحاضر فى المكتبة الوطنية ، أنا لم أتمكن من العثور عليها

(٢١) نسخة الطبعة الأولى محفوظة فى المكتبة الوطنية بمدريد، كانت من ضمن ممتلكات باسكوال دى غايانغوس ، وفيها ملاحظات هامشية هامة كتبها هو نفسه.

(22) Collección de escritores castellanos. M. MENÉNDEZ Y PELAYO : La ciencia española, III Madrid, 1888

(23) C. RON DE LA BASTIDA: Los manuscritos árabes de Conde (1824) , " en "Al-Andalus",XXI, 1956 ,fasc.1,pp.113-24

(24) L.BARRAU-DIHIGO: Contribution a la critique de Conde, en " Hemenaje a Codera", Zaragoza, 1904 , pp.551 - 69

(25) J.A. CONDE: Historia de la dominación de los árabes en España, prólogo, p. XIII, Ed. 1844

خوسيه أنطونيو كوندى:
نقد وجدل حـــول دراساته

بمرور الوقت وبعد أن بدأ المتخصصون فى دراسة تاريخ المسلمين بشكل علمى ظهرت شكوك حول قيمة دراسات كوندى.

وأول من أبـدى تحفظات نحو كوندى هـو باسـكوال دى غـايانـغوس، فـفى مـقال بـعنـوان " لغة وأدب الموريسكيين" نُشر فى مجلة British and Review يقـول عن كوندى :

"لقد نشر هذا العالم عام ١٨١٦[١] كتابا يعتبر نموذجا أو بالأحرى أصل كل الكتب التى ظهرت عن تاريخ إسبانيا العربية فى فرنسا وألمانيا وإنجلترا. ورغم أن هذا الكتاب عمل غير عادى إلا أنه لا يفى بالغرض كليةً...من المؤكد أن من يتصفح الكتاب بالتركيز الواجـب سيـجد أنه يشتمل على أخطاء فادحة وتناقضات تنم عن عـدم توخى الدقة[٢] .

ومع ذلك ففى مقدمة كتاب "تاريخ السلالة المحمدية" (ص ١٠) يتحدث عن الدراسات العربية فى إسبانيا فيقول:

"بعد ذلك جاء أنطونيو كوندى الذى تدين له أوربا كلها بالفضل ، فهو صاحب الكتاب الوحيد الكامل عن تاريخ المسلمين الإسبان والمأخوذ بالكامل عن المصادر العربية. إن اسمه لا يمكن أن يذكر إلا باحترام ، خاصة من قبل من سار على نهجه مثلى.

بعد هذا التقريظ يقول إن الدراسة – دون شك – بها بعض الأخطاء التى تُؤخذ على المؤلف: سوء ترتيب المادة العلمية، عدم وجود هوامش توضيحية أو نقدية ، التكرار ... إلخ ... إلخ، وهذه أخطاء يمكن أن تُغتفر نظراً للمصادر التى اعتمد عليها

وفق ما يؤكد كوندى نفسه. إن معظم هذه المصادر عبارة عن معاجم أو كتابات تقريظية عن الشعراء والأدباء. وهناك مخطوطات أخرى كانت تنقصها أجزاء أو كانت نسخًا سيئة ويصعب قراءتها. (٣)

أما أعنف هجوم ضد كوندى والذى أثر فى سمعته العلمية فهو ذلك الذى وجهه إليه المستعرب الهولندى دوزى ؛ ففى عام ١٨٤٠ نشر دوزى كتابه " دراسات عن تاريخ وأدب إسبانيا فى العصور الوسطى"(٤) . لم يكن دوزى يتمتع بدراية واسعة فقط عن الموضوع بل كان يعلم عمق معارفه عن ذلك المجال وكان يفخر بذلك وكان متشدداً إزاء أخطاء الآخرين. يؤكد دوزى فى المقدمة بشكل واضح أنه حتى تلك اللحظة لم تُنشر بعد دراسة ذات قيمة عن تاريخ إسبانيا الإسلامية. كان موراليس وثوريتا والأب فلوريس وساندوبال وكل من عكف على دراسة إسبانيا يجهلون اللغة العربية فاكتفوا بالاعتماد على المصادر المسيحية، وقد أعد ميخائيل الغزيرى مجرد قائمة بالأعمال المتعلقة بتلك الفترة وترجم عدة فقرات بشكل غامض، أما كوندى فإن كتابه تاريخ المسلمين فكأنه لم يُكتب.(٥)

فى مقدمة الطبعة الأولى يهاجم دوزى كوندى هجومًا عنيفًا ص٧ فيقول:

"لقد اشتغل كوندى فى وثائق عربية دون أن يعرف عن العربية أكثر من مجرد الحروف التى تكتب بها ، ثم إنه استعاض عن نقص المعارف الجوهرية بخيال غاية فى الخصوبة ، فهو – مع قلة حذر لا مثيل لها – قد اختلق تواريخ بالمئات واخترع وقائع بالآلاف وزعم أن كل ذلك ترجمة أمينة للمصادر العربية .

يقول أيضاً إنه لم ير ضرورة لدراسة الكتاب بتأنٍ ولم يقارن مصادره بالمصادر التى يقول كوندى إنه اعتمد عليها لأن الكتاب ملئ بالأخطاء لدرجة أنك لو فتحت صفحة ما بالمصادفة فستجد أخطاءً (ص ٧)

يتهم دوزى كوندى بأنه كاذب ومنافق:

"يجب أن نعترف بأن كوندى قد احتاط لكيلا يُكتشف دجله بسهولة. إنه يخفيه تحت مظهر خادع....لقد اقتصر على ذكر المخطوطات التى استخدمها فى مقدمته ، مع

أن هذه المخطوطات هى الأكثر أهمـية بالنسـبة لتاريخ إسبـانيا. إن جمـهـور اليـوم لا يعرف عن ذلك التـاريخ أكثـر مما عـرفه القـراء الذين كـتب لهم مـوراليس فى القـرن السادس عشر.

إن جمع هذا النوع من الإشارات المباشرة وغير المباشرة يكفى لعمل كتاب كامل؛ إذ أن دوزى يشـيـر إلى جـهل وسـوء نيـة وكـذب كـوندى. فى الواقع أننـا لا نكاد نجـد صفحة تخلو من هجوم على كوندى لسبب أو لآخر، إما لوجود خطأ فى ترجمة فقرة ما أو لأن دوزى يتحدث بشكل عام عن أخطاء كـوندى، وتصل كراهية دوزى نحو كوندى إلى حد مهاجمته لمواقف يدافع دوزى عنها هى نفسها عندما تتعلق بآخرين أو يتفهم تلك الأخطاء إذا ارتكبها آخرون(٦).

وقد انضم مستشرقـون آخرون إلى دوزى فى الهـجوم على كـوندى فقبلوا رأى دوزى على أنه لا يُناقش، تمامًا كما كانوا قد قبلوا دراسات كوندى واعتبروها لا جدال فيها، فعندما أعد رينان ملخصًا عن كتاب دوزى فى Journal de debates (٧) هـاجـم كوندى وقال:

"إن كتاب كوندى عبارة عن خليط من الأخطاء ، فمن شخص واحد يصنع كوندى شـخـصين أو ثلاثة ، وهنـاك شـخص يموت مرتين ، وهناك شـخص آخـر يموت قبل أن يولد ، وهناك أشخاص خيالية تلعب أدوارا خيالية.

لكنه لم يقدم دلائل محددة على ما يقول لأنه لم يفعل سوى نقل اتهـامات دوزى وترديدها. لم يضف رينان إلا قوله إن كوندى عندما اعتمد على معجم ابن العباس فى السيرة الذاتية لم يلحظ أن الصفحات لم تكن مرتبة بشكل جيد ولهذا فقد اختلطت عليه بيانات الشخصيات.

إن فقدان الثقة فى كوندى كمثقف أو كرجل ذى شرف كان فقدانًا مطلقًا. وأبلغ دليل على هذه النظرة إليه نجدها عند ل.بارو دييغو – الذى دافع عن كوندى بعد ذلك بسنوات – فيقول عن كتاب م.جورجيان المبنى على كتاب كوندى:

هل يتجاهل كوندى الانتقادات التى وجهت إلى كتابه؟ صحيح إن بعض الانتقادات مبالغ فيها...؛ لكن الكتاب مرجع سئ قد يؤدى إلى مشاكل لمن يتبعونه (٨). ويشير بعد ذلك إلى حالة خطأ واحدة يرتكبها جورجيان باعتماده على كوندى(٩)

ذاع صيت دوزى فى إسبانيا وكثُر من هجروا دراسة كوندى كلية دون أن يتحققوا من صحة النقد الموجه إليه ، وهكذا يقول غاسبار ريميرو – فى كتابه " آثار عربية فى غرناطة بنى نصر" ، يقول عن ميغيل لافوينتي الكانترا – الذى اعتمد على دراسة كوندى – إنه "أطلق العنان لخياله"(١٠) ، أما ادواردو سابيدرا فى كتابه "دراسات عن غزو العرب لإسبانيا" فيقول عن كتاب كوندى إنه " مجرد جمع بيانات غير منقحة معظمها نشره أصدقاء المؤلف بعد وفاته وهى بيانات تسئ إلى المعرفة التاريخية"(١١) وهذا رأى مأخوذ حرفيًا عن دوزى.

لم يهبّ أحد حينذاك للدفاع عن كوندى، وقد تحدث فياردوت – فى كتابه " تاريخ العرب والمسلمين فى إسبانيا"(١٢) – تحدث عن حدة ألفاظ دوزى ، لكن كلماته ذهبت أدراج الرياح لأن مركز دوزى العلمى جعل اتهاماته لكوندى تبدو كأنها حقائق ثابته.

وفيما يلى بعض الأفكار التى ساقها دوزى وهى مأخوذة عن الطبعة الثانية (ليدن ١٨٤٩)

ص ٢١ : يخلط بين شخصين ويتحدث عنهما كشخص واحد

ص ٣٧ : يحيى شخصاً ميتًا هو خيران صاحب المرية ويزيف التاريخ عن عمد

ص ٤٣ : يترجم " تاريخ العرب" عن اللاتينية بشكل سيئ ويضيف من بنات أفكاره تفاصيل عن وفاة عبدالرحمن المرتضى

ص ٦٩ : يترجم فقرة لابن الأبار بشكل سيئ وكان الغزيرى قد ترجمها جيداً.

ص ٧٩ : يترجم فقرة بشكل سيئ ويخترع حربًا لم تحدث بين شقيقين هما صمادح ومحمد أميرى المرية.

ص ١١٤: يترجم بشكل سيئ فقرة لابن الأبار وينسب للمعتصم حاكم المرية بنتًا وعمره سبع سنوات.

ص ١٤٦ : يقول كوندى (الجزء الأول ص ١٥) إن لبيب حاكم طرطوسة كان يدعى لبيب بن الأفطس وأنه كان شقيق أول ملك بعد أخوس. يؤكد دوزى أنه لم يجد هذا الخبر فى أى مصدر وأن كوندى اخترعه.

ص ٢٠٦ : يخترع كوندى بيانات حول صبور وهو عبدٌ للحكم الثانى

ص ٢١٤ : يقول عن نفس الشخص – مشيراً إلى كوندى – إننا لا نجد هذه الأحداث عند المؤرخين العرب وجميعها ببساطة من وحى خياله .

ص ٢٣٩ : يترجم كوندى بشكل سيئ استعارة عربية ، وبدلاً من كلمة الملثمين أى المرابطين يجعلها مدينة ملثومة.

ص ٣١١ : يتحدث كوندى (الجزء الثانى ص ٤٣-٤٤) عن حرب بين المأمون حاكم طليطلة والمعتمد أمير أشبيليه وهى حرب لم تقع مطلقًا ، ويقول إن حاكم طليطلة طلب مساعدة ملك فالنسيا ، وهو شيئ لم يحدث. يقدم دوزى نص ابن الأبار وهو المصدر الذى استند إليه كوندى ويترجمه فنجد بالفعل أن ابن الأبار لا يتحدث عن هذا الموضوع ، ولا شك أن الخطأ لا يكمن فى الترجمة بل فى المصدر المشار إليه وربما استند كوندى إلى مخطوطة أخرى ، فالفروق واضحة.

ص ٣٦٩ : يقدم دوزى فقرة لابن الأبار ترجمها كوندى ويترجمها هو بشكل آخر.

وعلى النقيض مما سبق هناك أشياء قليلة يتفق فيها دوزى مع كوندى أو على الأقل يعترف أنه لم يخطئ.

ص ٧٠ : لأول مرة يقول دوزى إن كوندى على صواب فى التاريخ الذى بدأ فيه عبد العزيز حكم فلنسية.

ص ٢٣١ : يقول كوندى بمناسبة الحديث عن معركة الزلاقة إن كل أمراء إسبانيا أخطأوا ما عدا المعتضد حاكم أشبيليه. كوندى على صواب ويعترف بذلك دوزى (لاحظ أن الأمر يتعلق بحدث هام)

ص ٣٧٣ : يترجم كوندى فقرة عن السيد بشكل جيد. الفقرة لا تعجب دوزى لكنه يقبلها.

ص ٣٧٥ : يتابع دوزى قصة السيد لابن الأبار. يذكر فقرة ويقول إن كوندى "قد ترجم الفقرة الأخيرة دون أن يقترف أخطاء هامة".

ويبدو من هذه الأمثلة القليلة أن معظم الأخطاء تتعلق بشخصيات ثانوية أو تشير إلى أحداث لم تكن لها أهمية كبيرة ولم تغير مجرى التاريخ . عندما يتعلق الأمر بحدث هام - عدا استثناءات قليلة - يعترف دوزى أن كوندى لم يخطئ بشكل مطلق.

ومع ذلك فبعد وقت قصير ظهر أن آراء هؤلاء العلماء الأوربيين لم يكن لها وزن كبير كما كان يُظن سابقًا. إن معظم هؤلاء - عدا دوزى - رغم كونهم مستعربين إلا أنهم كانوا يدرسون مجالات تبتعد كثيراً عن مجال العرب فى الأندلس وبالتالى فإنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث فى صحة الاتهامات الموجهة إلى كوندى.

إن دوزى نفسه عدل كثيراً من موقفه لاحقًا، كما ظهر فى الملاحظات السابقة فإنه يقبل آراء كوندى فى بعض الأحيان ، فلم يكن كوندى كمستعرب ضعيفا إلى الحد الذى يصوره دوزى فى الطبعة الأولى ، وكان كوندى يعلم عن العربية شيئًا أكثر من مجرد معرفة حروفها.

فى مقدمة الطبعة الثانية يقول دوزى إنه غيرّ عدة فصول وحذف الجزء المثير للجدل، لا لأنه غير موقفه إزاء كوندى، " بل بدا لى من غير الضرورى العودة إلى الموضوع بعد أن تعرض له مستعربون آخرون منهم فليشر ، وديفريميرى ، ورينان ، ووبليام رايت، وهؤلاء قد أعلنوا بوضوح وعلى الملأ أننى كنت على صواب حين أكدت أن كتاب كوندى لا يستحق الثقة التى مُنحت له" .

وبناءً على ذلك فقد حذف التعبيرات ذات اللهجة الحادة .

رغم أن هناك الكثير من الحقيقة فى تأكيدات دوزى ورغم أن كتاب كوندى يتضمن الكثير من الأخطاء إلا أن النقاد فيما بعد اعترفوا بأن دوزى كان حاداً فى أحكامه ، فمع انتشار الدراسات العربية داخل وخارج إسبانيا ومع وجود ترجمات لمخطوطات أخرى غير التى ترجمها كوندى تبين أن أخطاء كوندى لم تكن فادحة ، بل وتأكد أيضاً صواب كثير من آرائه ؛ على سبيل المثال – لا الحصر – يتحدث كوندى فى الجزء الثالث من كتابه عن هدنتين متفق عليهما بين الملكين الكاثوليكيين وملوك غرناطة بين عامى ١٤٧٥– ١٤٧٨ . لم يشر أحد إلى هذه الحقيقة فيما بعد واعتبر النقاد أن هذا محض افتراء من كوندى، لكن الوثائق التى اكتشفت بعد ذلك فى غرناطة تؤكد المعلومة وربما اطلع كوندى على هذه الوثائق عندما كان هناك(١٣) .

وإلى جانب الانتقادات الموجهة إلى كوندى ظهرت آراء أخرى لنقاد أكثر تعقلا وأكثر موضوعية حاولوا الدفاع عن كوندى أو على الأقل التماس الأعذار لأخطائه. يقول م.رومى فى كتابه " تاريخ إسبانيا" (المجلد الرابع ص ٢) :

من الآن فصاعدا سيكون كوندى على وجه الخصوص هو مرجعنا، كان هو العالم بتاريخ الوجود العربى. إنه أستاذ، يجب أن نعترف.

وفى عام ١٨٥١ ، أى بعد وقت قصير من نشر كتاب " أبحاث " ، نشر فياردوت الجزء الثانى من كتاب " تاريخ العرب". فى مقدمة الكتاب يبدأ بشكل ساخر فى تلخيص النقد الذى وجهه دوزى إلى كوندى وإلى مؤلفين آخرين. يذكر الفقرات التى أشرنا إليها سابقا ، ويقول إنه عندما واصل قراءة كتاب دوزى وجد أنه يقول عن كوندى إنه دجال ومزور وإنه جاهل وإن كتاباته عن تاريخ فالنسيا عبارة عن خليط من الأكاذيب وسوء الفهم .... إلخ (١٤)

يقول إنه لما قرأ كل ذلك كان همه الأول هو إلقاء الكتاب فى النار، وإنه لما مرت لحظة الاستغراب فكر فى أنه يجب عليه تحليل الأخطاء المنسوبة إلى كوندى فوجد أنها:

تهم مفزعة وسخرية مهينة وإشارات إلى أخطاء لا تتعلق بالأحداث التاريخية العظيمة ولا بالشخصيات الشهيرة..حينئذ كنت أتساءل ما إذا كان من اللائق بذل كل هذا الوقت والجهد لعرض أخطاء كان يمكن تصحيحها بكلمة واحدة .

أما أغستين دوران فيقول فى كتابه " الأغنيات الشعبية" (الجزء الثانى مدريد ١٨٥١ص ٦٥٠- ٦٥١) : " أريد أن أنبه إلى نوع من الدراسة بدأه كوندى العظيم واستمر فيه الأجانب فيما بعد. يريد القدر لنا دائمًا أن نأخذ نحن الخطوة الأولى فى طريق العلم ثم نهمل فيسبقنا الآخرون ونظل فى الظلام، تلوح لى هذه الفكرة الحزينة وأنا أرى رجلاً عالمًا وعظيمًا مثل دوزى يعامل كوندى بشىء من الظلم ناسيًا أنه لولا دراسات كوندى لما تمكن هو دون شك من الوصول إلى ما وصل إليه. أنا أجهل اللغة العربية ولا أستطيع الحكم على الأخطاء التى ينسبها دوزى إلى كوندى، ربما كان محقًا، لكنه غير محق بالتأكيد فى الطريقة القاسية والظالمة التى تنم عن سوء نيته. ربما أخطأ كوندى عن جهل أو لأسباب خارجة عن إرادته، لكنه لم يكذب عن عمد. ربما أخطأ فى الترجمة، لكننى لا أعتقد أنه أراد أن يخدع الناس. وعمومًا فإن كوندى – رغم أخطائه – قد فتح طريقًا سار عليه بنجاح كل من دوزى وغيره من المستشرقين. يحدث كثيراً أن حب العدل – عندما يتحول إلى هوس– يبعدنا عن العدل، ولعل هذا هو ما حدث مع دوزى دون أن يدرى عند تعامله مع كوندى "

ويقول مالو دى مولينا فى كتابه " رودريغو البطل " إن الانتقادات التى وجهها دوزى وغيره من المستشرقين إلى كوندى ليست كلها صائبة ، ويضيف إنه لا يتفق مع من يصف كوندى بأنه " مخترع أكاذيب ومزيف وجاهل بالتاريخ وباللغة التى يقرأ عنها". إن أخطاء كوندى ناجمة عن التسرع وعن عدم وجود معيار للاختيار عنده. إن أخطاءه الأساسية سببها أنه لم يكن له معلم ، لكن علينا أن نعترف بالخدمة العظيمة التى قدمها لتاريخ إسبانيا ، وبالقيمة العظيمة التى يتصف بها كتابه، وبأنه قد شدَّ انتباه الآخرين إلى هذا المجال" (١٥)

نفس الانتقادات ونفس الدفاع تقريبًا نجدهما عند إميليو لافوينتى الكانترا (نقوش عربية فى غرناطة ص ٦)، و " خطاب الرد على خطاب خوسيه ميرينو نييتو لدى التحاقه بأكاديمية التاريخ" ص ١٧– ١٩(١٦) ، وعند فرانثيسكو فيرنانديث غونثاليث وفيدريكو دى كاسترو فى ترجمة كتاب " تاريخ المسلمين" لدوزى ، وعند فرانثيسكو فيرنانديث غونثاليث فى ترجمة " تاريخ الأندلس" لابن عذارى المغربى (١٧)،

وعند أنطونيو ماتشادو الباريس في ترجمة كتاب " دراسات حول تاريخ وأدب إسبانيا خلال العصور الوسطى" .

إن الدفاع الأكثر منهجية كان هو دفاع بارو ديهيجو Barrau Dihijo في دراسته "إسهام في تقييم كوندى" التي نشرت عام ١٩٠٤ في كتاب تكريم كوديرا ، وقد ذكرنا فيما سبق أن نفس المؤلف كان قد ساير التيار الموجود حينذاك وهاجم كوندى دون أن يدرس أعماله.

يناقش بارو ثلاث اتهامات موجهة إلى كوندى: الجهل والكذب وتزييف الحقائق. من حيث تهمة الجهل يقدم بارو أدلة عديدة لدحضها. أهم هذه الأدلة هي وجود ملاحظات هامشية كثيرة في المخطوطات عثر عليها غيين روبليس[١٨] بالإضافة إلى ذلك فإنه يذكر ترجماته الأخرى ودراساته ومراسلاته مع ساسي حول قضايا تخص الاستعراب.

أما عن الكذب الذي يتهمه به دوزى حين يقول: " لم يتردد في ملء الفراغات بالأكاذيب وانتحل فقرات من كتاب " تاريخ العرب" لرودريغو دى توليدو" ؛ فإن بارو يدحض هذه التهمة بقوله: " إننا لا نستطيع إثبات التهمة إلا بعد دراسة كل المخطوطات التي استند إليها كوندى، أما عن استعماله فقرات من كتاب " تاريخ العرب" كما لو كانت فقرات مستخرجة من المخطوطات العربية فهذا لا يكفي لاتهامه بالتزييف . يقول كوندى في المقدمة : " حاولت أن أحكي كل ما حكاه المؤلفون العرب ، وقد فعلت ذلك بشكل دائم تقريبًا بنفس كلماتهم، ومن الثابت أن كتاب " تاريخ العرب" لرودريغو مستند إلى مصادر عربية . ويقول بارو ديهيجو إن كتّاب القرن التاسع عشر لم يهتموا كثيرًا بالدقة. إن كلمة "تقريبًا" التي قالها كوندى تفتح الباب أمام احتمالات كثيرة" .

كان كوندى رائدًا، وكما يحدث لكثير من الرواد فقد خطا خطوات كثيرة لم تكن موفقة رغم كونها في الاتجاه السليم. كانت له دراسات طورها الآخرون ، فعلى سبيل المثال نذكر له فكرة أن الشعر الغنائي الإسباني ترجع أصوله إلى الشعر العربي. يقول

كوندى: " عندما تنشر الترجمة التى انتهيت منها لبعض مؤلفات الشعراء العرب سأستطيع أن أثبت فى المقدمة التأثير العظيم الذى أحدثه الشعر العربى فى الشعر الإسبانى"(١٩)

وبنفس الطريقة لاحظ كوندى أن بعض التعبيرات الموجودة فى اللغة الإسبانية أصلها عربى ، ولم يكن ذلك بسبب تأثير لغوى بل بسبب الرؤية المشتركة للحياة عند المسلمين والمسيحيين في إسبانيا(٢٠) يقول كوندى فى المقدمة(ص ١٥) : إن ضياع مخطوطات عربية كان خطأ لم يصحح بسبب عدم توجيه الاهتمام إلى نشر دراسة الأدب العربى ، "وهو أمر لا غنى عنه لكى نعرف اتجاه لغتنا وأصل كثير من تعبيراتها الجميلة" .

لاشك أن الدراسات العربية تقدمت فى الوقت الحاضر بحيث أصبحت أعمال كوندى فى الخلف، لكن ذلك حدث مع أعمال دوزى أيضا فى مجالات كثيرة. إن الرؤية التى تتشكل بمرور الزمن تحتم علينا أن نضع كل شىء فى مكانه ، فهما قد ثبت أن حدة ألفاظ دوزى كانت تفوق مستوى أخطاء كوندى. إن دوزى نفسه مدين لكوندى بقدر أكبر مما يتصور. والأهم من ذلك علينا أن نزيل عن كوندى تهمة الكذب والتزييف التى رماه بها دوزى والنقاد الذين ساروا على نهجه. ربما لم يكن كوندى على مستوى عال من الكفاءة ، أو ربما أخطأ حين أراد أن يقدم دراسة شاملة قبل توافر العناصر الضرورية لها ، لكن ليس هناك شك فى قدرة كوندى على التحليل.

إن البحث فى مصادر أخرى – سواء أعلن عنها أم لم يعلن – عن بيانات ضرورية لملء فراغات فى تاريخ شخصية ما لم يكن كذبًا ولا تزييفًا من قبل كوندى، وإذا كانت بعض ترجماته غير متقنة إلى الحد المطلوب فيجب أن ننسب ذلك إلى كونه أول من كرّس جهده للدراسات العربية بل إلى كونه الوحيد الذى اشتغل بالدراسات العربية فى عصره. كان ذلك هو سبب أخطائه فى الترجمة ولم تكن أخطاؤه ناتجة عن عدم أمانته.

الأدب الألخميادو :

يُنسب اكتشاف الأدب الألخميادو – وكان أدبًا مجهولاً حتى بداية القرن التاسع عشر – إلى بعض مثقفي ذلك القرن. يستند منينديث بلايو إلى مقال لباسكوال دي غايانغوس نُشر عام ١٨٣٩ فيقول : " إن اكتشاف هذا الأدب الحقيقي لم يكن أكبر إنجاز قدمه باسكوال دي غايانغوس إلى الفكر الإسباني وكان يشاركه في تلك الهواية الكاتب الأصيل سيرافين كالديرون" (٢١) . ورغم أن بلايو يقرِّر في ملاحظة هامشية أن كوندي نقل بعض المخطوطات الألخميادية إلى الحروف الإسبانية العادية وأن سيلفستري ساسي تحدث عن مخطوطات أخرى ، رغم ذلك إلا أن بيلايو ينسب فضل تعريف الناس بالأدب الألخميادو إلى غايانغوس.

في الحقيقة لم يكن أحد حتى ذلك الوقت قد وجه اهتمامه إلى المخطوطات المحررة بلغة إسبانية وحروف عربية لأن أحدًا في ذلك الوقت لم يكن يعرف كنه تلك المخطوطات. في بداية القرن الثامن عشر تحدث البعض وبألفاظ مبهمة وغير دقيقة عن نوع ما من الأدب ، وذلك في أحد فهارس الكتب المنشورة في ابسالا عام ١٧٠٦؛ لكن أحدا لم يوجه اهتمامه إلى ذلك الأدب ، وتأخر الدارسون سنوات حتى ألفوا هذه اللغة الأعجمية.

اعتقد ميخائيل الغزيري والرهبان المارونيون الذين استقدمتهم الحكومة الإسبانية لإصلاح شأن الدراسات العربية في إسبانيا أن تلك المخطوطات مكتوبة بلغة تركية أو فارسية أو بربرية... إلخ. والمخطوطة ٥٣٠٢ (٢٢) المودعة في المكتبة الوطنية بمدريد وعنوانها "مناقشات وآراء إسلامية حول يسوع المسيح" تحتوي في النهاية على صفحة مكتوب فيها : "في قرية بلشيتي في أواخر شهر سبتمبر عام ١٧١٦ وجدت هذه المخطوطات البربرية في منزل ماتياس كوثار الكائن في حي يدعى ديل سنيور" ، وفي أسفل الصفحة يكتب الغزيري : "خط سئ تصعب قراءته ، اللغة ليست عبرية بل عربية مغربية أو موريتانية..." ، وتحتها ملاحظة تقول: "إن الأسوأ هو تصحيح الغزيري لأن اللغة ليست عربية موريتانية بل إسبانية، توقيع خوسيه أنطونيو كوندي"

وهناك ملاحظة هامشية شهيرة جداً كتبها الغزيرى بخطه فى مخطوطة " قصيدة يوسف" و يقول فيها إن المخطوطة عبارة عن " كتابات عدة فى مدح محمد والقرآن"، وهناك ملاحظات أخرى كتبها معاونوه فى مخطوطات أخرى تقول -مثلا - : " لغة فارسية لا أفهمها"

وقد نشر المستشرق الفرنسى سيلفسترى دى ساس صديق كوندى مقالا فى جورنال دى سافان بتاريخ ٨ أبريل عام ١٧٩٧ خبراً عن وجود مخطوطات فى مكتبة باريس الوطنية لا يفهمها ، ولكنه "يعتقد أنها مكتوبة بإحدى اللغات الإفريقية، ربما لغة مدغشقر"، لكنه يقول بعد ذلك فى كتاب " أخبار عن مخطوطات المكتبة الوطنية " (المجلد الرابع ص ٦٢٦- ٦٤٧) إنه قد علم أن هذه المخطوطات مكتوبة باللغة الإسبانية وبأحرف عربية.

ويبدو أن علمه بهذه الحقيقة جاء نتيجة اتصالاته بكوندى حول هذا الموضوع. وفى ١١ يونيه ١٧٩٨ كتب له كوندى رسالة يقول فيها : " هذه المخطوطات كثيرة جداً فى إسبانيا وموجودة بين أطلال المنازل القديمة، إن إخفاء المخطوطات بهذا الشكل ربما يعزى إلى طرد المسلمين ونفيهم أو ربما بسبب احترامهم السطحى لدينهم ولاسم اللّه "[٢٣] يقول كوندى إن لديه بعضًا من هذه المخطوطات وجدت فى ريبلا بالقرب من سرقسطة[٢٤] ، وإن هناك مخطوطات من هذا النوع فى مكتبة الاسكوريال وفى مكتبة القصر الملكى. ويتحدث كوندى عن "قصيدة يوسف" و "مختصر السنة لعيسى بن جابر" والذى نشره غايانغوس فيما بعد و "فتى أريبالو" الذى درسه كوديرا و " حديث الإسكندر" ومخطوطات أخرى عن الغزوات تتحدث عن الصحابة وأساطير وحكم قرآنية، هذه المخطوطات لم تُنشر بعد*

يؤكد روكا فى كتابه عن حياة كوندى أن فضل معرفة هذا الأدب يعود إلى كوندى الذى عكف على دراسته قبل ساسى وبمعزل عنه ، لكن فضل هذا الاكتشاف لم ينسب

(*) يعود تأليف هذا الكتاب إلى عام ١٩٧٠ ، ومنذ هذا التاريخ والدراسات الموريسكسة لاتتوقف . ونستطيع التأكيد أن معظم المحفوظات المشار إليها قد نُشر الآن (المترجم) .

إلى كوندى أبداً ؛ لأن كوندى لم ينشر شيئًا عنه وظلت دراساته المتعلقة بهذا الموضوع فى حوزته هو، عدا رسائل تبادلها مع ساسى ونشرت منذ سنوات بعد أن أصبح الجميع على علم بالأدب الألخميادو. لقد حان الوقت لكى ينسب الفضل إلى كوندى.

مقال غايانغوس ، الذى ربما استند إليه منينديث بلايو لكى ينسب إليه فضل اكتشاف الأدب الألخميادو، نشر فى عام ١٨٣٩ فى المجلد الثالث من مجلة British and F. Review تحت عنوان " لغة وأدب الموريسكيين" ، ويتضمن بيانات عن لغة الموريسكيين والقواعد النحوية والصوتية فى لغتهم ، لكن غايانغوس لا يضيف شيئًا إلى ما شرحه كوندى فى رسائله إلى ساسى(٢٥) ، وفى رسالة كتبها غايانغوس إلى ايوخينيو دى أوتشوا فى ١٧ أبريل ١٨٣٩ يقول تقريبًا نفس الأشياء التى قالها كوندى لساسى : " فى مكتبة المتحف البريطانى عثرت على القصائد الألخميادية التى كتبها مسلم من أراغون ، وفى مكتبة مدريد الوطنية عندما فحصت بعض المخطوطات المصنفة على أنها عربية اكتشفت أن معظم هذه المخطوطات – مع أنها مكتوبة بحروف عربية – ليست إلا مخطوطات إسبانية مختلطة ببعض الكلمات العربية... هذه الملاحظة قد نقلتها إلى أستاذى الراحل سيلفسترى دى ساسى ؛ وقد أفادنى هو أن كوندى – عندما مر بباريس – قد حدثه عن نفس الموضوع"(٢٦)

بعد ذلك بقليل – وفى عام ١٨٤٨ – خصص سيرافين كالديرون فى خطاب افتتاح قسم اللغة العربية بنادى مدريد الثقافى ، خصص جزءاً من خطابه للحديث عن هذا الموضوع، وفى مجلة Revista Meridional فى غرناطة نشر إيميليو لافوينتى الكانترا فقرات عن الأدب الألخميادو، وقد نشر فرانثيسكو فيرنانديث غونثاليث بعض الوثائق فى كتابه " تاريخ مدجنى كاستيا"، وفى مجلة Revista de Archivos, B y Muesos (المجلد الرابع عام ١٨٧٤) نشر فيسنتى بيغنار بعض الوصفات الطبية التى تختلط فيها اللغة الإسبانية واللغة اللاتينية باللغة العربية.

وفى نهاية القرن التاسع عشر كان الأدب الألخميادو معروفًا فى الدوائر الأدبية والبحثية ولم يكن حكرًا على المتخصصين، وفى السنوات الأولى للقرن العشرين

نشر كل من كوديرا ورببيرا ومنينديث بيدال وغيين روبليس وآخرين مخطوطات كاملة مع دراسة لمضمونها في بعض الأحيان.

وفى السنوات الأخيرة عاد الاهتمام بالأدب الألخميادو إلى الظهور (*)، وهـــذا الأدب أصيل ثرى ومتعدد الأنواع لكنه غير مدروس حتى الآن فى العديد من مجالاته الهامة ، خاصة مجال علم الاجتماع والجانب اللغوى.

(*) نكرر التأكيد على أن المخطوطات المشار إليها قد نُشرت جميعها وأن هناك المزيد من المخطوطات التى اكتُشفت فيما بعد وتجرى دراستها حاليًا؛ أعنى – فيما أعنى – ملفات محاكم التفتيش فى أمريكا الجنوبية التى تشير إلى أحد جوانب القضية الموريسكية (المترجم) .

الهوامش

(١) تاريخ النشر هو عام ١٨٢٠ كما ذكرنا آنفا

(2)" British and Foreign Review", vol. VIII,1839, p.64

(3) El amigo apacible en el jardín de Kartás, de las noticias de los reyes del Mogreb e historia de la ciudad de Fez. Nota de GAYNGOS en History of the Mohammedan Dynasties,II,515. Edición espanola de A. Huici, El Cartás. Noticia de los reyes de Mogreb e Historia de la ciudad de Fez, por Aben Abi Zara. Traducción castellana con prólogo y notas por A. Huici Valencia, 1918 , El texto árabe fue publicado en Upsala por C. J. Tornberg en 1845

(4) PEINHART P. DOZY: Recherches sur l'historie et la littérature de l'Espagne pendant le Moyen Age, Leyden, 1949 , 1 ,° edición, 1949 , 1,1860 ° 2° edición.

(5) R.P. DOZY: Recherches...prefacio, p.x.

(٦) انظر على سبيل المثال : ما يذكره م. هوجوليث فى كتاب Diversorum Scriptorum loci regia Aphtasidarum familia et Ibn Abduno poeta, Jaiden, 1839 يدافع عنه بقوله : إن الأخطاء التى يمكن أن تكون موجودة فى ترجمته سببها أن المخطوطة التى تُقرأ للمرة الأول تتضمن صعوبات كثيرة ومتنوعة....

(7) " Journal des débates politiques et littéraires", Paris, 1849

(8) L. BARRAU-DIHIGO:Les origines du royaume de Navarre d'aprés une theórie récente, en "Revue Hispanique", 1900 , VI, pp.141-222

(٩) لم يكن خطأً صغيرا ؛ لقد خلط كوندى بين بيباستير فى محافظة ملقة وبين بارباسترو الواقعة فى محافظة أويلبا ، ولكى يبرر هذا الخلط غيَّر أسماء البلاد القريبة. انظر:

Codera: Decadencia y desaparición de los Almerávidos Zaragoza,1899, p.IX.

(10) GASPAR REMIRO: Monumentos árabes de la corte Nazarí de Granada, en ""Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos", 1910 , XXII, p. 260

(11) EDUARDO SAAVEDRA: Estudio sobre la invasión de los árabes en Espa´na, Madrid, 1892 p.18 .

(12) L. VIARDOT: Histoire des Arabes et des Maures d'Espagne, París, 1851 , II, pp. I-IV.

(13) JOSÉ A. CONDE: Historia de la dominación de los árabes en España, III,p. 348 , JUAN MARÍA CARRIAZO: Las treguas de Granada, en "Al-Andalus", XIX, 1954 , 2 , pp. 317 - 64 .

(14) L.VIARDOT:Histoire des Arabes et des Maures d'Espagne,II, Addition a la Préface, p.II-III

(15) MANUEL MALO DE MOLINDA: Rodrigo el Campeador. Estudio histórico fundado en las noticias que sobre este héroe facilitan las crónicas y memorias árabes. Madrid, 1857

(16) EMILIO LAFUENTE ALCÁNTARA: Inscripciones árabes de Granada precedidas de una rese´na histórica y de la genealogía detallada de los reyes Alahmares. Madrid, 1859 , Y Discurso de contestación en la Academia de la Historia de D. José Moreno Nieto, el 29 de mayo de 1864 , Madrid, 1864

(17) FRANCISCO FERNÁNDEZ Y GONZÁLEZ: Historias de Al-Andalus por Aben Adhari de Marruecos, traducidas por...y publicadas con notas y un estudio histórico-crítico, Granada, 1860

(18)FRANCISCO GUILEN ROBLES: Catálogo de los manuscritos árabes existentes en la Biblioteca Nacional de Madrid. Madrid, 1889 , pp. 15.18.77

(19) J.A. CONDE: Historia de la dominación de los árabes en Espa´na, prólogo, p.XXV, ed.1844

(20) AMERICO CASTRO: La realidad histórica espa´nola, México , 1962 . Don Américo ha desarrollado este punto al tratar de palabras como hijodalog , vergúenza, me ameneció , ets .

(21) MARCELINO MENÉNDEZ Y PELAYO: Orígenes de la novela, Edición Nal.de las Obras Completas, Santander, 1943 , XIII, p. 105

(22)Manuscrito CLVI(5302), pág.77 del Catálogo de Guillén Robles. Biblioteca Nacional. Madrid

(23) HARTWIG DERENBOURG Y L. BARRAU-DIHIGO: Quatre Lettres de Joset Ant. Conde a Silvestre de Sacy, en "Revue Hispanique", 1908, pp.258 - 78 .

(٢٤) كثير من هذه المخطوطات صارت ملكاً لباسكوال دى غايانغوس، ثم انتقلت إلى مكتبة مدريد الوطنية وإلى أكاديمية التاريخ.

(٢٥) انظر كتاب أنطونيو روكا:

. Noticia de la vida y obras de D. Pascual de Gayangos , en " Revista de Archivos , Bibliotecas y Museos", 1898 , II , p . 25 .

(26) PEDRO ROCA: Noticia de la vida y obras de D. Pascual de Gayangos, en " Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos", 1898،II, p.32.

باسكوال دى غايانغوس : طرق جديدة

رغم أن خوسيه أنطونيو كوندى كان هو الذى بدأ الدراسات العربية فى إسبانيا إلا أننا نستطيع أن نقول إن باسكوال دى غايانغوس هو المؤسس الحقيقى لمدرسة الاستعراب الإسبانية الحديثة. كان غايانغوس هو أول من كان له تلاميذ ، وأول من أثار فى غيره الاهتمام بهذه الدراسات ، وأول من سار على طريقه فريق من الشباب بدافع وتشجيع منه. هذا ما يؤكده م. دوجات فى كتابه " تاريخ المستشرقين" :

"إن أعمال غايانغوس الهامة فى إسبانيا عن تاريخ العرب معروفة بتميزها ، وقد كوّن هذا المؤلف مجموعة من الطلاب الذين اهتموا بالدراسات الشرقية. يجب أن نذكر أيضا علماء آخرين مثل : كالديرون ، واميليو لافوينتى ألكانترا ، وأمادور دى لوس ريوس ، وفيرنانديث غونثاليث ، وخابيير سيمونيت." (١)

سنأخذ من بياناته الشخصية – المعروفة للجميع – المعلومات التى تخص مجال دراستنا. نجد أنه فى عام ١٨٢٢– عندما كان عمره ثلاث عشرة سنة– أقام فى باريس مع والديه حيث درس على يد المستعرب الشهير سيلفسترى دى ساسى لمدة ثلاث سنوات. وفى باريس تعرَّف على شابة إنجليزية هى فرانثيسكا ريبيل تزوج منها وهو فى التاسعة عشرة من عمره وكانت هى التى دفعته للإقامة فى لندن فيما بعد(٢) .

عندما عاد غايانغوس إلى إسبانيا واصل تعلُّم اللغة العربية فى سان إيسيدرو. كان الأب ارتيغاس هو الذى يقوم بالتدريس ، وكان من بين زملاء غايانغوس فى الدراسة سيرافين كالديرون وليون كاربونيرو.

أقام فى ملقة بعض الوقت وتعرَّف على سيرافين كالديرون الذى كان مُغرمًا إلى أقصى حد بالدراسات العربية. توطدت بينهما أواصر صداقة عميقة وأثر كل منهما فى

الآخر بشكل ملحوظ. كان سيرافين كاتبًا رومانسيًا ، فكان يشعر بميل نحو الجانب الأسطورى والغريب فى العالم العربى ، وكانت المخطوطات العربية تحرك خياله. كان يجد مشقة فى دراسة اللغة العربية دراسة منهجية، أما غايانغوس فكان يحاول الحد من خيال صاحبه وكان يدفعه إلى الالتزام بجوهر ما يقرأ، وقد أضاف سيرافين – بدوره – بُعداً حيوياً وخيالياً إلى جفاف المادة العلمية عند غايانغوس ، ويتضح ذلك مثلاً فى الملحوظة التاريخية التى كتبها كمقدمة لكتاب " خطط وبناء وأقسام وتفصيلات قصر الحمراء" .

فى عام ١٨٣٣ عُين غايانغوس مترجمًا رسميًا للغات فى الحكومة وكُلف بعد ذلك بدراسة المخطوطات العربية فى مكتبة القصر الملكى فاستخرج وثائق عديدة خاصة بتاريخ وجغرافية إسبانيا، وفى أبريل عام ١٨٣٧ استطاع الحصول على منحة مدتها أربعة أشهر لدراسة مخطوطات الاسكوريال ، ثم سافر إلى إنجلترا ولم يعد إلا بعد سنوات طويلة. كان الهدف من السفر – فى الواقع – هو الهروب من أهوال الحرب الأهلية الكارلية فى إسبانيا.

ولدى إقامته فى لندن بدأ على الفور فى العمل بالمتحف البريطانى فى نفس الوقت الذى كان يُعد فيه ترجمة المقرى ، وكان قد حمل معه من إسبانيا نسخة من المخطوطة، أما مكانه فى تدريس اللغة العربية بالمركز الثقافى بمدريد فقد شغله سيرافين كالديرون أولاً ثم شغله بعد ذلك رفائيل تونديدور إى فلوريس الذى كان يقول عنه غايانغوس : " إنه لا يدرى بأيهما يُعجب أكثر: بجرأة الأستاذ أم بصبر التلاميذ؛ لأنه لم يكن يعرف حتى مجرد القراءة "(٣)

فى ذلك الوقت كانت لغايانغوس مراسلات متواصلة مع : سانتياغو ماسارناو(٤) ، وسيرافين كالديرون ، وإيميليو سباستيان كاستيانوس(٥) . فى هذه الرسائل – التى نشرها كلها تقريبًا كل من روكا وكانوباس ديل كاستيو(٦) – يقدم غايانغوس معلومات عن أنشطته العلمية فى هذا المجال وعن حالة الدراسات العربية فى إسبانيا خلال تلك السنوات ، ولما كان غايانغوس قليل الحركة وأمضى فترة طويلة من شبابه خارج إسبانيا، فليس من الغريب أن نلمح فى رسائله تلك النغمة المعادية للوطن، فعلى سبيل المثال يقول فى رسالة إلى سارنو فى ١ أبريل عام ١٨٣٨ :

" ستتلقى رسائل تخبرك بتحسينات وميزات لم تكن تفكر فيها من قبل وتحاول أن تحى فيك حب الوطن. بالنسبة لى فقد كتب الىَّ أحدهم يقول: لا تكن أحمقًا يابنى ، دعك من الإنجليز ومن أكل الروزبيف وتعال إلى هنا، فقد حان الوقت لكى يأتى كل الشباب النابغين ليحصلوا على أكاليل (هل أخطأ ويريد أن يقول الغرامات والسجون؟) وأن يسعوا لدعم الحكومة الحالية والحريات كوطنيين مخلصين. إن الأمور ليست سيئة كما يُقال. صحيح أنه لا توجد ثروات ، لكن ستكون هناك قروض ، وأنا لا أشك فى أنه عندما تحضر ستشغل كرس أستاذية اللغة العربية فى سان إيسيدرو وهو لم يُشغل لعدم وجود من يستحق شغله". أرأيت هذا الأحمق الذى يُصدِّق؟(٧)

لم تكن هناك وسيلة لإقناعه بالعودة إلى إسبانيا حيث " حمل السلاح والتحدث فى السياسة وتدخين السجائر ولعن فرنسا وبريطانيا على أساس أنهما أساس كل مصائبنا... ؛ لأننا معشر الإسبان لو كنا بمفردنا...!"(٨) لم يكن كل ذلك يتماشى مع طبيعة غايانغوس ففضَّل الاستمرار فى الدراسة فى المتحف البريطانى.

هناك حادثة أسهمت فى استبعاد فكرة العودة إلى إسبانيا وأدت إلى خصومته مع غاياردو. كان غاياردو قد اتهمه ببيع عملات وميداليات قديمة إلى مشتر فرنسى ، وكانت الأشياء المذكورة – طبقًا لأقوال غاياردو – تنتمى إلى المكتبة الوطنية. بعد ذلك قال إن مخطوطة المقرى التى ترجمها غايانغوس والمخطوطات الأخرى التى طالعها وذكرها فى المقدمة، كل ذلك سرقه غايانغوس من المكتبة الوطنية. ويعبر غايانغوس عن اشمئزازه إزاء هذه الاتهامات فى رسالة كتبها إلى كاستيانوس فى ٢٦ مايو ١٨٤١ ويقول فيها : "من حسن الحظ هناك فهرس دقيق وصحيح وقع عليه كوندى، ولما كنت أخشى حدوث خدعة من هذا النوع فقد احتطت للأمر وكتبت وصفًا دقيقًا لمخطوطاتى بحيث يسهل على الإنسان غير المتخصص معرفة ما إذا كانت المخطوطات التى أذكرها ملكًا لى (لدى ما يقرب من مائتى مخطوطة) أم ملك للمكتبة الوطنية ... ، إذا رأيت غاياردو فقل له إنه مخادع وإننى سأحضر إلى إسبانيا خصيصًا لكى أقطع لسانه"(٩)

في عام ١٨٤١ عُين غايانغوس نائبًا للقنصل الإسباني في تونس ، وهو منصب فكر في قبوله في أول الأمر لكنه عدل عن ذلك. كان في نيته شراء مخطوطات من تونس ودراسة لغة أهلها والبحث عن آثار من عادات وتقاليد الإسبان الذين ذهبوا إلى هناك ، لأنه كان يريد نشر كتاب عن نشاط الإسبان في أفريقيا خلال حكم كارلوس الخامس وفيليبي الثاني.

وفي رسالة بعث بها غايانغوس إلى كاستيانوس يشير إلى تعيينه نائبًا للقنصل الإسباني في تونس وإلى مشروعاته ، وتبدو المرارة في لهجة الخطاب رغم أنها أخف حدة من الرسالة السابقة. يقول إنه يعرف أنه لا أحد في إسبانيا يعترف بفضله وإن بني وطنه يعتقدون أنه كثير الكلام وإنهم أقفلوا أبواب الاسكوريال في وجهه وإنه ليس لديه أدنى أمل في أن ترعى الحكومة الدراسات العربية . ويشير إلى أن واجبه كمواطن إسباني هو محاولة القيام بشيء ما داخل وطنه. بعد التوقيع على الخطاب يكتب غايانغوس ملحوظة يقدم فيها معلومة عن دراسة أخرى له: " نسيت أن أقول لك إنني وضعت اللمسات الأخيرة لدراسة متعلقة بقصر الحمراء. يرى الجميع أن الصور الملحقة والدراسة بأكملها ستكون أحد الآثار العظيمة لهذا القرن. أحد المواطنين الإنجليز قضى جزءاً كبيراً من حياته هناك يرسم، وهو مؤلف هذه الصور، وأنا قد ساعدته في مهمته بأن ترجمت له النقوش وكتبت تاريخ غرناطة منذ وصول العرب إليها عام ٧١٢ وحتى استيلاء الملكين الكاثوليكيين عليها عام ١٤٩٢ ، وهي دراسة حصلت منها على عشرة آلاف ريال"(١٠)

في عام ١٨٤٣ عاد غايانغوس إلى إسبانيا وعين أستاذا للغة العربية في جامعة مدريد . استمر في جمع الكتب والعملات وبعد ذلك – عندما قام برحلة إلى شمال أفريقيا – تمكن من الحصول على كثير من المخطوطات العربية ، هذه المخطوطات – بالإضافة إلى المخطوطات الأخرى التي كان يمتلكها بالفعل– تشكل مجموعة نادرة من المخطوطات الشرقية قوامها نحو ٣٠٠ أو ٤٠٠ مخطوطة.

منذ هذا التاريخ اهتم غايانغوس بدراسات عامة عن موضوعات مختلفة في الأدب الإسباني وكانت دراساته في الاستعراب قليلة. حاول غايانغوس إحياء مدينة الزهراء ؛

وفشل المشروع لعدم وجود تمويل. وفى عام ١٨٨١ استقر بشكل نهائى فى لندن ومات بها. يقول عنه منينديث بلايو " كان أستاذا لا يُنسى وكاتبًا لا يدانيه أحد بأعماله الخاصة وبنصائحه التى قدمها لدراسات الآخرين . كان أحد الذين أيقظوا حركة البحث التى استمرت حتى الآن، سواء فى مجال الاستشراق أو فى مجال التاريخ السياسى والأدبى لإسبانيا المسيحية"(١١)

أعـــمـــالـــه:

كانت دراسات باسكوال دى غايانغوس فى مجال الأدب العربى أكثر كمًا وأكثر أهمية فى السنوات الأولى لنشاطه البحثى.

والمقال الأول الذى نشره بالإنجليزية دون توقيع فى مجلة ويستمنيستر ريفيو(١٢) عبارة عن دراسة هامة حول المخطوطات العربية الموجودة فى إسبانيا. جاء ذكر هذه المخطوطات بمناسبة التعليق على كتاب لفرانثيسكو بوراس أويدوبرو عنوانه " نبذة تاريخية عن أرشيفات إسبانيا وقواعد لتنظيمها"(مدريد ١٨٣٠) فى هذه الدراسة هناك أخبار موجزة عن تاريخ ومحتوى كل مكتبة عامة أو خاصة فى إسبانيا مع ذكر خاص لمكتبة الاسكوريال التى لم يزرها إلا لفترة وجيزة. فوجئ المؤلف بحالة الإهمال التى توجد عليها المخطوطات العربية فقال : " أكد لى رهبان دير الاسكوريال أن هذه المخطوطات لم يمسها أحد منذ عام ١٨٠٧ عندما قام كوندى بترتيب المادة العلمية اللازمة لكتابه" ، و فوجئ غايانغوس بأن رهبان الاسكوريال كانوا يتأكدون أولاً أن زائر المكتبة إسبانى وكاثوليكى قبل أن يمكنوه من الإطلاع على كتاب قيم. هذا هو الوضع الذى كان موجوداً عندما قام غايانغوس بزيارة مكتبة الاسكوريال وتعين عليه البحث فى الدواليب أحيانا لكى يجد كتابا ما. يقول بعد ذلك إن السبب فى أن هذا المنجم غير مستغل بعد يرجع إلى سببين:

١ – أن مكتبة الاسكوريال اعتُبرت كملك خاص للرهبان .

٢ – أنه لا أحد فى إسبانيا تهمه الدراسات العربية .

يقول غايانغوس إن هذا هو السبب فى إهمال مكتبة الاسكوريال ولأن هذه المكتبة يُشرف عليها يسوعى جاهل غير كفء(١٣).

فى عام ١٨٣٩ نشر غايانغوس دراستين إحداهما عن كتاب و.هـ بريسكوت وعنوانه " تاريخ مملكة فيرناندو وإيسابيلا"، وقد نشرت فى مجلة اديمبرغ (يناير ١٨٣٨). الدراسة الثانية بعنوان " لغة وأدب الموريسكيين" ونُشرت فى مجلة بريتش آند فورن ريفيو ، وقد أشار غايانغوس إلى هذه الدراسة عندما تحدث عن الأدب الألخميادو. فى الواقع كانت الدراسة الثانية عبارة عن تعليق على كتاب لويس فياردوت " حول تاريخ العرب والمسلمين فى إسبانيا" (باريس ١٨٣٣) لكن غايانغوس يستغل الفرصة لكى يقوم بدراسة منهجية للأدب الألخميادو. يتحدث بإيجاز عن المؤلفين الذين تناولوا فترة الحكم العربى لإسبانيا وهاجم كوندى بعنف كما أشرنا ، وبعد ذلك تحدث عن طريقة كتابة الألخميادو.

لعل أكبر إسهام لغايانغوس فى مجال الدراسات العربية موجود فى موسوعة Peny Encyclopedia المنشورة ضمن إصدارات مجلة أديمبرغ ، وفى أربعة مجلدات من القاموس الموسوعى Biographical Dictionary الذى نشره جورج لونغ لصالح جمعية تعنى بنشر المعلومات المفيدة. هى عبارة عن مقالات صغيرة نشرت دون توقيع عن أشخاص وأحداث متعلقة بإسبانيا العربية. نعرف أن غايانغوس هو مؤلف هذه المقالات من خلال الرسائل التى أرسلها لأصدقائه. غايانغوس نفسه لم تكن تهمه هذه المقالات كثيرا غير أنها كانت تدر عليه بضعة جنيهات إسترلينية(١٤) .

المجلد الأول من كتاب " تاريخ السلالات المحمدية" نُشر عام ١٨٤٠ ، أما المجلد الثانى فقد نشر عام ١٨٤٣ على نفقة الجمعية الآسيوية التى أعطته مقابل الترجمة "عدداً من النسخ ومبلغًا من المال"(١٥) والفكرة التى جعلته يقوم بهذا العمل هى اعتقاده ضرورة نشر الترجمات الحرفية للمؤلفات العربية حتى لو لم تكن هناك دراسات عنها لكى يمكن القيام فيما بعد بمقارنة بيانات هذه المؤلفات بالبيانات التى تقدمها كتب التاريخ الإسبانية. ويؤكد غايانغوس أن هذه هى الطريقة الوحيدة لتحقيق تقدم ملموس، ولم يكن مخطئًا فى رأيه. كان غايانغوس يعتقد أيضًا أن عليه أن يبدأ بمؤلَّف عام لا بمخطوطة تتعلق بأحداث خاصة أو بفترة واحدة من تاريخ إسبانيا.

في البداية كان غايانغوس يأمل في إمكانية استخدام مخطوطات هذا المؤلف الموجودة في مكتبة باريس الوطنية. كان يعلم أن كارلوس الرابع أمر بالقيام بنسخ هذه المخطوطات من أجل كوندى وأن عملية النسخ قد تمت تحت إشراف كل من سيلفسترى دى ساس ولانجليس. ويبدو أن النُسخ قد أُرسلت إلى مدريد عن طريق سفارة إسبانيا في باريس عام ١٨١٦ . لم ير كوندى النسخ ولم يعرف مصيرها نظراً للظروف السياسية التي كانت تمر بها إسبانيا خلال تلك السنوات ، و لم يستطع غايانغوس العثور على تلك النسخ في أى مركز علمي عام أو أية مكتبة خاصة؛ في النهاية تمكن من استعارة نسخة خاصة بفردريك ويليام ليمبك من هانوفر ، وهي التي نسخها وترجمها.

يعبر غايانغوس عن شعوره بالمرارة في مقدمة المجلد الأول عندما يتحدث عن مساعيه التي باءت بالفشل للاطلاع على مخطوطات الاسكوريال لكي يكمل مخطوطات أو ليقارنها بما لديه. يقول غايانغوس :

لقد طلبت من صاحبة الجلالة الكاثوليكية أن تأذن لى بزيارة المكتبة ولكن من المحزن أن أقول إنه برغم الالتماسات المتكررة من جانبي وبرغم توسط شخصيات ذات نفوذ وبرغم الفائدة التي تعود من هذا العمل ، رغم كل ذلك قوبل طلبي بالرفض بحجة أن المكتبة لا تستطيع أن تفتح أبوابها بسبب وجود نزاع على ملكيتها بين الحكومة والقصر الملكي...... .(١٦)

ترجم غايانغوس المخطوطة إلى الإنجليزية لا إلى الإسبانية لكي يتغلب على العقبات التي تمثلها الموارد الاقتصادية والتعصب واللامبالاة.

كان أحمد المقرى التلمساني هو واحد من المؤلفين العرب القلائل الذين تناولوا كل مراحل فترة السيطرة الإسلامية على إسبانيا ، ولم يكن كتابه قد أثار اهتمام الباحثين، رغم أن كوندى في إسبانيا ورينارد وليمبك في الخارج قد اعتمدوا بشكل جزئي على كتابه. إن أهمية كتاب المقرى التلمساني لا تكمن فقط في كونها تاريخًا كاملاً بل لأن

المؤلف – متبعًا نمط المؤرخين العرب – يجمع مقتطفات من مؤلفين آخرين ثم يدلى بدلوه، هكذا يمكن من خلال المقرى معرفة فقرات وعناوين كتب اختفت:

إن هذه الاقتباسات – التى استطعت أن أتأكد منها بمضاهاتها بالأعمال الأصلية المذكورة – صحيحة دائما ، ويبدو من خلالها أن المقرى كانت بحوزته نسخ من كتبهم. (١٧)

عنوان الكتاب كاملاً هو " تاريخ السلالات المحمدية فى إسبانيا: مستخرج من نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وتاريخ لسان الدين بن الخطيب لأحمد بن محمد المقرى التلمسانى الأصل. ترجمه عن مخطوطات مكتبة المتحف البريطانى ، ووضع ملاحظات نقدية عن تاريخ وجغرافية وآثار إسبانيا السيد باسكوال دى غايانغوس عضو لجنة الترجمات الشرقية وأستاذ اللغة العربية بمدريد". لندن ١٨٤٠

لم يترجم غايانغوس العمل كاملاً كما كان يتعين عليه ، كما يفُهم من النقد الذى وجهه إليه معاصروه. لم يترجم من الجزء الثانى الخاص بحياة الوزير إلا فقرات تتعلق بحرب غرناطة ، أما الجزء الأول الخاص بوصف إسبانيا فقد ترجمه كله إلا بعض فقرات شعرية ورسائل مطولة " لم تكن لها أهمية تاريخية تذكر"(١٨)

الكتابان الثانى والثالث يتضمنان تفاصيل عن فتح إسبانيا مع أخبار عن العائلات التى حكمت شبه الجزيرة وقد ترجمهما غايانغوس كاملين، والكتاب الرابع الذى يتضمن وصف قرطبة ومبانيها الرئيسية ترجمه غايانغوس كاملا أيضًا، أما الكتاب الخامس فلا يكاد يشير إليه، باستثناء بعض الملاحظات. يُشار فى هذا الكتاب إلى العرب المشهورين الذين سافروا إلى الشرق بحثًا عن المعرفة. والكتاب السادس الذى يتحدث عن مشاهير العرب الذين غادروا بلادهم فى الشرق واستقروا فى إسبانيا ترجمه غايانغوس كاملاً، أما الكتاب السابع الذى يتضمن مقتطفات شعرية تدل على نبوغ الأندلسيين فلم يترجم منه إلا بعض النوادر. الكتاب الثامن الذى يتحدث عن طرد الموريسكيين ترجمه كاملاً، وطبقًا لما يرويه غايانغوس نفسه فى المقدمة(ص ١٦) فقد غيَّر ترتيب الكتب وقسَّم المواد إلى فصول وحذف الأجزاء المكررة وعدَّل فى الرواية حتى تكون القراءة ممكنة ومسلية.

هذا النهج قد انتقده بعض المستعربين المعاصرين لغايانغوس. صحيح أنه جعل القراءة أكثر متعة وأن الأجزاء التي حذفها قد لا تكون مهمة للقارئ العادي، لكن الصحيح أيضًا أنه جعل الكتاب عديم الفائدة بالنسبة للباحثين الحقيقيين. لا يمكن إغفال التحفظات عند الاستعانة بكتاب ناقص ، فربما حذف المترجم البيانات التي كان الإنسان يبحث عنها هي بالتحديد.

هناك خطأ آخر وقع فيه غايانغوس وهو عدم الإشارة إلى التغييرات والحذف والتبديل الذي أحدثه، فالإشارة كانت ستفيد الباحث الذي يريد الرجوع إلى النص الأصلي عند الضرورة. هذه الأخطاء - بلا شك - تعود إلى طريقة غايانغوس في معالجة الموضوع لا إلى نقص استعداده العلمي. لا غايانغوس ولا كوندى كتبا مؤلفاتهما خاصة للباحثين والمتخصصين. كانا على وعي بعدم وجود كتابات من هذا النوع في إسبانيا في عصرهما وأرادا ملء الفراغ، كان خطؤهما مجرد وجهة نظر؛ إذ كانا يعتقدان أنه لم يحن الوقت لكتابة مؤلفات للمتخصصين.

ولم يسلم غايانغوس كذلك من انتقادات دوزى التي كانت في مستوى الانتقادات الموجهة إلى كوندى من حيث عدم تناسب لهجة النقد مع درجة الخطأ : ففي كتابيه " أبحاث" Reseraches [19] و " كتابات عربية عن بني عباد " [20] ينتقد دوزى الترجمة وبعض النتائج التي توصل إليها غايانغوس : إن أسلوب دوزى هنا ليس عنيفًا كما كان الحال مع كوندى ، ولم تؤثر انتقادات دوزى على سمعة غايانغوس كثيراً . ومن ناحية أخرى لم يرد غايانغوس على دوزى ، ولم يشأ أن يجره دوزى إلى معركة حول النقاط التي يهاجمه فيها [21].

وفيما يلي بعض انتقادات دوزى حتى يتبين الفرق بين حالة كوندى وحالة غايانغوس. في كتاب " أبحاث" ص ٣٧٧ ، ينشر دوزى ترجمة غايانغوس لفقرة لابن بسام ولفقرة لابن العبَّار لكى يصحح الترجمة. في البداية يسوق النص العربي ثم ينشر الترجمتين - ترجمة غايانغوس وترجمته - في عمودين متقابلين لكى يبين " إضافات غايانغوس " ، وكانت إضافات غايانغوس عبارة عن جمل قصيرة لا تغيِّر

دقة الترجمة لكنها – حقيقة – غير موجودة فى النص العربى؛ فعلى سبيل المثال يقول غايانغوس : "قام ابن جحاف – بمساعدة أحد المرابطين – بهجوم مفاجئ على معسكر القادر وهزم السلطان وقتله" ؛ ودوزى يصحح : " لكن القاضى ، بمرافقة قوة صغيرة من المرابطين ، انقض عليه وقتله"(٢٢) وفى مناسبة أخرى يقول غايانغوس : " هيا بنا نستمع إلى حكاية ابن الأبار" ؛ ودوزى يصحح: " إن ابن الأبار يؤيد هذا الرأى" والاختلافات كما يتضح من العرض صغيرة جداً لأن غايانغوس لم يفعل سوى إضافة بعض كلمات بهدف توضيح المعنى.

فى صفحة ٣٨٢ يقول دوزى " لقد ترجم السيد غايانغوس فى ملحق مجلده الثانى فقرات عديدة من كتاب الاكتفاء تتعلق بالقمبيطور، هذه الترجمات لا تتصف بالدقة دائما."

وقد حدث هنا – كما حدث مع كوندى – أن اضطر دوزى إلى تصحيح كلماته؛ ففى ص ١٢١ يقول فى الملاحظة رقم ٣ : إن فقرة ما عن غزو المرابطين لإسبانيا كانت إضافة من غايانغوس وليست موجودة فى النص العربى للمقرى، أما فى ص ٧٠٧ فيذكر أن الفقرة موجودة فى النص، وفى صفحة ٢٢٧ يقول إن هناك فقرة تتعلق بالاستيلاء على طليطلة لا يذكرها أى مؤلف ، أما فى ص٩٠٧ فيصحح المعلومة بقوله انه" نسى" – يبدو أنه هو أيضًا يمكن أن ينسى – أن الفقرة ذكرها المقرى وأن غايانغوس قد ترجمها.

إن ترجمة كتاب المقرى فى الواقع كانت فوق مستوى انتقادات دوزى، وكانت فى عصرها أفضل ما نُشر فى مجال الدراسات العربية. كان من الظلم أن يقارن غايانغوس بكوندى ، لا لأن تكوين غايانغوس العلمى كان أشد صلابة، بل لأن إقامته فى إنجلترا ورحلاته المتواصلة إلى باريس قد مكّناه من الاطلاع على مراجع كثيرة تفوق ما اطلع عليه كوندى. هذه الترجمة تتضمن الأساس الفعلى لكتب التاريخ الحديثة فى مجال الدراسات العربية، وقد حاول غايانغوس أن تكون ترجمته على أعلى مستوى من الدقة، فوضح الفقرات الغامضة وتحدث عن الشخصيات المذكورة وأكد صحة البيانات.

فى عام ١٨٤٢ نشر غايانغوس بالإنجليزية والفرنسية دراسة هامة هى كتاب بعنوان " تخطيط وبناء وتفصيلات وأقسام قصر الحمراء، عن رسومات مأخوذة عن صور التقطت عام ١٨٣٧، مع ترجمة للنقوش العربية ونبذة تاريخية عن ملوك غرناطة منذ وصول العرب وحتى طرد الموريسكيين" تأليف باسكوال دى غايانغوس، لندن عام ١٨٤٢، وهو كتاب نادر حاليًا ويصعب الحصول عليه (٢٣).

وفى عام ١٨٣٤ قام المهندس المعمارى خوليس جورى برحلة إلى غرناطة وقام برسم قصر الحمراء بهدف نشر الرسومات بالاشتراك مع مهندس معمارى آخر هو أوين جونس. مات جورى فى غرناطة بوباء الكوليرا، وعاد أوين إلى إنجلترا حيث بدأ الإعداد لنشر العمل بمفرده. وفى عام ١٨٣٧ عاد أوين إلى غرناطة لتكملة مجموعة الرسومات التى نُشرت فيما بعد كمجلد ثان دون نص مكتوب.

ورغم أن الكتاب موجه إلى أقلية معينة إلا أنه لاقى رواجًا كبيراً نظراً لأنه يجمع بين الرومانسية والعلم فى تقديمه وفى نصَّه. إن المعلومة التاريخية المبنية على مصادر عربية تُقدم هنا بأسلوب أدبى بحيث يمكن للجمهور غير المتخصص قراءتها. فى الصفحة التالية للغلاف هناك أبيات شعر - كمقدمة - مستخرجة من كتاب " شرقيات" لفيكتور هوجو تقول:

الحمراء الحمراء

قصر ذهبه العباقرة

مثل حلم وأوفوه انسجاما

قلعة ذات شرفات

نقوش زهرية متدلية

فيها نصغى للكلمات السحرية

عندما ينثر الفجر

بعد ذلك تأتى المعلومات التاريخية عن ملوك غرناطة منذ تأسيس القلعة الحصينة التى تحولت فيما بعد إلى قصر الحمراء وحتى سقوط أبى عبدالله. يتضمن الكتاب أيضًا ترجمة لرواية الرحالة العربى أحمد الغزالى الذى زار غرناطة حوالى عام ١٧٦٩ ولدى عودته إلى فاس نشر كتابًا عن انطباعاته عن رحلته مع وصف لغرناطة فى ذلك الوقت. كانت مخطوطة كتاب الرحالة العربى موجودة فى المتحف البريطانى ، وكان غايانغوس أول من نشرها. كان عنوان الكتاب " نتيجة الاجتهاد فى المهادنة والجهاد" وكان سبب زيارة المؤلف لغرناطة هو السفارة التى أرسلها إمبراطور المغرب عام ١٧٦٨ لعقد الصلح مع كارلوس الثالث.

وقد صدرت عن الكتاب عدة نسخ فاخرة وهو مهدى إلى ذكرى جوليس جورى. الكتاب يجمع بين صور تبين التفاصيل الفنية للعمارة والزخرفة وبين صور نابعة من الرومانسية الأدبية وصور لمسلمات يتغطين بالنقاب ومسلمين يضطجعون على أرائك بجوار الينابيع وتحيط بهم الديوك الرومية.

تبدأ المعلومة التاريخية التى كتبها غايانغوس بوصف لغرناطة جدير بأن يكتبه ثوريا(*) : " ليس هناك شىء يضاهى مروج غرناطة الخضراء اليانعة. إن تأثيرها الأخاذ تزيد منه البيوت التى تحيطها الحدائق وهى بيوت صغيرة ناصعة البياض، قارنها شاعر بلآلئ شرقية وضعت على فنجان من الزمرد. هل يعجب أحد لأن العرب خرجوا من هنا باكين وكون غرناطة حتى الآن الموضوع المفضل لأغنياتهم الشعبية وأنهم لا يزالون يدعون الله أن يعيد إليهم ملكهم القديم؟". وهكذا تمضى المقدمة بأسلوبها الأدبى الرائع بطريقة لم تكن معهودة فى غايانغوس .

(*) شاعر رومانسى إسبانى (المترجم) .

المصادر التى يذكرها الكتاب هى "تاريخ المسلمين" لكوندى ، و" آثار وفضائل غرناطة" لبدراثا و " نزهة فى غرناطة" للراهب ايشيباريا ، و " تاريخ إسبانيا العام" للأب ماريانا ، و " غزو غرناطة" لواشنطن ايرفنغ ، كما يذكر أيضًا عدة روايات تاريخية كمصادر منها "السيدة ايسابيل سوليس ملكة غرناطة" لمارتينيث دى لاروسا والتى تتضمن – كما يقول – بيانات دقيقة. أما المصادر العربية التى يُشير إليها فهى " تاريخ إسبانيا الإسلامية" لابن حيان ، و " تاريخ غرناطة" لابن الخطيب ، و " تاريخ الموحدين" لابن صاحب الصالة.

ويُدخل غايانغوس فى المعلومة التاريخية التى يقدمها بيانات عن تشييد قصر الحمراء ، وفى نهاية النص تبدأ صفحات الرسومات الملونة بالأسْوَد أو بألوان أخرى حسب الأهمية التى يُوليها الرسام للشىء المرسوم، وبجوار كل صورة تتضمن نقوشًا هناك ترجمة قام بها غايانغوس.

النهج الذى سار عليه المعماريان لنسخ النقوش كان النقل عن طريق قالب الجبس أو عن طريق الورق ، وكانت هذه طريقة محكمة لأنه لم يكن هناك أدنى احتمال لوقوع أخطاء. ربما أغفل المعماريان بعض النقوش – وقد حدث بالفعل أن تجاهل جونس ثمانية أبيات موجود فى صالة الأختين – لكن هذه الطريقة ميزتها أنها جعلت من الممكن الاحتفاظ ببعض النقوش فى كتاب بعد أن أتلفها الزمن.

اعتمد غايانغوس فى ترجمته للنقوش على الترجمة التى قام بها ألونسو ديل كاستيو عام ١٥٥٦ وعلى المخطوطة الموجود فى المكتبة الوطنية بباريس التى ألفها أحمد المغربى بن المقرى والتى تتضمن ثلاثين بيتًا من قصائد الحمراء.

ملاحظات غايانغوس توضيحية أكثر منها أكاديمية، ويمكن اعتبار الكتاب كعلامة على سير غايانغوس على طريق التيار الأدبى السائد والذى ابتعد عنه فورًا ليسير فى طرق أخرى.

بعد هذا الكتاب لم ينشر غايانغوس شيئًا ذا أهمية فى مجال الدراسات العربية ، رغم أنه لم يترك المجال كليةً، واعتبارًا من هذا التاريخ اهتم غايانغوس بقضايا تخص

الأدب الإسبانى عامةً، ويمكن القول إن مقالاته التى نشرها عبارة عن معلومات وصلت إليه أثناء قيامه بأبحاث لكى يلقيها فى أكاديمية التاريخ.

عندما اختير غايانغوس عضواً بأكاديمية التاريخ قرأ بحثًا نُشر بعد ذلك فى المجلد الثامن من إصدارات الأكاديمية(عام ١٨٥٢) . عنوان البحث هو " حول صحة أخبار راسيس (الرازى) المسلم"(٢٤) ويهدف بحث غايانغوس إلى أن " الأخبار" عبارة عن ترجمة لمؤلَّف عربى وأن الرازى مؤرخ عربى معروف .

هناك كتاب بعنوان " أخبار الرازى المسلم" وهو عبارة عن كتاب تاريخ قِيل إنه تُرجم عن أصل عربى إلى اللغة البرتغالية بأمر من الملك ديونيس وتُرجم من البرتغالية إلى الإسبانية. كان المؤرخون الإسبان القدماء - أمثال ماريانا وخيرونومو ثوريتا ومارمول - يعتبرون الكتاب مؤلَّفًا حقيقيًا ويشيرون إليه دائمًا، أما المؤلفون الإسبان المعاصرون فكانوا يعتبرونه مزيفًا.

ليست هناك نسخة محفوظة من النص البرتغالى، أما النص الإسبانى فهناك عدة نُسخ منه: إحداها كانت ملكًا لامبروسيو دى موراليس ثم صارت بعد وفاته إلى أرغوتى دى مولينا، وهناك نسخة أخرى كانت موجودة فى مدرسة سانتا كاتالينا فى طليطلة. وقد قام غايانغوس بدراسته معتمداً على هاتين النسختين وذلك لكى يدحض نظريات ميخائيل الغزيرى وكليمنتين(٢٥) اللذين كانا يريان أن الكتاب مزيف. كان الاثنان يعتمدان على نص بعنوان " راسيس المسلم مؤرخ ذى الحران أمير المؤمنين بأفريقيا وملك قرطبة والمغرب" . وكان غايانغوس يرى أن العنوان إضافة تمت بفعل ناسخ جاهل أراد أن يُلبس المخطوطة ثوب الحقيقة. هذا العنوان غير موجود فى النسختين اللتين اعتمد عليهما غايانغوس .

كما أجرى غايانغوس دراسة دقيقة عن المؤلف ففرق بين الرازى كاسم لعدد من الأطباء المعروفين فى الأندلس - وهو ما جعل الناس يعتقدون أن المخطوطة مزيفة - والرازى كاسم لثلاثة مؤرخين طبقًا لما يقوله غايانغوس: محمد بن موسى الرازى (الذى قدم إلى إسبانيا عام ٨٦٤ وكان تاجراً وكتب مؤلَّفًا بعنوان " كتاب الأعلام")

وابنه أحمد بن محمد الرازى المسمى بالمؤرخ وهو مؤلف هذا الكتاب، وابنه عيسى الذى أتمه.

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أجزاء: الجزء الأول يتعلق بوصف إسبانيا عندما احتلها العرب ، وبحدود الإمبراطورية الإسلامية فى أواخر القرن العاشر، هذا هو الجزء الذى تُرجم إلى البرتغالية ثم إلى الإسبانية، والجزء الثانى موجز عن سكان إسبانيا وتاريخهم فى العصور القديمة. أما الجزء الثالث فهو يتعلق بإسبانيا العربية منذ احتلالها وحتى فترة الحَكَم الثانى. وينشر غايانغوس - كملحق للكتاب - الجزء التاريخى والجغرافى من كتاب الرازى بالإسبانية مع إضافة توضيحات وتعليقات وملاحظات.

هناك مجال عمل فيه غايانغوس كثيراً رغم أنه لم ينشر منه كل ما أراد نشره: هذا المجال هو الأدب الألخميادو. بعض الأوراق - التى نعلم بوجودها من خلال رسائله - يبدو أنها فُقدت. هناك عدة أوراق تخص غايانغوس وهى مودعة فى أكاديمية التاريخ فى انتظار أن تحظى بعناية أحد الباحثين.

أحد المشروعات التى كان غايانغوس ينوى إنجازها هو كتاب " تاريخ الموريسكيين"(٢٦) الذى تحدَّث عنه كثيراً مع صديقه سيرافين كالديرون ، وكان الاثنان قد جمعا مادة علمية ضخمة لهذا الكتاب. لم ينشر غايانغوس الكتاب كاملاً، لكنه نشر أجزاءً منه فى عدة مناسبات.

ذكرنا أن غايانغوس نشر مقالاً عام ١٨٣٩ عن لغة وتاريخ الموريسكيين لخص فيه كل المعلومات التى كانت معروفة فى هذا المجال وقتذاك ، ووضح فيه قواعد النحو التى تساعد على فهم خصائص اللغة التى استخدمها الموريسكيون فى كتاباتهم. فى عام ١٨٥٣ وفى المجلد التاريخى الإسبانى (الكتاب الرابع ص ١٢٤٦) نشر غايانغوس فصلاً من " شريعة المسلمين" مستخرجا من مخطوطات ألخميادية معظمها كانت ملكًا له. نشر مخطوطتين تعقبهما دراسة موجزة. المخطوطة الأولى نسخة من مخطوطة ترجع إلى القرن الرابع عشر وكانت محفوظة فى إحدى مكتبات ألكالا ويبدو أنها فُقدت

بعد ذلك . المخطوطة المفقودة عبارة عن كتاب فى الفقه، من نوع الكتب التى كانت توجد عادة مع مدجنى قشتالة وأراغون ويقول غايانغوس (ص ٥) إن المخطوطة ربما تعود إلى زمن ألفونسو الحادى عشر، أى إلى الثلث الأول من القرن الرابع عشر.

المخطوطة الثانية كتبها عيسى بن جابر كبير فقهاء ومفتى سيغوبيا عام ١٤٦٢ وعنوانها "مختصر أوامر ونواهى القرآن والسُنة" . تتضمن المخطوطة كل ما يجب أن يعرفه المسلم عن العقيدة والشعائر التى عليه أن يؤديها. اطلع غايانغوس على مخطوطات أخرى لكى يتمكن من دراسة ونشر هاتين المخطوطتين. فى نهاية الدراسة ينشر غايانغوس معجم الكلمات الألخميادية المستخرجة من المخطوطتين ومن المخطوطات الأخرى التى اطلع عليها.

أما الكتب التى اطلع عليها غايانغوس وذكرها فهى كتاب وضع فى تونس فى منتصف القرن السابع عشر بناءً على طلب مسلم ثرى من وجهاء تونس ؛ لأن معظم المطرودين من إسبانيا قد نسوا العربية تمامًا ولا يعرفون شيئًا عن حروف اللغة التى نزل بها القرآن الكريم.

المخطوطة كانت ملكًا خاصًا لغايانغوس وهى فى الوقت الحالى محفوظة فى أكاديمية التاريخ وقد درسها خايمى أوليفر آسين [٢٧] (*)

هناك مخطوطة أخرى استعملها غايانغوس وهى عبارة عن كتاب ألفه موريسكى من أراغون يُدعى على بن محمد بن حضر فى القسطنطينية حيث كان يعيش عام ١٦٠٦ . المخطوطة عبارة عن ترجمة لأصل عربى ، وقد أطلق الموريسكى على ترجمته عنوان " هازم الإلحاد والمروق"[٢٨].

كما يذكر غايانغوس أيضًا كتاب أبى نصر بن محمد بن إبراهيم وعنوانه " كتاب السمرقندى" ، وهناك مخطوطتان لهذا الكتاب إحداهما فى مكتبة مدريد الوطنية

(*) المخطوطة مودعة بالفعل فى أكاديمية التاريخ بمدريد تحت رقم S - 2 وقد نشرتها مؤخرًا الباحثة لوثى لوبيث بارالت، وقد ترجمنا دراسة بارالت ومقتطفات من المخطوطة إلى العربية ونشرناها ضمن إصدارات مؤسسة التميمى للبحث العلمى والمعلومات بتونس . (المترجم) .

والأخرى – ناقصة – موجودة فى مكتبة معهد ميغيل أسين. الكتاب ينتمى إلى نفس نوع الكتب التى نشرها غايانغوس. الفرق يكمن فى أنه فى هذا الكتاب يُخصص كل فصل لشعيرة من الشعائر ويُدخل المؤلف فى الفصول أساطير وحكايات توضح الحالة التى يتحدث عنها ويستخرج منها موعظة ما.

واستعمل غايانغوس كذلك كتاب محمد ربضان " شهور السنة الاثنا عشر" وذكر منه بعض القصائد فى ملاحظات هامشية وضعها فى كتاب " شريعة المسلمين" وفى ترجمته (عام ١٨٥٦) لكتاب " تاريخ الأدب الإسبانى" لتكنور حيث نشر مقدمة وقصة هشام وعبدالمطلب(٢٩) .

يتحدث غايانغوس عن مؤلفات أخرى كثيرة كتبها الموريسكيون بهدف المحافظة على هويتهم الإسلامية. المهم هنا أنه يقول إن عدد المخطوطات من هذا النوع يصل إلى ستين مخطوطة وهى مودعة فى المكتبة الوطنية بمدريد، وإن هناك مخطوطات أخرى كثيرة موجودة فى مكتبات خاصة، من هذه المكتبات الخاصة مكتبة غايانغوس نفسه ومكتبة سيرافين كالديرون .

وبعد أن عُين غايانغوس عضواً بأكاديمية التاريخ لدى عودته إلى إسبانيا نشر سلسلة تقارير حول النقوش والوثائق التى كانت تُرسل إلى الأكاديمية، بعض هذه التقارير غير موقع عليه رغم أنه من السهل معرفة أن المؤلف هو غايانغوس بالنظر إلى الأسلوب وإلى موضوع التقرير. ومعظم هذه التقارير ليست له أهمية أدبية برغم فائدته بالنسبة لعلماء الآثار والمؤرخين. ونذكر على سبيل المثال ذلك التقرير الذى نشره عام ١٨٥١(٣٠) عن النقوش العربية فى أشبيلية. كان أحد هذه النقوش موجوداً فى كنيسة سان خوان دى بالما التى كانت مسجداً قبل ذلك . كان الغزيرى قد ترجم هذه النقوش من قبل وكانت ترجمته بها بعض الأخطاء، بل إن مترجمًا من قبل محاكم التفتيش كان قد ترجم النقوش وقال ما لم يقله النص الأصلى. وقد علق غايانغوس على هذه الترجمة بقوله : " هكذا كانوا يكتبون التاريخ فى القرنين السادس عشر والسابع عشر"(ص ٣٩٦). النقوش الأخرى كانت موجودة فى برج كنيسة سلبادور التى كانت مسجداً أيضاً، وفيها يذكر اسم ابن المعتمد فى معرض الحديث عن زلزال دمر بعض البنايات عام ١٠٧٩ .

نُشرت تقارير أخرى لغايانغوس فى الكتابين الثالث والسادس من المجلد التاريخى الإسبانى، لكن هذه التقارير غير مهمة بالنسبة لدراستنا هذه.

كانت آخر إسهامات غايانغوس فى مجال الأدب العربى أو الألخميادو عبارة عن ملاحظات كتبها فى ترجمة كتاب تكنور " تاريخ الأدب الإسبانى" (عام ١٨٥١). قام غايانغوس بالترجمة بالاشتراك مع إنريكى بيديا ، لكنه كان قد أجرى اتصالاً مع تكنور وساعده بإرسال بيانات ونسخ من مخطوطات أصلية. كانت هذه المساعدات مفيدة لتكنور كما يعترف هو نفسه (٣١) إلا أنها لم تكن بالقدر الذى يتحدث عنه فيتماوريس كيلى : " إن كتاب تكنور لم يكن من الممكن تأليفه بدون مساعدة غايانغوس"(٣٢)

ينشر تكنور فى ملحق الكتاب الأخير بعض أعمال وفقرات من الأدب الألخميادو التى كان غايانغوس قد أمدَّه بها. يتضمن الملحق "هـ" " قصيدة يوسف" كما نسخها غايانغوس عن مخطوطة بالمكتبة الوطنية بمدريد، " كتاب النور" والسلالة الشريفة التى ينتسب إليها سيدنا محمد ... وضعها وجمعها عبدالله الفقير إلى عفوه محمد ربضان.. كتبت عام ١٦٠٣ ، و " قصيدة مجهولة المؤلف فى مدح النبى".

يضيف غايانغوس بعض الملاحظات إلى ملاحظات تكنور، ويكرر فى هذه الملاحظات ما سبق أن ذكره فى مقاله المنشور بمجلة ويستمنيستر ريفيو. يعود إلى ترديد أن عدد مخطوطات الأدب الألخميادو المحفوظة كبير جداً وأنه يمكن أن يضيف أعمالاً أخرى إلى الأعمال التى نشرها تكنور، إلا أن " موضوعاً كهذا مرتبطاً بالظروف الاجتماعية والتاريخية وبعادات الموريسكيين الإسبان يكفى لكتابة كتاب كامل لا مجرد فصل"(٣٣) .

فى هذا المجال بشكل عام – وربما فى كل أعماله – تتفوق أعماله كباحث على إنتاجه الأدبى. من المعروف أن غايانغوس كان مولعًا باقتناء الكتب. كانت مكتبته تتألف من كتب نادرة وغريبة لا توجد فى مكتبات أخرى فى عصره. إن رسائله إلى سيرافين كالديرون – الذى كان يشاركه الولع باقتناء الكتب – تحفل بقوائم الكتب التى كان

الاثنان يتواصيان باقتنائها أو يكلف أحدهما الآخر بشرائها. لهذا فقد كان غايانغوس يخطئ أحيانًا عند تقييم كتاب ما، يدفعه إلى ذلك شغفه بالكتب. كان يعتقد أن إعادة طبع كتاب ما أفضل من إعداد دراسة عنه، ولهذا فقد أنقذ عدة كتب من الضياع أو النسيان، وهى كتب كانت مجهولة لفترة طويلة.

هناك ميزة شخصية لغايانغوس تربطه بالمستعربين الإسبان الذين أعقبوه، ألا وهى سهولة توصيل المعلومة إلى الآخرين ، خاصة إذا كانوا من الشباب المتحمسين والجادين فى تحقيق غايتهم.

الهوامش

(1) GUSTAVE DUGAT: Histoire des orientalistes de l'Europe du XII au XIX siécte précédés d'une esquisse historique des études orientales, París, 11868 , 70 P. Xliv.

(2) PEDRO ROCA: Noticia de la vida y obras de D. Pascual de Gayangos, en "Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos", Madrid, 3 . º serie, 1891 , I, pp. 544 - 65 ; 1898 , II,pp. 13 - 32 , 70 - 82 , 110 - 130 , 562 - 68 ; 1899 , III , p .. 101 - 106 .

(3) Carta de GAYANGOS a Santiago Massarneau del 1 de enero de 1838, publicada por ROCA, en Noticia de la vida.., en " " Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos",1898 ,II,p.14

(٤) كان سباستيان ماسارو موسيقيا إسبانيا عاش فى الفترة من ١٨٠٥ إلى ١٨٨٢ ، وفى شبابه أقام فى فرنسا عندما نفى والده إلى فرنسا ثم عاد إلى إسبانيا وأسس مدرسة للموسيقى.

(٥) أسس سباستيان كابستيانوس دى لوسادا الأكاديمية الإسبانية للآثار ، ولها فروع فى المحافظات تقريباً وأعضاء مراسلون بالخارج كان غايانغوس مراسلها فى لندن.

(6) ANTONIO CÁNOVAS DEL CASTILLO, EL Solitario y su tiempo, Madrid, 1883 . Consúltese también Aportación documental para la erudición española. Epistolario de don Pascual de Gayangos, quinta parte, recopilación y transcripción de José Simón Díaz. Suplemento n.º 1de la ·Revista Bibliográfica y Documental", Madrid,II, n.º 4. octubre-diciembre, pp.1-32

(7) PEDRO ROCA: Noticia de la vida...,en ··Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos", 1898 ,II,p.21

(8) Carta a Massarneau del 8 septiembre de 1838.ROCA: Noticia de la vida.. ··Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos", 1898 , II,p.21.

(9) " Revista Bibliográfica y Documental", Epistolario de Gayangos, 1948 , II, n.º 4 , p.9

(10) PEDRO ROCA: Noticia de la vida..,en ·Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos", 1898 , II,p.21

(11) MARCELINO MENÉNDEZ Y PELAYO: Necrología de D. Pedro Roca, en "Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos" , 1903 , p. I-IV.

(12) PASCUAL DE GAYANGOS: Arabic Mss. In Spain (sin firmar) en ·Westminter Review", London, XXI, n. ° 42 ,oct. 1.1834, pp. 378 - 394 .

Al pie de la primera página hay una nota que dice :

·:This article was receivd in English from a learned Spaniard in Madrid, and idólatras published with little verbal alterations. Ed."

(١٣) يشير دون شك إلى الأب رايموندو غاسيت الذى جاء بعد الأب أرتيغاس.انظر

Arabic Mss. In Spain, en ·Westminster Review", XXI, p.392

(14) PEDRO ROCA :Noticia de la vida..., en ·Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos", 3. ° serie, 1898, II, pp.563-68

(15) Carta a Massarneau del 31de enero de 18 Roca,1,c.1898,II.p.71

(16) PASCUAL DE GAYANGOS: History of the Mohammedan Dynasties, Preface, p.XVIII.

(17) GAYANGOS, Mohammedan Dyn., Preface, p.XIV

(18) GAYANGOS, Mohammedan Dyn., Preface, p. XV

(19) R.P. Dozy, Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le Moyen Age, Leyden, 1860 , pp. 378 - 380 .

(20)R. P. Dozy: Scriptorum arabum loci de Abbadidis, nunc primun editi a...Lugduni Batavorum, I, 1852 ; III, 1863 .

(٢١) يقول خوان باليرا فى مقال له عن " معجم الألفاظ الإسبانية والبرتغالية المشتقة من العربية" والمنشور فى مجل كريتيكا ليتيراريا عام ١٨٦٤ -: " إن دوزى اعتمد على دراسات غايانغوس ، لكن دوزى يبدى انتقاصاً من حق غايانغوس لدرجة أنه كلما يذكره مرتين يعارضه فى واحدة... إن جفاء دوزى يقترب من بسوء الأدب أحيانا ، وحتى لو فرضنا أن غايانغوس كانت معلوماته عن العربية أقل من معلومات دوزى وأن هذا الأخير من حقه أن يصحح معلومات الأول... فإن ذلك لا يغفر مطلقاً هذه التعبيرات التى لا يجب أن تخرج من قلم عالم"

(22) R.P. DOZY: Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le Moyen Age, p. 379 , 380 .

(٢٣) مكتبة جامعة ميتشبان بها نسخة من كل مجلد من الاثنين

(24) Memoria sobre la autenticidad de la cr´onica denominada del moro Rasis, leída en la Real Academia de la Historia por don PASCUAL DE GAYANGOS al tomar posesión de su plaza de académico supernumerario. Memorias de la Real Academia de la Historia, VIII, 1852 (paginación separada).

(25)A. GONZALEZ PALENCIA: Literatura arábigo-española, Barcelona, 1928 , pp. 130 - 31 .

(26) Carta de Estébanez Caldrón del 13 de enero de 1840 , publicada por Cánovas en El Solitario y su tiempo. Apéndices, II, p. 369 .

(27)JUAN OLIVER ASíN :Un morisco espa´nol admirador de Lope, en "Al-Andalus", 1933 , fasc. 2 . º pp.409 - 50

(٢٨) يبدو أن مصير المخطوطة مجهول

(29) (G. TICKNOR: Historia de la literatura espaňnola traducción de PASCUAL DE GAYANGOS y E. DE VEDIA, Madrid, 1856 , IV, p. 275 .

(30) Memorial Histórico Español, Madrid, 1851 , II, pp.393-40.

(31) G.TICKNOR, 1 , Prólogo, p. III

(32) JAMES FITZMAURICE-KELLY: C hroniques. (Nota biográfica sobre don PASCUAL DE GAYANGOS, en "Revue Hispanique", n.º 12 ,nov. 1897 pp. 337 - 41 .

(33) G. TICKNOR, 1c. Apéndices, p. 418

الاستعراب الرومانسى

سيرافين استيبانيث كالديرون

ربطت صداقة وطيدة بين كل من باسكوال دى غايانغوس وسيرافين استيبانيث كالديرون. استمرت هذه الصداقة طيلة حياتهما وكانت مبنية على حب الاثنين للكتب النادرة وللدراسات العربية. وفى تطور هذه الدراسات لاحقًا كانت الرومانسية هى التى أثارت الاهتمام بعد ذلك . كان هناك من كرس جهوده للبحث العلمى مثل غايانغوس، و كان هناك من لم ير فى الاستعراب إلا الجانب الأدبى والغريب مثل سيرافين استيبانيث كالديرون .

تفاصيل حياة سيرافين كالديرون موجودة بشكل أو بآخر فى كتب الأدب ، وبالإضافة إلى ذلك هناك كتاب ابن أخيه المعجب به وهو أنطونيو كانوباس ديل كاستيو، وعنوانه " سيرافين وعصره " [١] هذا الكتاب يحتوى على بيانات أخذها المؤلف مباشرة من عمه ، وقد أسهمت هذه البيانات فى شهرة سيرافين ، لكن الأمر العجيب هو أن أحدًا لم يدرس بعد ميل سيرافين إلى الدراسات العربية وأن من فعل ذلك قد أشار إلى الموضوع بشكل عارض.

يرسم إميليو غارثيا غوميث – فى كتابه " كرسى المسلم ومشاهد أندلسية جديدة"[٢] – صورة لرؤية سيرافين كالديرون لأندلوثيا، لكنه لا يتوقف أبدًا عند التأثير الذى أحدثه ميل سيرافين إلى فترة السيطرة العربية فى إسبانيا على هذه الرؤية ، ومع ذلك فإننى أعتقد أن ميله إلى الأدب العربى والثقافة العربية قد ترك أثرًا على إنتاجه الأدبى. ومن ناحية أخرى فإن ميله إلى الدعاية لهذه الدراسات قد أسهم فى وجود مجموعة ترغب فى هذا النوع من الدراسة.

كان سيرافين – مثل غايانغوس – من أندلوثيا ، فقد وُلد فى ملقة وأمضى بها طفولته، وفي بداية سنوات شبابه سافر إلى غرناطة لدراسة القانون فى جامعتها. نشأ الاثنان بجوار أطلال الآثار العربية ، ربما دون أن يحدقوا فيها كثيراً. أما عندما ظهرت عليهما بوادر الاهتمام بالأدب فكانت الرومانسية قد غزت إسبانيا وكان الأدب الإسباني – والحياة الإسبانية بشكل عام – قد تأثر بالرومانسية . تشبع سيرافين بروح الرومانسية ، وكان يشغل وقت فراغه وهو طالب بالتجول فى قصر الحمراء، وكان خياله يجوب ردهات القصر ، لكنه لم يكن يريد مجرد إحياء الأشباح التى تسكن القصر – كما فعل واشنطن ايرفنغ – بل أراد أيضًا أن يتعلم اللغة التى كانت سائدة حينذاك لكى يفهم الجمل المنقوشة التى تزين سور قصر الحمراء، وفى قصيدة كتبها بعد ذلك – وأهداها إلى الراهب ارتيغاس الذى علمه اللغة العربية – يعبر عن رغبته فى دراسة العربية:

كنت بعيداً عن التحدث بلغة اليمن السعيد

كان ينقصنى المفتاح الذهبى

الذى يفتح لى أبواب علوم المسلمين

تستمر القصيدة فى وصف جمال قصر الحمراء وروعة جنة العريف والنقوش التى تتحدث عن "مجد الإسلام الذى خبا" وهى النقوش التى لا يعرف هو كيف يقرؤها. تنتهى القصيدة بالثناء على معلمه الذى أعانه على إرواء ظمئه فى المعرفة.

كيف أنسى أنك كنتَ دليلى

الذى قادنى إلى الخيط السحرى

الذى ساعدنى على اجتياز الطريق الوعر

وأنك أعطيتنى المفتاح

الذى فتح لى أبواب علوم المسلمين(٣)

بدأ سيرافين دراسة اللغة العربية بمجرد وصوله إلى مدريد بعد أن انتهى من دراسته بكلية الحقوق. كان القائم بالتدريس فى الدراسات الملكية بمدينة سان إيسيدرو هو الراهب اليسوعى خوان ارتيغاس إى فيراغوت، وهو من جزيرة مايوركا، وقد شغل كرسى الأستاذية بين أعوام ٢٤- ١٨٣٤ حتى قُتل فى مذبحة الرهبان التى حدثت فى ١٧ يوليه. يقول منينديث بلايو عن الراهب اليسوعى إنه " أفضل مستعرب، بل المستعرب الوحيد الذى كان موجوداً فى إسبانيا" (٤)

يقول عنه بوفير Bover إنه كان مستعربًا بارزًا وإن موته " حرمنا من قراءة كتاب " ملاحظات حول بعض الآثار العربية فى إسبانيا" والذى كان جاهزًا للطباعة" (٥)

كان أحد رفاق سيرافين فى دروس اللغة العربية عند الراهب اورتيغا هو باسكوال دى غايانغوس، ومن هنا جاءت صداقتهما، لكنهما - رغم ذلك - كانا مختلفين تماماً . كان سيرافين متفتحًا ، إسبانيًا أصيلاً ومندفعًا أحيانًا ، أما غايانغوس فكان بارداً متحفظًا ، نمطيًا ، إنجليزيًا إلى حد ما. ابتعد غايانغوس عن المجال الأدبى فى الاستعراب الرومانسى مبكراً، وكرس جهوده للبحث العلمى والعناية بالتدقيق تاركًا صديقه سيرافين خلفه. إن الذين ساروا على نهج غايانغوس قد كتبوا دراسات جادة وهم الذين وضعوا أسس الاستعراب العلمى الحديث. يقول غارثيا غوميث إن " غايانغوس كان الأرض الخصبة، وكوديرا الجذر الذى يمتص، وريبيرا هو الجذع القوى ، أما أسين فكان الزهر والثمر" (٦)

أما سيرافين فكان أديبًا ينقصه الصبر اللازم للباحث. كان يستخدم خياله أكثر مما يستخدم الدراسة ، ولم يكن باستطاعته مواصلة الحماس لأى مشروع يتطلب وقتًا يزيد عن الوقت الذى يتحمله هو. لهذا ففى مجال الاستعراب - الذى كان بكراً تماماً - لم يُنتج سيرافين شيئًا ذا صفة علمية. تعلّم اللغة العربية وظل يستمتع بسهولة الأدب الألخميادو، لكنه كان يفخر بأنه يستخدم أصولاً عربية أو موريسكية لكتاباته الأدبية المتعلقة بالتاريخ. ملأ تلاميذه فترة فى الأدب الإسبانى استمرت حتى

فرانثيسكو بياسبيسا صاحب كتاب شرقيات Orientales الذى يتضمن قصوراً تسكنها نساء مسلمات جميلات وفرسانا عربا يكافحون ويعانون بسبب حب تلك النسوة وهم ينافسون الإسبان فى الفروسية واللياقة.

وفى نفس الوقت الذى كان سيرافين يكرس جهوده لدراسة اللغة العربية، فى أولى سنوات إقامته بمدريد، بدأ الناس يعرفونه كأديب. نشر سيرافين فى مجلة رسائل إسبانية Cartas´:espa nolas سلسلة مقالات وقصة قصيرة حول موضوعات شرقية. فى هذه المقالات كان يمزج بين انطباعاته التى خلفتها فيه فترة إقامته فى غرناطة وبين الأفكار التى تولدت كنتيجة لدراسة العربية.

وأدت وفاة فيرناندو السابع عام ١٨٣٣ إلى أن تكون لسيرافين مشاركة إيجابية فى الحرب الكارليه ، إذ كان مراجعًا لحسابات القوات الشمالية ، وكان سيرافين يعكف على نسخ وترجمة المخطوطات العربية فى أوقات فراغه، وكان يحمل هذه المخطوطات دائمًا فى حقيبته. كان سيرافين فى خطاباته إلى غايانغوس يطلب منه باستمرار أن يساعده، وكان يشكو من بطء تقدمه فى علوم لغة هى " كالباب الذى لا يوصد ولا يفتح" (٧) كانت كل آمال الصديقين تتلخص فى أن تنتهى الحرب حتى يمكنهما تكريس جهدهما للاطلاع على مخطوطات الاسكوريال.

عاد سيرافين إلى العاصمة بعد واقعة التمرد فى لا غرانخا وأحداث عام ١٨٣٦ واستأنف نشاطه الأدبى. ظلت دراسة اللغة العربية وآدابها واحدة من اهتماماته الرئيسية رغم أن سفر غايانغوس إلى إنجلترا حرمه من الحافز والقدوة كما حرمه من نصائح غايانغوس ومساعدته.

فى ذلك الوقت أيضًا تبلورت لدى سيرافين فكرة نشر مجموعة قصائد شعبية قديمة، وهى فكرة سيطرت على نفسه معظم سنوات حياته كما يقول كانوباس، لكن هذا المشروع لم ير النور قط (٨). كان سيرافين يفخر بأنه يعرف ألحان القصائد الشعبية كما كان يغنيها مسلمو روندا ، بل كان يغنى هذه القصائد فى خلوته، وكان يؤكد أيضًا أنه يعرف نغمات وألحان الأغنيات الموريسكية تمامًا كما كان يغنيها مسلمو البشرات خلال السنوات التى سبقت طردهم منها.

فى عام ١٨٣٧ بدأ سيرافين نشاطه كأستاذ للغة العربية . كان نادى مدريد الثقافى قد أخذ على عاتقه مبادرة تعليم بعض المواد التى لم تكن تدرس فى مراحل التعليم الرسمية. وكانت اللغة العربية من بين تلك المواد ، وكان يقوم بتدريس اللغة العربية – حبًا وتطوعًا – غايانغوس أولاً ثم سيرافين بعد ذلك اعتباراً من عام ١٨٣٧ . وعندما عُين سيرافين قائداً سياسيًا فى أشبيلية حل محله فى تعليم العربية رافائيل تونديدور دى فلوريس الذى كان غايانغوس يقول عنه إنه كان لا يستطيع مجرد القراءة. استمر تونديدور وقتًا قصيراً وخلفه فرنثيسكو برموديث سوتومايور ومكث حتى عام ١٨٤٠ . وخلال العام ٤١– ١٨٤٢ قام بالتدريس كارلوس كريوس الذى تعلم العربية فى الشرق (*) وكان يجيد اللغة العربية الفصحى والعامية (٩).

وفى عام ١٨٤٢ عاد سيرافين إلى مدريد وتولى مهمة التدريس. كان يدرس ساعتين أسبوعيا واستمر فى عمله حتى عام ١٨٤٨ .

السنوات التالية فى حياة سيرافين لاتهم كثيراً بالنسبة للمجال الذى نتحدث عنه. لم يترك دراسة العربية، لكنه اقتصر على تدريس اللغة للأفراد. فى عام ١٨٤٣ استطاع أن يعيد كرسى اللغة العربية بجامعة مدريد إلى العمل واستطاع أن يقنع غايانغوس بالعودة من إنجلترا لكى يتولى مهمة التدريس، هذا الأمر شجعه إلى حد ما لكن ليس إلى الحد الذى كان يأمله لأن الصديقين كانا قد افترقا فى هذا المجال بشكل ملحوظ.

كان حول سيرافين مجموعة من الشباب يعلمهم العربية مجانًا. من بين هؤلاء الشباب إدواردو سابيدرا وفرانثيسكو خابيير سيمونيت. كان هذا الأخير واحداً من أهم المستعربين فى القرن التاسع عشر.

وبالإضافة إلى كونه شاعراً وروائيًا وكاتب عادات ومستعربًا، كان سيرافين كذلك محبًا لجمع الكتب. لم يكن يتوانى عن التضحية بأى شىء لكى يحصل على كتاب نادر

(*) يبدو أنه درس بالأزهر (جاء ذلك فى خطاب سيرافين فى الأكاديمية) (المترجم) .

أو مخطوطة غريبة ، ويتضح ذلك من خلال مراسلاته مع غايانغوس(١٠). كانت مكتبته الضخمة والهامة تحتوى على كثير من الكتب القديمة والمخطوطات العربية وقد اشترتها الدولة من ورثته بعد وفاته عام ١٨٦٧ .

من المعلوم أن سيرافين بدأ حياته الأدبية بكتابة الشعر على طريقة مليندديث بالديس التقليدية. كانت قصائده الرعوية غير أصيلة من حيث الشكل والموضوع وبلا قيمة ، فلم يحفل بها أحد كثيراً، لكن أشعاره الموريسكية أثارت اهتمامًا كبيراً وهى تهمنا فى هذه الدراسة. كان سيرافين يسعى إلى الابتعاد عن المحاكاة ، لكنه لم يكن يجرؤ على مخالفة قوالب أساتذته؛ لهذا لجأ إلى التراث الموريسكى فأضفى على شعره ثروة فى الألوان وكثيراً من الدفء .

نشر سيرافين ديوانًا شعريًا عام ١٨٣١ بعنوان " أشعار الوحيد"(*) . يتضمن هذا الديوان قصائد رعوية وموريسكية وبحرية وعاطفية وقصائد شعبية قديمة . عند ظهور الكتاب اتهمه واحد يُدعى " الأستاذ بجامعة سلمنكا" بأنه ينتحل أشعار مليندديث بالديس وإيغليسياس. ظهر المقال فى صحيفة كوريو (٦يوليه ١٨٣١) (١١) ورد عليه سيرافين قائلاً إن كاتب المقال ربما أراد أن يذمه لكنه مدحه ، فإذا كانت أشعاره تشبه أشعار بالديس إلى هذا الحد فهى أشعار ذات قيمة.

كانت القصائد الموريسكية تدخل فى تيار الرومانسية ليس فقط من حيث الموضوع وإنما من حيث الألفاظ أيضًا. استعمل سيرافين شيئًا آخر بالإضافة إلى الزينة الشرقية كعنصر شعرى ، وظهرت فى قصائده الحوريات والصحراء والواحات والخيام. بعض عناوين قصائده موحية مثل " الصحراء" ، و " الغزالة" و "البربرى" ، ومعظم القصائد لا يربطها بالمشرق إلا كونها تندرج تحت عنوان قصائد موريسكية . وكمثل على ذلك نسوق القصيدة رقم ١٢ بعنوان " الراعى" .

(*) " الوحيد " هو الاسم المستعار الذى اختاره سيرافين للتوقيع على مقالاته وأشعاره . (المترجم)

في المساء

عندما أبحث عنك وأنا قلق

تحت أشجار الرمان

القريبة من نبات الأسل

وأجدك تحرسين أغنامك

وأسمع من بعيد

صيحات النمر

آه يازهرة الصحراء

هل تريدين أن يكون صدرى وذراعى

درعًا لكِ ؟

هذه القصيدة – باستثناء عبارة " يازهرة الصحراء" والنمر الذى يصرخ من بعيد – لا يمكن أن تختلف عن القصائد الرعوية العادية التى كتبت قديماً . والقصيدة رقم ١٤ بعنوان " الحزن " يربطها بالموضوع الموريسكى كونها موجهة إلى زايدة :

إذا صادفتنى

– أيتها القاسية زايدة –

أبكى فى الوادى احتقاركِ لى

وإذا سمعت شفتىّ

تتنهدان أو تصمتان فى مرارة

....

ابتعد سيرافين بمحض اختياره عن الشعر وبدأ يجرب حظه فى النثر، وقد أقنعه ترحيب القراء بكتاباته النثرية ، أقنعه بأنه يسير فى الطريق الصحيح. كانت كتاباته النثرية الأولى المنشورة فى مجلة " رسائل إسبانية " عبارة عن قصص قصيرة وحكايات ذات موضوعات شرقية. القصة الأولى طبقًا لما يرويه كانوباس كانت بعنوان " حياله ونادر وبارتولو". نشرت القصة دون توقيع وهى تعالج قصة حلم رآه المؤلف يتعلق بحياله ونادر ، محظية السلطان ، وأحد الأسرى. والحلم يتوقف عندما يوقظ بارتولو المؤلف . بارتولو يحدث المؤلف عن الأشياء العادية والتافهة التى تحدث كل يوم. الأمر الهام الذى نجده فى الحكاية هو التعارض بين الرومانسية الشرقية (الحلم) ووصف العادات .

بعد ذلك نجد حكاية أخرى ضئيلة الأهمية بعنوان " كاتور واليكاك أو وزيران مثل كثيرين" ، وهى ذات موضوع عربى ، وتفيد أنه من الصعب إبعاد الشرير عن طريق الشر.

الحكاية الأفضل هى التى بعنوان " كنوز قصر الحمراء" وهى أطول من سابقتها، تكاد تكون قصة قصيرة ، وهى رواية خيالية عن الكنوز التى يظن العامة وجودها فى جبل قصر الحمراء والتى يحرسها جندى عربى يظهر فى الليل كل ثلاث سنوات. القصة كلها تنتهى فجأة ولا تصل إلى الحد الذى أعلن عنه فى البداية.

هناك رواية أخرى مثيرة ومسلية بعنوان " قصة عربية " وقد نشرت على شكل فصول، الرواية مكتوبة على هيئة رسائل - مثل رسائل كادالسو - بين ابن زيد وصديقه وليد نزار. هذه الرواية رومانسية من حيث الألفاظ والحبكة والجو العام . ونلاحظ هنا أن سيرافين قد نضج من حيث فن الرواية. هناك ملحوظة فى الصفحة الأولى من الرواية يقول فيها المؤلف إن الرواية مأخوذة عن مخطوطات قديمة تتضمن مقطوعات شعرية وحكما عربية، أما الجزء الباقى فهو من بنات أفكار المؤلف، ويضيف سيرافين : "الشىء الوحيد الذى أؤكده هو أن الرواية ليست مترجمة عن أية لغة شائعة". كما نشر سيرافين فى تلك السنوات وفى نفس المجلة فصلاً صغيراً عن ثورة الموريسكيين بعنوان "المفاجأة". هذه الرواية عبارة عن عرض لدراسات أخرى ينوى

القيام بـــها مستقبلاً حول تلك الفـــترة الموريســكية التى كـــانـــت تجذب اهتمامه بشكل خاص .

بعد ذلك بدأ سيرافين في نشر رواية أخرى تحت عنوان " حكايات جنة العريف ". ظهرت الرواية فى "مجلة المسارح" وهى - كما يقول المؤلف - تقتفى أثر حكايات قصر الحمراء لواشنطن ايرفنغ ، ففى رسالة بعثها ســـيرافـــين إلى غايـانــغوس بتاريخ ١٦ يونيه ١٨٤١ كتب يقول :

إن ما أكتبه الآن وسيحوز إعجابك هو " حكايات جنة العريف أو عقد اللؤلؤ" والذى يُنشر فى مجلة المسارح. الحكايات التى نشرت حتى الآن خمسة. فى هذه الحكايات أريد أن أضمّن كل ما عثرت عليه من المخطوطات الألخميادية الموجودة لدىّ والتى يمكن أن تمدنى بها ... ؛ بحيث تتكون مجموعة حكايات جديدة ومسلية، ولهذا أريد أن ترسل لى الجزء الأخير من "حكاية مدينة الأتون أو الغفار" والتى حصلت عليها، مع مراعاة أن بحوزتى، فى المخطوطة التى أعطيتنى إياها، إلى النقطة التى وصل فيها موسى بن نصير ومن معه إلى أسوار المدينة ... ، وبما أننى أريد أن أكون جديداً وأصيلاً فى حكاياتى فإننى لا أحتاج إلا إلى أن تمدنى بأفكار عن بعض الحكايات بحيث أطورها أنا وأصيغها بطريقتى. إذا كانت لديك أخبار عن وجود مجموعة أخرى فأرجو إفادتى وإذا كانت لديك مخطوطات عربية فأرسلها الىّ أو ترجم لى شيئًا منها.(الجزء الثانى من كتاب كانوباس ص ٣٧٢)

هناك رواية لسيرافين أكثر أهمية وهى بعنوان "مسيحيون وموريسكيون" ، نشرت الرواية عام ١٨٣٨ وكانت تمثل العدد الأول والأخير من " مجموعة الروايات الإسبانية الأصيلة" وقت أن كان تقليد والتر اسكوت على أشده فى إســبـانــيا، ورغم أن روايــة " مسيحيون وموريسكيون" وصفها المؤلف بأنها رواية حزينة إلا أنها عبارة عن بناء رومانسى أكثر منها بكائية. يبدو أن الرواية لم تنل حظًا من النجاح بالنظر إلى عدم وجود حديث كثير عنها فى مجلات ذلك الزمن. يطلب سيرافين مرات عديدة من غايانغوس أن يكتب شيئًا عن الرواية: "لا أحتاج أن أطلب منك ذلك لكى تكتب ، وإذا كتبت مقالاً عن " مسيحيون وموريسكيون" ، وهو الشىء الذى سأشكره لك ، أرجو أن

ترسل إليّ نسخة من الصحيفة التى تنشره فيها". ويبدو أن غايانغوس لم يكتب شيئًا ، فبعد هذه الرسالة يقول له سيرافين : " لم تقل لى شيئا عن روايتى، عندما نشرت مقالاً عن الموريسكيين كان يجب أن تذكر الرواية، عمومًا لا أريد أن أعنفك بل يجب أن أدلك لكى ترسل لى مقالاتك" (١٢).

وفى العدد ٢١٦ لعام ١٨٣٩ – مجلة نوسوتروس – نُشر مقال صغير دون توقيع يوصى فيه كاتبه بقراءة رواية " مسيحيون وموريسكيون" "لنقاء لغتها ولأصالة وجمال تعبيراتها ولأنها جذابة" ، وفى مجلة كوريو ناثيونال (العدد ٥٠١ عام ١٨٣٩) نُشر مقال آخر أطول قليلاً من سابقه كتبه غارثيا دى تاسارا تحدث فيه عن حداثة الموضوع الذى هجره الكتّاب فى إسبانيا ، وقال فيه إن الفترة الموريسكية جديرة بأن يتناولها والتر اسكوت. ذكر الكاتب بعضًا من عيوب الرواية مثل عدم إتقان الحبكة ، وسطحية الشخصيات ، لكنه امتدح فيها وصف العادات المحلية والوصف بشكل عام.

يقارن كانوباس ديل كاستيو – قريب سيرافين وكاتب سيرته الذاتية – " مسيحيون وموريسكيون" بكبريات قصص الصعاليك فى إسبانيا مثل : " البخيل الأكبر" ، و " الشيطان الأعرج " ، و " القصص المثالية " ، ويقول كانوباس إن رواية سيرافين ليست أقل شأنًا من تلك الروايات من حيث " دقة الوصف وروعة الحوار ونقاء اللغة وطرافة الأسلوب" . يمتدح فيها صفتها التاريخية حيث أنها تسير على نهج والتراسكوت ، ويرى أن رواية سيرافين يمكن أن تساوى – أو تفوق – رواية ايفانهو لو أنها أكبر قليلاً. يرى كانوباس أنه يمكن أن يقال عن رواية سيرافين ما قاله أ. ثيرى عن ايفانهو من أن التاريخ المروى فيها يفوق المروى فى كتب التاريخ" (١٣). إن إعجاب كانوباس بعمه وحبه الشديد له يفسران لنا هذه المبالغة.

رواية "مسيحيون وموريسكيون" لا تصل إلى حد اعتبارها رواية عظيمة أو حتى مجرد رواية(*). ربما كان ينقص سيرافين الحافز والصبر لكى يكملها بالشكل الذى خطط له من البداية كما يتضح من الفصول الأولى. موضوع الرواية هو الاختلاف

(*) هذا ما يراه أيضًا خوان أغناسيو فيراس فى دراساته عن الرواية التاريخية الإسبانية (المترجم) .

بين المسيحيين والموريسكيين خلال السنوات التى أعقبت هزيمة الموريسكيين إبان حكم كارلوس الخامس. الرواية مهداة إلى لويس أوسوت أى ريو رفيقه فى مشروع نشر "مجموعة الروايات الإسبانية الأصلية" وفى الإهداء يقول له: "أنت عندما تقرأ هذه الذكريات والخيالات الكثيرة التى ترسم تعاسة أمة منكوبة والمصائب التى حلت بشخصيات عزيزة ذلت وحلت بها قسوة الحظ السيئ ، ستدرك الفرق بين الواقع والخيال، بين الذكريات البعيدة وبين المشاعر التى أعقبت الهزيمة، وهى مشاعر ربما تكون موجودة حتى الآن".

تدور الأحداث فى قرية صغيرة بإقليم روندا ، التقت فيها فتاة موريسكية يرجع أصلها إلى ملوك غرناطة – ولهذا عليها أن تتزوج من فيرناندو مولاى – والسيد لوبى دى ثونيغا ، حبيب الموريسكية . تتشابك الأحداث وتتعقد: وجود هذا المثلث العاطفى ، وأمل أمة بأكملها فى ارتباط آخر شخصين فيها ، وجو التوتر السياسى المفعم بالتجسس وعدم الثقة. بعد ذلك نجد تبسيطاً مفاجئاً لكل ذلك ويأتى حل العقدة دون أن يكون القارئ مستعداً له.

كانت فكرة سيرافين هى كتابة رواية تاريخية ذات موضوع عربى. لم يستخدم سيرافين الكم الهائل من المعلومات الذى جمعه حول الموريسكيين وطردهم ، ولم يعتمد إلا على رواية "حروب أهلية فى غرناطة" لبيريث دى إيتا وعلى مخطوطة يدور موضوعها حول تاريخ روندا. وكان سيرافين قد حصل على المخطوطة فى عام ١٨٢٧ أو ١٨٢٨ . تتضمن المخطوطة عدة حكايات عن ثورة الموريسكيين فى تلك المناطق " بعضها يحكى عن صفات البطولة فى هذا الطرف أو ذاك ، وهى بطولات تثير الحماس" (١٤)

الفصول الأولى كانت تنبئ بأن الرواية ستكون أكثر طولاً ، فالفصول الثلاثة الأولى طويلة ومثيرة وتجدر برواية طويلة مترابطة مليئة بالأحداث الهامة والمغامرات، لكن المؤلف بعد ذلك – كما لو كان قد تعب فجأة وفقد الاهتمام بالموضوع – يدرج كل ما تبقى من الرواية فى فصلين فقط، والنتيجة التى تترتب على هذا التصرف هى رواية

تقع بين وصف العـادات المحليـة وبين قـصص الصـعـاليك وبين الرواية التـاريخـيـة الرومانسية ، وهذا ما نبه إليه أليسون بيرس (١٥) .

يبرز فى الرواية وصف الموريسكيين وعاداتهم وأزيائهم وحفلاتهم فى لقطات حية وسريعة وجميلة ، وعلى النقيض من ذلك نجد أن الشخصيات باهتة والأحداث مباغتة ، تأتى دون أن يعرف القارئ لها سببًا. لا يوجـد فى الرواية تحـلـيل نفسـى ولا نجد كذلك عقدة للأحداث.

هـناك جـانب فى الأدب العـربى أثار اهتـمـام سـيـرافين دائمًـا وهو الأدب الألخـمـيادو (*) إن تحمس كاتبنا له بسبب موضوعاته ثم لسهولة قراءته قد أسهم فى أن يقصر سيرافين اهتمامه على ذلك الأدب. كان هـذا الموضوع هو شغله الشاغل فى كل رسائله إلى غايانغوس ، فكان يحدثه عن الترجمات التى يحتفظ بها والدراسات التى يقوم بهـا وجـهـوده من أجل الحـصـول على مـخطوطات جـديدة أو لنسخ بـعض المخطوطات المعروفة ، وفى ١٥ أغسطس ١٨٣٩ كتب يقول لغايانغوس :

إن النسخ الموريسكية (نسخك) معظمها موجود ... فى الصندوق الذى تركته فى مدريد مع مـخطوطاتى. لدىَّ الآن نُسـخى ... من كل هذه المادة أردت أن أنشـر دراسة فى أشبيلية تحت عنوان " من روائع الأدب الإسـبانى الألخـمـيـادو" وفى هذه الدراسة أشـيـر إليك والى دراسـاتك والى فـائدة تلك الدراسـات بالنسـبـة لأدبنا. عندى إذن "مـخطوطات يوسف" ، "مـدينة اليـاتون" ، "نبـوءة الأب العـرّاف" ، " حـديقـة شـريفـة" بالإضـافة إلى بعض الكتابات السحرية التى استخرجتها من أوراق لك والتى لابد أن تكون موجودة معك...أعتقد أننى نسخت مخطوطة " الأميرة أركايونا" حتى منتصفها فى الأيام الأخيرة. إذا قمت بزيارتك فأعتقد أننا فى خلال ثمانية أيام نستطيع إنهاء الكتاب لأننى أعتقد أنه فى هذا المكان لابد أن هناك – وتوجد بالفعل – مخطوطات من

(*) لانتـفق مع المؤلفة حين تصنف الأدب الألخـمـيـادو على أنه يندرج تحت الأدب العربى، فـهـو أدب إسـبانى إسـلامى : إسـبانى اللغة (وإن كـانت حـروف الكتـابة عربية) إسـلامى التـوجه إذ أن كل قـصصـه وأشعاره مستمدة من التراث الإسلامى وذات أهداف تربوية إسلامية . (المترجم)

تلك التى نبحث عنها ، وإذا مررتُ بمدريد فسأخرج كنوزك وستصحبنى" (كتاب كانوباس الجزء الثانى ، ص ٣٤٦)

مشروع الكتاب هذا لم يتحقق ، ففى أكتوبر ١٨٣٩ يقول سيرافين :

أقول لك أيضًا إننى ربما أحصل على مخطوطة أصلية عن طرد الموريسكيين من إحدى مدن أندلوثيا الكبيرة والقضية التى رُفعت ضد أحد القساوسة لأنه أخفى موريسكية جميلة. سأخبرك عندما يصل إلى يدى هذا الكنز" (كانوباس الجزء الثانى ص ٣٤٦)

بعد ذلك – وفى شهر يناير ١٨٤٠ – يعود سيرافين إلى الحديث عن موضوع الموريسكيين: " إلى الآن لم أتمكن من الحصول على مخطوطات الموريسكيين ! هذه المخطوطات ستكون بمثابة كنز ... إذا أردت أن تضمنى إلى كتابيك " تاريخ الموريسكيين" (لا نعرف ما إذا كان غايانغوس لم يتم الكتاب أو أن الكتاب قد فُقد) فإننى أشكر لك ذلك..." (كانوباس الجزء الأول ، ص ٦٩ ، ٣٧٠)

هذا هو إسهام سيرافين فى مجال الأدب الألخميادو. إذا كان إسهامه لا يتعدى كونه مجرد مشروعات فعلى الأقل أسهمت هذه المشروعات فى المحافظة على الاهتمام بالموضوع.

وقد عرض سيرافين أفكاره عن أهمية الدراسات العربية فى الخطاب الذى ألقاه فى افتتاح الموسم الثقافى فى نادى مدريد عام ١٨٤٨ . وقد نُشر الخطاب فى مجلة Seminario pintoresco español . يشير سيرافين فى الخطاب إلى ضرورة معرفة اللغة العربية ليس فقط لدراسة الآثار الكثيرة التى خلفتها هذه اللغة فى لغة وعادات وأذواق وهوايات الإسبان ، بل لأن دراسة العربية تمكننا من إلقاء الضوء على المخطوطات التى لا حصر لها والمختبئة فى المكتبات وكتابة تاريخ إسبانيا من جديد. يضيف سيرافين : " إن من يشعر بالاشمئزاز إزاء أدب هذه الأيام ليس عليه إلا أن يفتح – عبر اللغة العربية – أبواب الألخميادو ، وهو مجال جديد ينبغى اكتشافه" (١٦)

يعدد سيرافين عناوين المخطوطات المعروفة حتى ذلك الحين ويضيف: " إن دراسة هذه المخطوطات ستقدم مـادة ثرية لمن يريد وصف العادات المحلية ولكاتب الرواية. إنهما سيحصلان على مادة جديدة تماماً وسيستطيعان الابتعاد عن طريق تقليد الأدب الفرنسي" (١٧)

وأخيراً يقدم سيرافين قائمة بالدراسات التى يعدها هو أو يعدها مستعربون معاصرون له:

" تزمع أكاديمية التاريخ نشر كتاب عن " إسبانيا العربية" وبمجرد أن تقدم الحكومة بعض المساعدة سيبدأ المشروع ، ولهذا الغرض أعد باسكوال دى غايانغوس ترجمة للنويرى وقمت أنا بترجمة ابن القوطية وهو مؤرخ عربى حفيد لويتيثا. وقد وصلت إلى يدى بعض الأحاديث أو الكتابات التاريخية وُجدت فى مخطوطة عربية. تدور هذه الروايات حول السنوات الأولى للفتح. لدى أنا وغايانغوس مشروع لكتاب " روائع الأدب الألخـميادو" ، وهو عبارة عن مجموعة من الروايات والأحاديث والأشعار من هذا الأدب .

كما أن السيد ليون كاربونيرو سول أستاذ اللغة العربية بجامعة أشبيلية يُعد دراسة عن قواعد اللغة العربية. وقد أنهى السيد أدواردو سابيدرا نسخ عدة مخطوطات عربية بدرجة كبيرة من الجودة، وقام السيد أنريكى اليكس بترجمة أنطار وهى رواية فرسان عربية. كل هذه الدراسات تقدم غذاءً ثريًا للنبات الذى كان جافًا وضائعًا (١٨)

نشر سيرافين دراسة أخرى متعلقة بهذا المجال عام ١٨٤٤ ، وهى عبارة عن كتاب صغير بعنوان "كتاب مفيد للضابط فى المغرب" (١٩) ألف سيرافين الكتاب فى أعقاب التوتر بين إسبانيا والإمبراطورية المغربية فى ذلك الوقت. كان الهدف من الكتاب هو أن يتعود الجمهور الإسبانى عامة على بعض أخبار المغرب وهى معلومات كانت مجهولة رغم قصر المسافة بين البلدين. الكتاب عبارة عن وصف جغرافى وسياسى مستخرج من مصادر قديمة وحديثة يشير إليها سيرافين. هذه المصادر هى الكتاب المنسوب إلى ابن محمد الصالح الغرناطى وعنوانه "الكتاب اللطيف والمثير عن ملوك

المغرب وتأسيس فاس" ، و "وصف أفريقيا" للويس دى مارمول ، و " رسالة روائية" للراهب خوان ديل بويرتو.

بالنسبة للجزء المتعلق بتاريخ المغرب الحديث اعتمد سيرافين – بشكل أساسي – على روايات دومينغو باديا لبليش الشهير بين العرب بعلي بيه العباسي والذى عاش عدة سنوات مع العرب، كما اعتمد على معلومات من الكونت خاكوبو غرابيرغ دى هيمبسو الذى كان قنصلاً لسردينيا فى طنجة، ووضع كتاباً عن المغرب بعنوان وصف جغرافى لملكة المغرب (فرنسا ١٨٣٣) Specchio S. e estadistico

وقد أدى نشر "كتاب الضابط فى المغرب" إلى اختيار سيرافين – فى مايو من نفس العام – عضواً بأكاديمية التاريخ. بعد ذلك – فى عام ١٨٤٧ – قرأ خطاباً بعنوان " المغامرون الإسبان – والقشتاليون خاصة – الذين عملوا كمرتزقة لأسباب مختلفة وتعاونوا مع ملوك فاس والمغرب". هذه الدراسة لم تطبع ولا يعرف أحد مصيرها (٢٠)

بعد ذلك كتب سيرافين "تاريخ سلاح الفرسان الإسبانى" ، ولكى يقوم بهذه المهمة حصل على كل التسهيلات اللازمة للاطلاع على محتويات المكتبات والأرشيفات الإسبانية حسب القرار الصادر فى ٢٦ أكتوبر ١٨٤٧ . وقد جمع سيرافين كمًا هائلاً من المعلومات ، ورغم ذلك لم يُنشر العمل كاملاً، بعد ذلك بعامين نشر مقالين فى مجلة Revista Militar تحت عنوان "المغاوير"(*) " ظهور المغاوير فى الشرق " ، والمقالان يتحدثان عن أصل أولئك المحاربين وسلاحهم وطريقتهم فى الحرب وتنظيمهم (٢١).

كان هذا هو آخر ما نشره سيرافين فيما يتعلق بالدراسات العربية، ونرى هنا أثر حركة الرومانسية فى الدراسات العربية. اتبع سيرافين الظاهرة التى كانت سائدة فى عصره ، فبحث فى العالم الشرقى عن مصدر للإلهام ، لكن فضوله دفعه إلى الاهتمام باللغة العربية والتاريخ وإلى قراءة مخطوطات كانت مجهولة حينذاك ، وجمع معلومات تمكنه من أن يكون دقيقًا فى الوصف ، ونجد فى سيرافين مزجًا بين الثقافة والأدب ، وهى خاصية تمتاز بها المرحلة الأولى للدراسات العربية فى إسبانيا .

(*) طائفة من الجيوش القطلانية والأراغونية اشتهرت بشجاعة جنودها . (المترجم)

الهوامش

(1) ANTONIO CÁNOVAS DEL CASTILLO, El Solitario y su tiempo, Madrid, 1883 .

(2) EMILIO GARCíA GoMEZ, Silla del moro y nuevas escenas andaluzas, Madrid, 1948

(3)Vida y obras de don Serafín Estébanez Calderón, El Solitario. Biblioteca de Autores Españoles, edición, prólogo y notas de José Campos, Madrid, 1955 , LXXVIII, p. 50 - 51

(4) MARCELINO MENENDEZ Y PELAYO: Historia de los heterodoxos españoles, Madrid, 1881 ,III, p. 591

(5) JOAQUíN MARíA BOVER DE ROSSELLÓ: Biblioteca de escritores baleares, Palma,1868 , I, p. 48 .

(6) EMILIO GARCíA GÓMEZ: D. Miguel Asín (1871 - 1944) Esquema de una biografía en "Al-Andalus", 1944 , IX, fasc.2, p.290.

(7) ANTONIO CÁNOVAS DEL CASTILLO: El Solitario y su tiempo, 1 , p. 252

(٨) هذه الفكرة نفذها بالفعل أغستين دوران، صديق استيبانيث ، الذى نشر كتاباً طُبع فى مدريد عام ٧٧ - ١٨٨٢

(9) PEDRO ROCA :Noticia de la vida y obras de D. Pascual de Gayangos, en "Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos", 3.° serie, 1898 , II,p.14

(10) Véase CÁNOVAS, El Solitario y su tiempo, II, Apéndices y PEDRO ROCA, Noticia de la vida y obras de don Pascual de Gayangos, en "Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos", 3°. serie, 1897 , 98 , 99 , I,II,III.

(11) Vida y Obras de D. Serafín Estébanez Calderón. El Solitario, Biblioteca de Autores Españoles, vol. LXXVIII, p. XVI.

(12) PEDRO ROCA .Noticia de la vida..., en ·Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos", 3.º serie. 1898 , II, p. 76 - 77

(13) CÁNOVAS, El Solitario...,I, pp. 324 - 32

(14) E. ALLISON PEERS: A history of the romantic movement in Spain Cambridge,II, 1940, pp. 192 - 93

(15)E. ALLISON PEERS, A history of the romantic..., II, p. 88

(16) Serafín Estébanez Calderón, Discurso pronunciado en la apertura de la cátedra de árabe del Ateneo, en ·Semanario pintoresco españo", n.º 46 , 12 nov. 1848 , pp. 365 - 68 , 19 nov. 1848 , pp. 373 - 75

(17)ESTÉBANEZ, Discurso..., 12 nov. 1848 , p. 367 .

(18)ESTÉBANEZ, Discurso..., 19 nov. 1848 , p.375

(19) ESTÉBANEZ CALDERÓN, Manual del oficial de Marruecos, Madrid, 1944, El ejemplo de la Biblioteca Nacional de Madrid había pertenecido a GAYANGOS y tiene numerosas notas marginales lexicográficas.

(20) CÁNOVAS, El Solitario...,II, p. 148 .

(21) " Revista Militar",IV, enero, 1849 , 4 - 18 : octubre, 1852, 398 - 405 ; octubre , 1852 ,482 - 492 ; VIII , enero , 1851 , 20 - 32 , 71 - 83 , 163 . 177 .

فرانثيسكو فيرنانديث غونثاليث

دخل فيرنانديث غونثاليث ميدان الدراسات العربية بعد أن أعجبته غرابة الموضوع وهالة الأساطير التى تغلف تاريخ إسبانيا العربية.

ولد فيرنانديث غونثاليث فى الباثيتى فى ٢٣ سبتمبر ١٨٢٣(١) ، وبعد أن درس الآداب والفلسفة والحقوق عُين أستاذًا للغة الإسبانية واللغة العربية فى جامعة غرناطة. فى ذلك الوقت قام بعدة دراسات كمستعرب فترجم نقوشًا عربية ونشر دراسات أقل أهمية .

كان فيرنانديث غونثاليث ذا فضول وحب للمعرفة دفعه إلى الاهتمام بشتى أنواع المشاكل التى لا يربط بينها شيء ؛ لهذا نجده قد اهتم بالقانون والمنطق والأخلاق وعلم الجمال الأدبى والتاريخ واللغات السامية وفقه اللغة المقارن ... إلخ. بهذا أتم الكم الكبير من المعارف المختلفة فيما بينها، ولا نستطيع أن نقول عنه كان متخصصاً فى مجال بعينه. ومع ذلك فقد نشر عدة دراسات هامة حول علم الجمال الأدبى ، فسار على نهج هيجل، وحول التاريخ والثقافة العربية وهو مجال وصل فيه إلى حد أن اعتُبر مرجعًا داخل إسبانيا وخارجها.

فى عام ١٨٤٦ عُين أستاذًا للنقد فى جامعة مدريد المركزية ثم أصبح عضواً بأكاديمية التاريخ عام ١٨٦٧ وعضواً بأكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية فى نفس العام ، ثم عضواً بأكاديمية سان فيرناندو عام ١٨٨١ ، ثم عضواً بأكاديمية اللغة عام ١٨٨٩ . كان باحثًا لا يكل، دائم البحث عن المعلومات رغم أنه لم يكن دائمًا يتمتع بالقدرة على تنظيم المعلومات التى يجمعها ليستخرج منها نتائج أو ليقدم رؤية شاملة.

كان الجانب الغريب هو الذى يهم فيرنانديث غونثاليث فى الثقافة العربية ، ثم تحول فيما بعد إلى مجال البحث الجاد، فبعد أن انتقل إلى مدريد كلفته أكاديمية التاريخ – التى كان عضواً بها – بتنقيح وتوسيع كتاب " مكتبة الاسكوريال العربية الإسبانية" لميخائيل الغزيرى ؛ وهى مهمة عكف على إنجازها بكل طاقاته لعدة سنوات؛ لكن شاء سوء الحظ – الذى عادة ما صاحب الدراسات العربية فى إسبانيا – أن تتأخر الحكومة فى تقديم المساعدة اللازمة لنشر الكتاب، بينما نشر هارتويج درمبرج – بمساعدة من الحكومة الفرنسية – الجزء الأول من دراسته عن مخطوطات الاسكوريال العربية (٢) ، فأدى ذلك إلى أن يفقد كتاب فيرنانديث غونثاليث أهميته رغم اختلافه عن كتاب درمبرج. لم يكتف فيرنانديث غونثاليث – كما اكتفى الغزيرى– بتقديم قائمة بالمخطوطات ؛ بل كان يدخل فقرات من تلك التى تتعلق بتاريخ أو أدب إسبانيا ويترجمها.

إذا كان فيرنانديث غونثاليث لم ينشر هذا العمل كاملاً فقد ساعده على الحصول على معلومات جديدة أدخلها فى كتبه. من بين هذه الكتب "مشروع مكتبة لمؤلفين إسبان عرب" أو " دراسات وثائقية للأدب العربى فى إسبانيا" . كما أدخل فيرنانديث غونثاليث تلك المعلومات فى بحث قرأه فى أكاديمية التاريخ عن آخر سنوات مملكة غرناطة، وقد نُشر جزء من هذا البحث فى كتاب " تنوير إسبانيا الأمريكية" (٣).

بينما كان فيرنانديث غونثاليث يقوم بهذه الأبحاث فى الاسكوريال وجد مخطوطة لم يشر إليها ميخائيل الغزيرى وعنوانها " كتاب الأحاديث أو تاريخ زياد بن عامر" (٤). المخطوطة عبارة عن قصة فروسية أصغر حجماً من تلك القصص المعهودة فى إسبانيا المسيحية لكنها تتفق تماماً مع القوالب المعمول بها فى تلك الروايات. نسخ فيرنانديث غونثاليث المخطوطة وترجمها ونشرها بهدف التعريف بهذا النوع من الأدب الذى لم يكن أحد يظن وجوده بين العرب إلا عن طريق " أنطار" (٥) ، وقال منينديث بلايو إن الأمر لم يتغير بنشر المخطوطة إذ نشرها غونثاليث فى المجلد العاشر من مجلة " متحف الآثار الإسبانية " التى لم يكن يقرؤها أحد على ما يبدو ؛ ولهذا فقد ظلت المعلومة مجهولة بالنسبة لعامة الجمهور(٦).

يظن فيرنانديث غونثاليث أن المخطوطة عبارة عن عمل من تأليف كاتب إسباني مجهول ربما ينتمي إلى الفترة اللاحقة على فترة المرابطين - نظراً لاستعمال اللثام، وهي عادة أدخلها المرابطون.- ويعتقد أن مكان تأليفها ربما كان إقليم أندلوثيا، وذلك استناداً إلى أسماء أبطال الرواية. البطل اسمه زياد القنيني وتزوج من ابنة طارق بن هلال واللقبان العائليان يعودان إلى أسر معروفة في غرناطة وجيان.

دخلت مبادئ الفروسية الخاصة بالعصور الوسطى إلى إسبانيا العربية ، ومن المعلوم أنه في زمن المنصور ومن خلفه كان هناك ميل للسير على منهج تلك المبادئ. كتبت دراسات من هذا النوع حينذاك دون شك ، رغم عدم معرفة ذلك إلا عن طريق الإشارة. وفي زمن المرابطين - وكانوا أكثر تعصباً وتشدداً فيما يختص بالعادات - منعت قراءة هذه الروايات ، بل ومن المعلوم أن كثيراً من تلك الكتب قد أحرقت. بعد ذلك ذاع صيت تلك الكتب في مملكة غرناطة ، وقد حمل المهاجرون الإسبان معهم هذه الروايات إلى شمال أفريقيا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر.

يقول فيرنانديث غونثاليث في مقدمة الكتاب إنه لا يعتقد أن هذه الرواية مقتبسة عن رواية أوروبية مشابهة ، وهو رأي يشاركه فيه منينديث بلايو. وعند مقارنة غونثاليث هذه الرواية بكتب الفروسية التي ألفها كتاب أوربيون يتضح أن الرواية ليست تقليداً مباشراً للروايات الأوربية. كانت الروايات الأوربية معروفة دون شك ، لكن التشابه يرجع إلى أساس مشترك ناتج عن تيارات عامة وأفكار شائعة خلال العصور الوسطى.

الرواية العربية يحكيها البطل وتقع الأحداث في قصر هارون الرشيد، ذلك الملك الأسطوري الذي وقع زياد في الأسر لديه. يأمر الملك بإحضاره إلى مجلسه ويسأله عن سبب الأسر. يجيب الأسير بأن السبب يرجع إلى مخالفته لأوامر الدين وزواجه بأكثر من أربع . حينئذ يطلب منه هارون الرشيد أن يحكي له قصة حياته.

في رواية البطولات هناك مزج بين الخيال الشرقي من النوع المألوف في كتاب "ألف ليلة وليلة" وبين الوصف الواقعي للقصور والأماكن والوقائع، و تختلط المعارك

بالمغامرات العاطفية. يتعين على البطل أن يحارب الجن والتنين ، وفي إطار واقعي عليه أن يفوز بحب أول امرأة يقابلها ويُغرم بها. يزور البطل بلاد السحرة أو الجن ويولد له طفل من إحدى نساء الجن ، ويواصل الطفل مسيرة أبيه فيكون فارسًا وينقذ أباه في إحدى المعارك.

الفرق بين هذه الرواية والروايات الأوربية يكمن في الجو الذي صيغت فيه كل منها أكثر مما يكمن في التركيب الداخلي للرواية أو سير الأحداث. فعلى سبيل المثال نلاحظ أن أحد الملامح الرئيسية لهذه الروايات هو الوفاء للمحبوبة ، وهذه خاصية أساسية لأي فارس. الفارس المسيحي لديه إخلاص محدد لامرأة محددة جعلها هو ملكة أفكاره ومرشدة حياته ، فلا تستطيع الأهوال أن تبعده عنها ، أما الفارس العربي فهو مخلص بشكل مثالي ، مخلص للمرأة بشكل عام.

يقول منينديث بلايو إن مجموع المغامرات التي تُروى " تُشكل بناءً خياليًا ومسليًا من بين مميزاته تواجده داخل منطقة معينة بدلاً من الأبعاد الشاسعة لروايات " أنطار" أو " أماديس" (٧).

لاشك أن أهم الكتب التي نشرها فيرنانديث غونثاليث حول موضوعات عربية هو كتاب " الحالة الاجتماعية والسياسية لمدجني قشتالة" ، وهو كتاب حصل على جائزة أكاديمية التاريخ ونُشر على نفقتها عام ١٨٦٠ (٨) . يقدم فيرنانديث غونثاليث في الكتاب أفكارًا هامة . إن كثيرًا من النظريات التي أرساها في الكتاب قد ثبتت صحتها حديثًا وقد طُورت فيما بعد.

تتضمن المقدمة كذلك أثرًا رومانسيًا عندما يشرح غونثاليث سبب اهتمامه بمغامرات وطنه. يقول إن الموريسكيين كانوا إسبان مثل أهل قشتالة أو أراغون الذين كانوا يتفاخرون بأنهم حافظوا على دمائهم القوطية نقية. كان الموريسكيون يعانون في صمت كارثة حرمانهم من متاعهم. كانوا مطاردين ومكروهين من قِبل أبناء وطنهم وكانوا محل ريبة من قبل الدولة لأنهم مسيحيون جدد ، ولم يكن أمامهم سوى البكاء على الماضي والشعور بالحسد تجاه المسلمين اللذين كانوا يقطنون بلاد النصارى في الماضي.

ومن بين الأمور التى أصاب فيها غونثاليث نذكر ما يلى :

يبدأ غونثاليث بشرح معنى كلمة " موديخار" فيقول : إن معناها " مدجّن" أى من "أهل الدّجن" ، أى هم العرب الذين ظلوا فى أرضهم بعد أن احتلها المسيحيون ، وذلك طبقًا لشهادة ابن خلدون والمقرى. ويقسم غونثاليث تاريخ المدجنين إلى مرحلتين: المرحلة الأولى وتبدأ مع بداية انهيار الإمبراطورية الإسلامية مع وفاة المنصور وتستمر حتى وفاة ألفونسو العاشر ، أما المرحلة الثانية فتبدأ مع نهاية المرحلة الأولى وتستمر حتى عام ١٥٠٢ عندما بدأ اضطهاد المسلمين.

فى المرحلة الأولى هناك روح تسامح ، وهو نوع من المعاملة بالمثل أرساه العرب بالنسبة للمسيحيين الذين ظلوا فى أرضهم بعد غزو المسلمين لها، هذه النظرية طورها فيما بعد أميرسكو كاسترو بتوسع فى كتابه " الواقع التاريخى لإسبانيا" (المكسيك ١٩٥٤)

تبدأ المرحلة الأولى باستيلاء ألفونسو السادس على طليطلة عام ١٠٨٥ بعد توقيع اتفاقية أمان للعرب الذين يريدون البقاء فيها ، وتكاد الاتفاقية أن تكون دعوة موجهة إلى كل المسلمين الذين يريدون العيش تحت حكم النصارى . يضاف إلى ذلك – وفق ما يرويه غونثاليث – المبالغ الطائلة التى كان يدفعها المسلمون للإنفاق على بلاط ملوك الطوائف بالإضافة إلى الجزية التى كانوا يدفعونها إلى ملوك النصارى. كان المسلمون إذا انتقلوا إلى ممالك النصارى يدفعون جزية واحدة وكانوا يحتفظون بدينهم وعاداتهم بحكم القانون.

تبدأ الفترة الثانية بنهاية الفترة الأولى عندما بدأ نقض العهود والمواثيق وعندما بدأت حملة دفع المسلمين إلى التنصر، خاصة بعد طرد المسلمين من مملكة غرناطة.

الجزء السادس من الكتاب له أهمية خاصة وفيه يتحدث غونثاليث عن عادات وفنون وأدب المدجنين فى الفترة الأخيرة من بقائهم فى إسبانيا وحقيقة الظروف التى كانوا يعيشون فيها مقارنة بما كان ينبغى أن يكونوا عليه بحكم القانون. يقول غونثاليث : إن علماء الدين والمشرعين وأصحاب الحرف الكسالى والأطباء كانوا هم

المحرضين على اتخاذ تدابير ترمي إلى اضطهاد المسلمين واحتقارهم اعتبارا من القرن الحادى عشر وحتى الخامس عشر. فى الوقت نفسه كان الشعراء المسيحيون يُعجبون بشمائل المسلمين من كرم وسمو وشجاعة، وقبل أن يحفل الأدب الإسبانى بالإشارة إلى غيرة المسلم ومغامراته العاطفية كان شعراء التروبادور القشتاليون يوجهون إلى المسلمات قصائد غزلية [٩].

عندما يتحدث غونثاليث عن التأثير العربى فى الأدب الإسبانى فإنه يتوقف طويلاً عند دراسة أسقف إيتا خوان رويث وكتابه. يؤكد غونثاليث أن أسقف أيتا لم يكن يعرف العربية فقط - كما نفهم من أغنياته التى يدخل فيها كلمات عربية وتظهر فيها فتيات مسلمات - بل إن كتابه " الحب الطيب" موضوع على شكل المقامات ، وهو تقليد للمقامات العربية واليهودية لأنه مروى على لسان البطل ويحكى مغامرات لا ترتبط ببعضها. يكفى أن نقرأ كتاب أميريكو كاسترو ودراسات ماريا روسا ليدا [١٠] لكى نقدّر الرؤية التى تمتّع بها فيرنانديث غونثاليث.

لم تكن تلك هى الإيجابيات الوحيدة للكتاب ونقاط الالتقاء الوحيدة بينه وبين الدراسات الحديثة حول الأثر العربى فى الأدب والتاريخ والحياة والعادات الإسبانية. يحاول الكتاب تأصيل فكرة أن إسبانيا أرادت تأكيد شخصيتها بالسلاح ضد حضارة أقوى ، وهو الأمر الذى أدى إلى صياغة الشخصية الإسبانية من ناحية ، ومن ناحية أخرى ترك للموريسكيين واليهود مجالات التجارة والزراعة والحرف.

يخلص فيرنانديث غونثاليث إلى القول - متفقًا أيضًا مع أحدث الدراسات التاريخية - بأن نهاية فترة المدجنين وطرد الموريسكيين كانت أمرًا حتميًا طبيعيًا تمليه الظروف الطبيعية لتطور الحياة الإسبانية. هناك منطق موجود فى جوهر كل شعب يعبر عن صفاته. والإسبان حينذاك كانوا يتطلّعون إلى إحياء مبادئ كانت محور تطلعات أجدادهم طوال سنوات الصراع بين المسيحيين والمسلمين ، فحاربوا من أجل تحقيق وحدة الأرض وإقامة حكومة مركزية تدير الأمور [١١].

وقد نشر فيرنانديث غونثاليث كذلك بعض الترجمات الهامة ؛ ففى غرناطة عام ١٨٦٠ نشر ترجمة لمخطوطة لابن عذارى المغربى عنوانها " تاريخ الأندلس" وهو النص الذى نشره دوزى (١٢) . ينقسم الكتاب إلى مجلدين يتضمنان وصفاً خيالياً لإسبانيا قبل وصول المسلمين إليها وحتى وفاة عبدالله عام ٩١٢ ، وكما يحدث فى كل مؤلفات فيرنانديث غونثاليث فإنه يستعرض ثقافته الواسعة ويوضح غموض النص بملاحظات لغوية ومعلومات تاريخية ويكمل ما نقص مستعينا بفقرات لمؤلفين آخرين. وأهم المؤلفين الذين يستعين بهم فيرنانديث غونثاليث هم رودريغو خيمنيث دى رادا والفونسو العالم (التاريخ العام) بالإضافة إلى كتاب " التاريخ الكبير" وكتاب " تاريخ راسيس المسلم". ويستعين فيرنانديث غونثاليث كذلك بكتاب " تاريخ السيطرة العربية" ويصحح ما ورد فيه مرتين أو ثلاث مرات لكن دون تعليق. يقول فقط : " إن الاختلافات بين هذه الترجمة لكوندى (فى كتاب "التاريخ" وترجمة هامير تعود إلى اختلاف النصوص المترجم عنها" (١٣) يحافظ فيرنانديث غونثاليث فى ترجمته - عموماً - على الأسلوب العربى وهو ما يجعل الترجمة صعبة القراءة.

من بين المقالات التى نشرها فى المجلات المختلفة أو الأبحاث التى قدمها لأكاديمية التاريخ نجد مقال "الموريسكيون الذين ظلوا فى إسبانيا بعد قرار الطرد الذى أصدره فيليبى الثالث" ، وقد ظهر فى مجلة ريبستا دى إسبانيا (العام الرابع ١٨٧١) (١٤) ورغم أن المقال يتناول الإنتاج الأدبى لذلك العصر إلا أنه يتحدث عن ثلاث نقاط أساسية :

١ - بقى موريسكيون كثيرون فى إسبانيا؛ إذ استطاعوا مخالفة القوانين إما بالاختفاء أو بادعاء أنهم أسرى لمسيحيين قدامى.

٢ - كان الموريسكيون يمثلون تهديداً للأمن الاجتماعى لأن الهاربين منهم من السلطات كانوا يحترفون السرقة وقطع الطريق.

٣ - إن الموريسكيين احتفظوا بدينهم الإسلامى وحاولوا نشره.

من بين الإنتاج الأدبى للموريسكيين يدرس غونثاليث بعض المخطوطات الألخميادية المحفوظة فى مكتبة مدريد الوطنية ، ومن أهم المخطوطات التى يدرسها مجموعة مؤلفات تتضمن قصة عذراء كاركايونا وبعض الصلوات وخصائصها وقصة الذين ادعوا النبوة وهى منسوبة إلى خوان ألونسو؛ وهو أراغونى رحل إلى تطوان عام ١٦٢٣ . هناك عمل آخر يبدو أنه كُتب فى أفريقيا وعنوانه " وحدانية الله ضد ما يقوله المسيحيون" تأليف محمد الوزير ومخطوطة أخرى تصف زيارة مولاى إسماعيل سفير ملك المغرب إلى إسبانيا للقاء كارلوس الثانى عام ١٦٩٠ . كان هدف الزيارة هو استرداد كتب مولاى زيدان (التى احتُجزت أيام فيليبى الثالث ولم يستجب كارلوس الثانى إلى طلب الملك المغربى) والشكوى ضد المعاملة السيئة التى يلقاها الأسرى المسلمون (ويبدو أن هذا الأمر الأخير قد استجيب له). تجول السفير المغربى فى إسبانيا بحثًا عن آثار عربية وأصدر تعليقات هامة جداً.

ونشر غونثاليث فى مجلة ريبستا دى إسبانيا دراسة بعنوان " النحت والرسم عند الشعوب السامية" (١٥) يتناول فيها هذه الفنون من وجهة النظر التاريخية والجمالية ويقدم فيها نصوص الإنجيل ونصوص الأدب العربى الجاهلى.

هناك دراسات أخرى لغونثاليث أقل أهمية مثل " معركة القصر الكبير حسب المصادر العربية" ، و" بعض السيوف والمتعلقات العربية التى تنتمى إلى آخر ملوك غرناطة" ، و " آثار إسبانية كما وصفها العرب" ، و " قصائد لآخر ملوك غرناطة" . ومعظم هذه الأبحاث قرأها غونثاليث فى جلسات أكاديمية التاريخ ولخصها فى إصداراتها.

فى ٢٦ يناير عام ١٨٤٩ عُين غونثاليث عضواً أساسياً بأكاديمية اللغة الإسبانية وكان قد عُين عضواً ملحقًا بها قبل ذلك بسنوات. بهذه المناسبة قرأ بحثًا بعنوان " تأثير اللغات والآداب الشرقية فى ثقافة شعوب جزيرة أيبيريا" (١٦) ، وهو بحث قيم إلا أنه تعرض لانتقادات مننديث بلايو. قال بلايو فى نقده إن البحث أسلوبه ممل، وإنه ملئ بالبيانات بشكل زائد عن الحد المقبول، وإنه ينقصه الوضوح والمنهجية. (١٧)

كان غونثاليث يشعر بالحماس الشديد إزاء لغة الباسك ، وكان يعتبرها آخر لغات العصر الحجرى قبل أن تنقسم اللغات إلى لغات سامية ولغات آرية (١٨) . فى البحث المذكور يخصص غونثاليث جزءًا طويلاً وغير ضرورى لكى يثبت أصول اللغة الباسكية فيقول إن هذه اللغة لا تنتمى إلى اللغات السامية.

بعد هذه المقدمة الطويلة يدخل فى صميم الموضوع عندما يتحدث عن الفتح العربى فيؤكد إسهام نصارى الأندلس فى الفنون والآداب. عندما يتحدث غونثاليث عن خلافة قرطبة يذكر أسماء وأشياء غير معروفة حينذاك (زرياب ، ذلك المرجع فى الأناقة فى قصر عبد الرحمن الثانى ، والبوصلة ودراسة الرياضيات ... إلخ) ، ويبدى ثقافة غير معهودة فى ذلك العصر فى هذا المجال. يتحدث غونثاليث كذلك عن تطور الرواية العربية خاصة قصص الفروسية والحكايات، ويتناول أصل الشعر والموشحات والزجل ويقدم أمثلة على ما يقول.

يعرض غونثاليث – بشكل دقيق وبوفرة فى الأمثلة – النظرية التى كانت تناقش حينذاك والخاصة بتأثير الثقافة العربية فى إسبانيا ، لكن رغبته فى إثبات وجهة نظره تدفعه إلى جمع بيانات كثيرة وأسماء وتواريخ تتعارض مع بعضها البعض فتؤدى إلى غموض النص.

ورغم أنه لا يهمنا الآن إلا بشكل عارض فإننا نريد أن نؤكد أن غونثاليث كان دارسًا عظيمًا للعبرية وأنه خصص لدراستها نفس الحماس الذى خصصه للدراسات العربية. كانت الثقافتان العربية والعبرية متداخلتين إبان العصور الوسطى ، فكان من الطبيعى أن تسلمه دراسة إحدى الثقافات إلى دراسة الثقافة الأخرى ، وكان من الطبيعى أن يحاول غونثاليث أن يعزى بعض مشاكل الحياة الإسبانية إلى تداخل ثلاث ثقافات وثلاثة أجناس من البشر.

من بين الدراسات الهامة التى نشرها غونثاليث فى هذا المجال الأخير نذكر " قائمة ونقد لمخطوطات الحاخامات المحفوظة فى مكتبة الاسكوريال" ، و " المؤسسات القضائية لشعب إسرائيل فى مختلف دول شبه جزيرة إيبيريا" ، و " التنظيم الذى شكله مدعو الجماعات العبرية فى أراضى قشتالة عام ١٤٩٢" .

كانت آراء المعاصرين فى غونثاليث تتراوح بين المدح بلا حدود وبين النقد الخفيف المبنى على جفاف بياناته. يقول مارتينيث تيبار عن غونثاليث : " إن شهرة علمه قد ذاعت بحيث أنه كان يلجأ إليه كل المستشرقين ليستشيرونه ومن بينهم مستشرقو الدول الأوربية الأكثر تقدماً" (١٩)

ويقول منينديث بلايو (٢٠) : " إن كتب غونثاليث لو أنها أكثر وضوحًا ومنهجية لكانت معروفة لدى الجميع بالشكل الذى تستحقه ؛ نظراً لما تتمتع به من ثقافة وحداثة". وعندما أراد أنطونيو ماورا أن يقدم تقريظًا لغونثاليث بعد وفاته قال : " لم يكن توجهه الطبيعى إثراء الثقافة الإنسانية عن طريق الإبداع... أبدى اهتمامًا ثابتًا لا يتغير بمحاربة عدو الإنسان الذى اسمه النسيان" (٢١)

كانت ميزته التى لا شك فيها هى كونه باحثًا لا يكل. عاش غونثاليث زاهداً يكرس جهده للحصول على معلومات ومخطوطات مجهولة. أصبحت قدرته على العمل والبحث وفضوله العلمى مضرب الأمثال، لكن كانت تنقصه القدرة على استعمال هذه المعلومات واستخلاص النتائج منها، ربما لأنه لم يجرؤ على ذلك. إن كتبه ومقالاته عبارة عن منجم للثقافة العربية الإسبانية ، إلا أنه منجم غير جذاب لعدم وجود أسلوب جذاب فى العرض ولعدم وجود عرض واضح يثير الاهتمام.

الهوامش

(1) E. MARTÍNEZ TEBAR, Estudio crítico biográfico de D. Francisco Fernández y González, Madrid, 1908 .

(2) HARTWIG-DERENBOURG, Les manuscritos arabes de l'Escurial, décrits par...París,1884-

(٣) عنوان الدراسة هو : Suplemento a la biblioteca arabigo -hispana de Casiri

(4) FRANCISCO FERNÁNDEZ Y GONZÁLEZ, Historia de Zeyyad ben Amir el de Quinena, hallada en la Biblioteca de El Escorial y trasladada directamente del texto arábigo original a la lengua castellana por D... Museo Español de Antigüedades, Madrid, 1882 , Se tiraron aparte algunos ejemplares, también en gran folio.

(٥) Antar أنطار هو كتاب فروسية نُسب إلى طبيب إسباني كان يُدعى مؤيد محمد بن المجالس الأنطاري ويقيم في دمشق. يقول منينديث بلايو إنه كتاب عجيب.

(٦) يقول منينديث بلايو: " لهذا ظل مجهولاً بالنسبة لجمهور القراء كما لو أنه ظل مكتوباً بالعربية" ربما لأن المجلدات كانت ثقيلة وصعبة الاستعمال. انظر كتاب : Orígenes de la novela, Madrid,1,1962, p. 71

(7) MENENDEZ Y PELAYO, Orígenes de la novela, 1962 , I,p.71.

(8) FRANCISCO FERNÁNDEZ Y GONZÁLEZ: Estado social y político de los mudéjares de Castilla , considerados en s'I mismos y respecto de la civilización española, Madrid, 1860 .

(٩) الفاريث دى بياساندينو مثلاً يقول: " من يغرم بالجميلة لابد أن يسامح / لو كانت مسلمة". أوغارثيا فيرنانديث دى خيرينا الذى تحول عن دينه لأنه أحب مسلمة. انظر:

Poesía española, Edad Media, Ed. Dámasco Alonso, Buenos Aires, 1942 , pp. 175 - 76 .

(10) AMERICO CASTRO, La realidad histórica española, México, 1954 , MARÍA ROSA LIDA

DE MALKIEI, Two Spanish Masterpieces, Urbana, 1961 , y ·Nuevas notas para la interpretacion del Libro del Buen Amor", NRFH, XIII (1959) .

(11) AMERICO CASTRO, La realidad histórica española, México, 1954, p.100

(12) Historias de Al-Andalus, por Aben Adhari de Marruecos. Traducidas directamente del arábigo publicadas con notas y un estudio histórico crítico por el Dr. D. FRANCISCO FERNÁNDEZ Y GONZÁLEZ, Granada, 1860 , 2 vol.

(13) Historia de Al-Andalus. II, p. 87 .

(14) " Revista de España", 4 . o año,1871, XIX, pp. 103 - 114 ; XX , pp . 363 - 376 .

(15) " Revista de España", 4. o año,1871, XIX, pp.186 - 98 ; XXIII, pp. 48 - 67 .

(16) FRANCISCO FERNÁNDEZ Y GONZÁLEZ, la influencia de las lenguas y letras orientales en la cultura de los pueblos de la Península Ibérica. Discurso leído ante la Real Academia Española y publicado en ·La España Moderna", Madrid, marzo, 1894 .

(17)M.MENÉNDEZ Y PELAYO, Las influencias semíticas en la literatura española, ·Estudios y discursos de crítica literaria", Madrid, 1941 , p. 195 .

(١٨) فى المؤتمر الدولى الثانى عشر للمستشرقين المنعقد فى هامبرج عام ١٩٠٣، ألقى بحثاً ذكر فيه أن لغة الباسك لها آثار أدبية انتقلت إلى العربية والعبرية وأنه لا يمكن دراسة اللغة الإسبانية بدون دراسة لغة الباسك و " أثار إعجاب المشاركين" انظر:

MARTÍNEZ TEBAR, Estudio crítico y biográfico de D.F. Fernández y González, p. 24 .

(19) E.MARTÍNEZ TEBAR, Estudio crítico y biográfico.., p. 28

(20) M. MENÉNDEZ Y PELAYO, Estudios y discursos de crítica literaria, Madrid, 1941 . p.195

(21) ANTONIO MAURA, D. Francisco Fernández y González, en · Boletín de la Academia Española", Madrid, 1917 , IV, p. 407 .

فرانثيسكو خابيير سيمونيت

كان سيمونيت من ملقة مثل سيرافين كالديرون، ويُنسب إلى هذا الأخير الفضل في اشتغال سيمونيت بالدراسات العربية التي دخلها مصادفة في البداية لكنه تحمس لها فيما بعد.

ولد سيمونيت في ملقة في أول يونيه عام ١٨٢٩ لأسرة ثرية. كان والده قد استمر لثماني سنوات في دراسات دينية بهدف أن يكون قسيساً وأراد أن يحقق لابنه ما عجز هو عن تحقيقه؛ فأرسله إلى مركز الدراسات الدينية بمجرد أن سمح سنه بذلك.

لكن الابن لم يكرس حياته لخدمة الكنيسة ، إذ أنه بعد أن درس علم اللاهوت لمدة ثلاثة أعوام ثم الفلسفة لمدة ثلاثة أعوام أخرى – مع دراسة اللاتينية كذلك – ترك الدراسة الدينية لأسباب غير معروفة، ربما لأنه لم يجد في نفسه رغبة لذلك. لم تضع تلك السنوات سدى ؛ إذ أنها ساعدته في تكوين أساس لمعلومات عامة بالإضافة إلى أنها جعلت منه دارساً ممتازاً للغة اللاتينية.

غادر منزله في ملقة إما لخلافات مع والده أو لأنه رأى أن المدينة صغيرة على طموحاته. غادر المنزل برفقة أخيه ولم يكن يحمل معه سوى رغبةً في فتح طريق أمام إمكانياته، وذهب إلى مدريد سيراً على الأقدام، ووجد أخوه عملاً كمصور ، أما هو فقد سعى للحصول على حماية ابن بلده سيرافين كالديرون. في تلك الفترة – عام ١٨٤٨ – كان سيرافين في أوج مجده الأدبي وكان له نفوذ في مختلف الأوساط الاجتماعية، ومع ذلك فقد قال له : " لا أستطيع أن أقدم لك إلا القليل أيها الشاب لأن العمل كسكرتير لديّ يشغله أخي أنطونيو، لكن إذا كنتَ خطاطًا جيدًا فقد أستعملك في

كتابة بعض الرسائل الهامة. اكتب شيئًا لأرى خطك .[١] كان خط سيمـونيت عـبارة عن رسـوم لا تُقرأ ولهذا – وبناءً على مـعلومـاته فى اللغـة اللاتينيـة – فـقد طلب منه سيرافين أن ينظم له مكتبته.

لم يكن تنظيم المكتبة مهمة سهلة ؛ فمن ناحية كانت فى حالة من عدم النظام يرثى لها، ومن ناحية أخرى كانت مجموعة كبيرة من الكتب باللغه العربية ، وهى لغة لم يكن سيمـونيت يعـرفهـا. عندما ذكر ذلك لسـيرافين أجـابه قـائلاً : " يجب ألا تزعـجك هذه الناحـية، فسـوف أعلمك اللغـة العربيـة" ، وهكذا ولد الاستـعراب عند سـيمـونيت. كان سيمونيت طوال حياته مرتجلاً إلى حد ما وكان يحترم أستاذه سيرافين ويجلّهُ ، وكان سيرافين يعامله بكثير من الألفة والود كتلميذه المفضل. كان سيرافين يدعوه "كالبينو" لكثرة معارفه ولألفاظه ولقامته القصيرة.

فى عام ١٨٥١ – عندما كان سيمونيت يجيد اللغة العربية مثل أستاذه وربما أكثر – أرسله سـيرافين إلى الاسكوريال لكى يجمع بيـانات من المكتبـة عن تاريخ سـلاح الفرسان الإسبانى ، وهو موضوع كان سيرافين يشتغل فى إعداده. كان سيرافين قد حصل على تصريح بالاطلاع على الكتب العربية الموجودة بمكتبة الاسكوريال بصعوبة وضد رغبة أمين المكتبة. كان من المهم أن يتعامل الشخص الذى يريد القيام بهذا العمل مع أمين المكتبـة ، وكـان هذا شـخصـًا يصـعب التـعـامل مـعـه، وقـد أرسـل سـيـرافين سيمونيت لإتمام هذا العمل ثقةً منه فى لطفه وأوصاه قائلاً : " فى المعاملات الإنسانية يجب أن نبحث عن نقاط الالتقاء لا عن أسباب الاختلاف والعداوة" [٢] ؛ وقـد عـمل سـيمـونيت بنصـيـحة سـيرافين ، ونجح فى مـهـمتـه لدرجـة أنه سـافر بعد ذلك إلى الاسكوريال عـدة مـرات بمبـادرة شـخـصـيـة منه أو بتكليف من الحكومـة لدراسـة موضوعات خاصة بالتاريخ وبالأدب العربى.

فى عام ١٨٥٥ أنهى سيمونيت دراسة القانون بصعوبة بعد أن كان أبوه قد رفض مساعدته مـاديًا، لكن هذه المهنة لم تعجبه ؛ إذ أنها كانت تضطره إلى القيام بأعمال مرهقة ؛ فتركها واتجه إلى الدراسات الأدبية. أراد أن يقوم بتدريس اللغة العربية وقَبِل شغل كرسى أستاذية اللغة العربية فى نادى مدريد الثقافى ، وهو كرسى كان يشغله مارتينيث دى لا روسا ، وكان تلاميذه من ألمع التلاميذ فى ذلك الوقت.

بدأ التدريس فى أكتوبر عام ١٨٥٧ فشرح " تاريخ أدب العرب فى إسبانيا" ، وفى عام ١٨٥٨ درّس " اللغة العربية والأدب العربى" ، وفى عام ١٨٥٩ درّس "اللغة العامية عند أهل المغرب".

فى ذلك الوقت أيضًا بدأ سيمونيت فى نشر أعمال إبداعية ، فنشر أشعاراً رومانسية ومسرحية لم تمثّل ولا يعرف أحدٌ عنوانها ، بالإضافة إلى "أساطير تاريخية عربية" وهو كتاب جذب اهتمام الجمهور.

بين عامى ١٨٥٨ ، ١٨٦٠ كثّف نشاطه الأدبى بسبب الحرب بين إسبانيا والمغرب ، وفى الوقت نفسه واصل دراسة الأدب والفلسفة ، وقد قدم خدمات جليلة للدولة بفضل درايته باللغة العربية وبتاريخ العرب ونشر عدة دراسات عن الحضارة فى أفريقيا وغزو تطوان فى العديد من الصحف والمجلات[٣] .

فى عام ١٨٦٠ كان قد أنهى دراسة الفلسفة والآداب وفاز بمنصب كرسى أستاذية اللغة العربية فى جامعة غرناطة. كان منافسه على المنصب هو ليوبولدو ايغيلات إيانغواس ، وقد حُفرت تلك الامتحانات فى الذاكرة بسبب أحداثها العجيبة[٤]، وفى عام ١٨٦٢ أصبح سيمونيت عضواً بأكاديمية التاريخ الملكية.

من الآن فصاعداً تستمر حياة سيمونيت هادئة ومكرسة للدراسة الخاصة بموضوعات عربية وهو مجال خصص له كل طاقاته ولم يتركه حتى وفاته. لم تتنوع كتاباته التعليمية والإبداعية ، ولهذا فإن أعماله تتصف بالوحدة الموضوعية والتركيز ، وهذه خاصية لا نجدها فى أى من المستعربين الذين تعرضنا لهم حتى الآن.

هناك فى كل أعمال سيمونيت فكرة مسيطرة: الكاثوليكية. كان سيمونيت كاثوليكيًا أكثر منه مستعربًا وأكثر منه دارسًا وأكثر من أى شىء آخر. عاش فترة طفولته وفترة شبابه فى بداية انتشار مبادئ كارلوس فى إسبانيا وهى أفكار غرستها فيه أسرته أو غرستها فيه دراساته الدينية، وهذا ما يفسر حماسه وتحمسه دائمًا لتلك المبادئ. اعتنق سيمونيت – مثله فى ذلك مثل كثير من الكاثوليك الإسبان – هذه المبادئ كعقيدة سياسية راسخة. كان سيمونيت كارلسى مائة بالمائة وتتضح هذه

المبادئ في كل أعماله، ولقد تركت هذه الانطباعات الأولى آثارها في سيمونيت إلى حد تشويه أعماله تقريبًا. في كتبه الأخيرة – التي تتضح فيها ملامح شخصيته بفعل الزمن – نراه يمتدح قوة المبادئ الكاثوليكية في إسبانيا منذ الأزمان الغابرة ويقّيم دور مسيحيي الأندلس بشكل مبالغ فيه.

كانت لسيمونيت مراسلات هامة وثقافية مع دوزى المستعرب الهولندى الذى هاجم كوندى، هذه المراسلات لم تُنشر حتى الآن ، وهى لا تزال محفوظة فى أرشيفات أكاديمية التاريخ الملكية ، وهذه المراسلات عبارة عن مائة رسالة من دوزى إلى سيمونيت وبعض هوامش رد سيمونيت على الرسائل.

بدأت العلاقة بين سيمونيت و دوزى حوالى عام ١٨٥٠ عندما كان سيمونيت يعمل مع سيرافين ، وكان هذا الأخير يملي عليه بعض الرسائل لأن سيرافين – كما هو معلوم – كان شبه أعمى فى آخر سنوات عمره(٥). كان سيرافين و دوزى يتراسلان أحيانًا ، وكانت مراسلاتهما تدور حول موضوعات عربية، خاصة جغرافية شبه الجزيرة. بعد ذلك واصل سيمونيت هذه الصداقة ، وقد تعمقت صداقتهما عندما كانا يعملان فى إعداد كتابين متشابهين: كان دوزى يُعد كتاب "ملحق كبير للمعاجم العربية"(٦) ، وكان سيمونيت يعد "معجم ألفاظ النصارى" . خلال هذه المراسلات كان المستعربان يناقشان قضايا لفظية وكانا يتبادلان بروفات المطبعة لتصحيحها، وخلال سنواتهما الأخيرة كانا يتعرضان لموضوعات جغرافية عندما كان دوزى يُعد الطبعة الثالثة لكتاب أبحاث Recherches .

وكما يُنتظر من دوزى ذى العقلية المختلفة عن عقلية المثقفين والمستعربين الإسبان – وقد اختلف معهم جميعًا – فقد بدأت علاقته بسيمونيت إثر نقاش حاد حول كتاب "معجم ليدن" Glosario Leydense. اعتبر دوزى هذا الكتاب ذا أهمية ضئيلة ، بينما كان سيمونيت يرى العكس بل كان يعتقد أن هذا المعجم ذو أصل إسبانى ، وقد أثبت ذلك بالفعل. قَبِلَ المستعرب الهولندى وجهة نظر المستعرب الإسبانى (وهو أمر نادر) ؛ ومن هنا نشأت بين الاثنين علاقة ودية لم تنته إلا بعد موت دوزى. إن رسالته الأخيرة عبارة عن وداع حزين بعد أن تأكد أن نهايته تقترب.

مات سيمونيت فى ٩ يوليه عام ١٨٩٧ بمدريد ، وكان قد سافر إليها لكى يعمل فى نشر كتاب " تاريخ نصارى الأندلس ". لم ير الكتاب مطبوعًا ، لكن أكاديمية التاريخ الملكية فوضت بعض أعضائها مسئولية إتمام العمل ، وقد صحح مانويل غوميث مورينو بروفات المطبعة.

أعماله :

بدأ سيمونيت نشاطه الأدبى بكتابة أشعار رومانسية طبقًا لما كان سائدًا فى ذلك العصر ، وكانت أشعاره تشمل كل موروثات الأدب الرومانسى، وجرّب الكتابة للمسرح أيضًا فكتب مسرحية لم تُمثل ولا يعرف عنوانها. إزاء هذا الفشل جرّب سيمونيت النوع الأدبى الثالث الذى كان سائدًا فى عصر الرومانسية فى منتصف القرن التاسع عشر، فكتب أساطير تاريخية عربية عام ١٨٥٨(٧) ، وقد لاقى هذا العمل نجاحًا أكبر ، ليس فقط لأنه كان مكتوبًا بشكل أفضل ؛ بل لأنه كان مكتوبًا وفق اتجاه سيمونيت.

لم كن سيمونيت قد بلغ الثلاثين من عمره عندما نشر الكتاب ،وكان لا يزال متأثرًا إلى حد كبير بأستاذه سيرافين. ترك سيمونيت العنان لتأثيرات التيارات الأدبية السائدة فى ذلك العصر وحاول رسم صورة للحضارة العربية الأندلسية متبعًا فى ذلك آثار والتر سكوت وواشنطن ايرفنغ.

يعترف بذلك بدور دى مادراثو فى تقديمه للكتاب حين يقول: " إن شعراء وكتّاب إسبانيا العربية – وقد عاشوا فى تلك القصور والمروج وتأثروا بمشاهدة مناظر تلك المدن العظيمة وصور الطبيعة الجميلة بين الأزهار والنافورات والغابات والمراعى وأشجار الليمون والريحان – قد كتبوا صفحات جميلة غنية بالصور المشبعة بالحياة والألوان، ولا يقل أدبهم الجميل عن أدب العصر الذهبى فى أوربا. إن دراسة الطبيعة والأخلاق قد أوحت إليهم صفحات يمكن أن تعتبر معينًا لبرناردين سانت بيير وشاتوبريان وبيرون ولا مارتين. فى كثير من أساطيرهم وحكاياتهم هناك مقطوعات وصفية وشعورية تبارى أبرز صفحات كتابى"أتالاً " ، و" رفائيل"(٨)

الرواية الأولى بها من التاريخ أكثر مما بها من الأساطير.فيها سلسلة بيانات تاريخية تختلط برواية شعرية. كثير من هذه البيانات التاريخية تروى للمرة الأولى، وهى ثمرة لأبحاث سيمونيت فى مكتبة الاسكوريال . إنه على سبيل المثال يتحدث عن موت ابن عبدالله الذى أمر هو بقتله ، ويتحدث عن موت شقيق الخليفة الحكم الثانى ، وهى أحداث لم يكن قد ذكرها مؤرخون سابقون خاصة كوندى. إنه يذكر أخباراً مطولة عن حملة المنصور الشهيرة إلى سانتياغو بجليقية عام ٩١٧ والتى علق فيها الأسرى بأجراس الكنيسة التى استخدمت فيما بعد كنجف لمسجد قرطبة، كما يذكر فى هذه الرواية أيضًا أحداثًا جرت فى قرطبة بعد موت المنصور وسقوط دولته، يذكر هذه الأحداث بشىء من التفصيل والإسهاب يزيد عن تفصيل وإسهاب المؤرخين السابقين.

الرواية التالية عنونها "مريم " وتتحدث عن نصارى الأندلس، وهو موضوع سيتحول إلى بؤرة اهتمامه كمستعرب، يصف فيها التمرد الذى حدث فى القرن التاسع عندما برزت شخصية عمر بن حفصون الذى يقارنه هو ببلايو. يبّرر سيمونيت هذه المقارنة بأصل عمر القوطى وبإعادته للدين المسيحى، وتشير الرواية إلى علاقة عمر بن حفصون بالمسيحيين قبل اعتناقه المسيحية.

رواية "مدينة الزهراء" عبارة عن وصف لقصور تلك المدينة الملكية الشهيرة القريبة من قرطبة . وقد استخرج سيمونيت الوصف من الأخبار التى يرويها مؤلفون عرب مع شيئ قليل من الخيال، أما رواية "قمر" فهى أقلهن توثيقًا. فيها يطلق المؤلف لخياله العنان لكى يصف جمال غرناطة وحدائقها وقصورها ومرجها البديع ، لكن هناك القليل من الأصالة فى هذا الوصف . إنه فى بعض الأحيان يستخدم نفس الاستعارات التى استخدمها المؤلفون ، وفى أحيان أخرى يستخدم الألفاظ التى استخدمها كتاب الرومانسية.

على أن أكثر أجزاء الكتاب قيمة هو الملحق. يتضمن الملحق – وإن كان بشكل غير منظم – كل البيانات التاريخية التى استعان بها فى كتابه "الأساطير"، كما يضيف أخباراً ومقتطفات لمؤرخين عرب لم يشأ إدراجها فى الكتاب تجنبًا للإسهاب وأشعاراً فى مدح المنصور لم تُنشر من قبل، ويسوق الدلائل حول أمور تاريخية مختلف عليها

وتتعلق بالرواية. كان يمكن للكتاب أن يكون أكثر أهمية لو أن سيمونيت لم يحاول الإسهام فى بناء الرواية، التاريخية الرومانسية. سيمونيت فيه من المؤرخ أكثر مما فيه من كاتب الرواية ، وكتابه بشكل عام ممل. إنه لا يبتعد بالقدر الكافى عن البيانات التاريخية لكى يستطيع أن يكتب رواية أدبية، ولا يقترب من البيانات التاريخية بالقدر الذى يجعلنا نعتبر كتابه تاريخاً.

فى تلك الفترة نشر سيمونيت أيضاً عدة مقالات فى صحف ومجلات حول موضوعات شرقية بلا قيمة أدبية أو علمية كبيرة. إنها عبارة عن نشرات صحفية مخصصة ليست لها أغراض أخرى، نوجزها بسرعة. "قصر الحمراء و الإسكوريال" مقال نُشر فى مجلة "موسيودى لاس فاميلياس " عام ١٨٥٩ وهو مقال وصفى، وفى صحيفة "لاس أميريكاس" واسعة الانتشار آنذاك نشر سيمونيت عام ١٨٥٩ عدة مقالات وهى عبارة عن ملخصات لمحاضرات ألقاها فى مدريد عن "المميزات الخاصة للشعر العربى" وهو موضوع عالجه فيما بعد فى دراسات أخرى، و "قصور شهيرة بين العرب" عبارة عن دراسة لأهم القصور التى شيِّدت فى إسبانيا العربية من وجهة نظر تاريخية لا من وجهة نظر علم الآثار ، و"تاريخ عالمين" هى دراسة نشرت عام ١٨٦٠ وتشمل موضوعاً بعنوان " ذكريات تاريخية عن طليطلة" وموضوعاً بعنوان "بيانات عن عمر بن حفصون" وهو موضوع كان قد عالجه بتوسع كما ذكرنا آنفاً. كل هذه المقالات هامة من حيث الشكل والمضمون وهى أثر من آثار حركة الرومانسية التى تركها سيمونيت لكى يكرس جهوده للأبحاث الحقيقية.

فى عام ١٨٦٠ ، عندما تخرج سيمونيت من كلية الآداب والفلسفة وبعد أن حاز على كرسى أستاذية اللغة العربية بجامعة غرناطة ، نشر كتاب " وصف مملكة غرناطة تحت حكم بنى نصر " ، وهو وصف استخرجه من كتابات مؤلفين عرب ومن نصوص لمحمد بن الخطيب لم تكن قد نُشرت من قبل ، وقد نشرت المطبعة القومية الكتاب كاعتراف بقيمته.

الكتاب ذو مضمون هام جداً رغم أنه وجيز جداً وهو للوزير الغرناطى ابن الخطيب وهو مؤرخ ووزير ملوك غرناطة(٩) ، والكتاب عبارة عن نثر مسجوع ويتضمن

وصفًا عجيبًا لمملكة غرناطة فى السنوات الأخيرة لحكم بنى نصر. والمخطوطة – وهى محررة بتاريخ ١٥ يونيه عام ١٤٦٩ ، أى قبل غزو الملكين الكاثوليكيين لغرناطة بثلاث وعشرين سنة – كانت موجودة فى مكتبة الإسكوريال، وقد درسها سيمونيت وترجمها.

الكتاب عبارة عن مجموعة من الموضوعات تحت عنوان"معيار الأخبار" ويشمل:

١ – وصف بالنثر المسجوع لثلاث وأربعين مدينة وقرية بمملكة غرناطة ترجمها سيمونيت كاملة .

٢ – وصف كالسابق للمدن الرئيسية فى بلاد البربر لم يترجم سيمونيت منها سوى وصف مدينة سبتة.

٣ – عدة فصول عن أمور الحكم.

٤ – أخبار عن عدة شخصيات فى ذلك العصر.

٥ – فصول عن الأوامر والنواهى ، لم ينشر سيمونيت منها شيئًا لأنه رأى أنها عديمة الأهمية.

كتب سيمونيت فى دراسته التمهيدية للكتاب أخبارًا مفصلة عن ابن الخطيب ، و كان هدفه فى البداية هو نشر الكتيب فقط مع ترجمة له بالإضافة إلى بعض الملاحظات. بعد ذلك ، لما رأى أن العمل قليل أضاف إليه أخبارًا أخرى عن مملكة غرناطة استخرجها من كتب عربية أخرى خاصة بالتاريخ والجغرافية مثل كتب ابن بطوطة، وابن حيان والمقرى.

يتضمن الكتاب الأجزاء الآتية: "مقدمة" ، و "وصف لمملكة غرناطة" .الجزء الأول كورة البيرا، والجزء الثانى كورة ريه Rayya ، والجزء الثالث كورة بشنا Bachana ومدينة سبته.

ولا تقل الملاحق أهمية عن النص وهى اثنا عشر :

١ – مناخ وتقسيمات مملكة غرناطة.

٢ – قائمة بالأماكن الواقعة فى إطار العاصمة تحت حكم بنى نصر.

٣ – قرى مملكة غرناطة عند إنشائها.

٤ – وصف المؤلفين المسيحيين لمدينة ملقة تحت الحكم العربي.

٥ – سيرة ذاتية لعمر بن حفصون.

٦ – وصف رنده.

٧ – قرى ملقة عند إنشاء المدينة وأخبار عن سكان الإقليم.

٨ – قرى المريه الوارد ذكرها في قرار إنشاء أسقفية غرناطة وفي وثائق أخرى.

٩ – وصف لويس ديل مارمول لسبته.

١٠ – وصف غرناطه للرحالة الإيطالي اندريا نافاخيرو.

١١ – وصف لويس ديل مارمول لغرناطه.

١٢ – عائلات المسلمين الذين استوطنوا غرناطه والأماكن التي قدموا منها النص العربي.

ورغم أن سيمونيت خطرت له فكرة سيئة هي أن يُدخل المعلومات التي أخذها عن مؤلفين آخرين في دراسته حتى تكون لها وحدة موضوعية – وبهذا يستغني عن الترجمة الحرفية – إلا أن كتابه أثار اهتمامًا كبيراً، وعندما تحدثنا عن مستعربين آخرين ذكرنا أن هذا المنهج قد استعمله مؤلفون يبحثون عن تقديم معلومات جديدة أكثر مما يبحثون عن ترجمات دقيقة. في الحالة التي نتحدث عنها نقول إن كمية المعلومات الجديدة كبيرة لدرجة أن هذه الدراسة هي أكمل دراسة بالنسبة لمعرفة جغرافية وتاريخ غرناطة في سنواتها الأخيرة كمملكة مستقلة.

تحدث سيمونيت في الخطاب الذي ألقاه في حفل استقباله بجامعة غرناطة عن "فائدة الدراسات العربية في رسم صورة تاريخ إسبانيا"، وقد نُشر هذا الخطاب بعد ذلك في غرناطة عام ١٨٦٦ تحت عنوان "فائدة دراسة اللغة العربية" (١٠). إنها دراسة يبين فيها أنه كرس جهوده لدراسة الموضوع عدة سنوات طويلة، بالإضافة إلى

الأسباب الكثيرة التي يسوقها المدافعون عن دراسة اللغة العربية – من أنه لن نعرف تاريخ وأدب وفنون ونفسية الإسبان إلا بدراسة فترة السيطرة العربية دراسة متأنية –، يسوق سيمونيت في هذا الخطاب أسباباً أخرى ، ولكي يثبت وجهة نظره فإنه يتطرق إلى قضايا الجغرافيا التاريخية ، وهي قضايا لم يكن قد أشار إليها كثيراً قبل ذلك.

في خلال الخمس أو الست سنوات التالية لم ينشر سيمونيت أية دراسة كبيرة واكتفى ببعض المقالات التي صدرت في مجلتي "لا ثيوداد دي ديوس" و "لا ثيتثيا كريستيانا" ، وهما مجلتان دينيتان أدبيتان واسعتا الانتشار، لكن من العجيب أن نلاحظ أنه عبر هذه المقالات بدأت تتشكل نظريته التي تقول إن الحضارة العربية لم تكن راقية بالشكل الذي يعتقده البعض، وإن الحضارة العربية لم تقدم شيئاً ذا قيمة تقريباً إلى ثقافة إسبانيا، وإن الشيء الإيجابي في الحضارة العربية هو فقط ما أخذه المسلمون عن مسيحيي شبه جزيرة إيبريا عندما وصلوا إليها.

وفي عام ١٨٧٠ نشر في مجلة "ثيوداد دي ديوس" دراسة بعنوان "تأثير أهل إسبانيا الأصليين في الحضارة الأندلسية" (١١) ، ثم يقدم في هذه الدراسة بيانات جديدة ذات طابع تاريخي جديرة بالاهتمام لكنه عرض فيها نواة لأفكاره التي سيطورها فيما بعد في كتابه "نصارى الإسبان" .

يقول سيمونيت إن الدراسات العربية – وقد انحدرت منذ عصر ألفونسو العالم – بدأت في العودة إلى الظهور في أواخر القرن الثامن عشر مع دراسات ميخائيل الغزيري وكوندي وأتباعهما ، لكن دراسة أعمال المؤلفين العرب – شأنها شأن كل دراسة جديدة وهي بالتالي غير متقنة – قد أبهرت الكثيرين وأوحت إليهم بأفكار زائفة وإعجاب مبالغ فيه. يقول : "إن روح الزيف في القرن الماضي – مضافاً إليها الجهل وعدم التدين – قد أدخلت كثيراً من الخرافات إلى العلوم الحديثة ، وقد انعكس ذلك على دراسة الأدب العربي ، فبالغت في أهميته احتقاراً لشأن الأدب والحضارة الكاثوليكيين" (ص ٧) .

إن النظرية التي يطورها سيمونيت ، أو بمعنى أصح التي يبدؤها ، في هذا المقال تقول ما يلي : وصل بعض المؤلفين إلى حد القول إن العرب في العصور الوسطى

لم يكونوا فقط أفضل من المسيحيين من حيث الأخلاق والعلم والصناعة، بل كانوا هم الممثلين الوحيدين للحضارة فى ذلك العصر. ويرى سيمونيت أن هذا المستوى الحضارى الراقى – الذى يعترف بوجوده – يعزى فقط إلى الإسبان المسيحيين الذين كانوا يسكنون شبه جزيرة أيبيريا عند وصول العرب. لقد ساهم السكان الإسبان بشكل فعّال – نظراً لملكاتهم الفكرية ولقدراتهم الجسدية – فى إثراء حضارة العرب والبربر الذين قدموا إلى إسبانيا، يقول سيمونيت إن العرب والبربر كانوا أقل عدداً وقد استسلموا بشكل كامل لتأثير الإسبان ولم يمنع اختفاءهم تماماً إلا الأفواج المتتابعة التى دخلت إسبانيا قادمة من أفريقية اعتباراً من القرن العاشر.

من الطبيعى أن يُقر سيمونيت بأن سكان إسبانيا قد أسلموا بسرعة ، لكنه يُصر على أنه لولاهم لما تميز العرب فى علوم كالطب والفلسفة والتاريخ وما شابهها. يعترف بأن العرب تميزوا فى الشعر وفى العلوم الدينية ، ولكنه يقلل من أهمية هذه الجوانب.

ينتقل سيمونيت بعد ذلك إلى تلخيص مختلف جوانب النشاط الإنسانى التى تفوق فيها العنصر العربى ، لا لكى يمتدح العنصر العربى ويقر بتفوقه ، بل لكى يدحض ذلك الرأى. يقول إن العرب – فى الزراعة مثلا– أخذوا كل شىء عن أولئك الذين كانوا يزرعون الأراضى من قبل وقد تركوهم يزرعونها مقابل دفع ضريبة معينة. كانت هذه النظرية خاطئة ؛ وبالتالى فقد بذل سيمونيت جهداً كبيراً لإثباتها ؛ إذ من المعلوم أن العرب كانوا يثيرون الإعجاب بسبب الحدائق وبسبب استزراع أراضٍ لم تكن تُزرع بشكل جيد قبل مجيئهم.

يواصل الحديث عن العمارة فيقول إن العرب استعانوا بمعماريين من نصارى الإسبان حتى لتشييد مسجد قرطبة، ويقول إن الدراسات الفلكية قد بدأها نصارى الإسبان ، وإن الفلسفة – وهى علم يمتنع على العرب – يعزى تقدمها فى الأندلس إلى الإسبان الأصليين. هذا ما حدث أيضًا بالنسبة للطب والتاريخ الطبيعى. يذكر سيمونيت قائمة طويلة من الأطباء والفلاسفة والمؤرخين ذوى الأصل الإسبانى، ويتجاهل عمداً أسماء ليست قوطية الأصل. يقول إن القائمة كان يمكن أن تتسع لولا أن البعض

عـندمـا أسـلـم أخـفى كل صلة له بأصله القـوطى. هذا التـبـرير يفند مـا يقـوله سيمونيت نفسه.

يصل سـيـمونيت إلى نتيـجة مـفـادها أن العرب لم يُدخلوا الحضـارة إلى شبـه الجزيرة بل إنه – على العكس – كان ازدهار إسبانيا العربية يعود أساساً إلى العنصر الإسبـانى الذى منح القـادمين الجدد صـفـاته الفكرية وأمـدهم بتـراثه الفنى والأدبى والعلمى. كانت هذه هى أول مـرة ينشر فيـها سيـمونيت أفكاره عن الحضـارة العربية بشكل منظم، ونلاحظ أن هذه الفكرة تتبلور فى دراسـاته الأولى ، وتتـحـول إلى مـحـور لكل كتاباته.

فى العـام التـالى نشـر سيـمونيت – فى مـجلة ثيوداد دى ديوس – مـقـالاً هـامًـا عن كتاب دين أندلسى وضـعـه ربيع بن زيد أسقف غرناطة عام ٩٦١ (١٢) . عرفـ سيـمـونيت هذا الكتاب بفضل دوزى الذى أرسل له نسخة قائلاً:

ستجد هنا – دون شك – مـعلومات مدهشة ومفيدة جدا أعجبت فلوريس ، واستند إليها فى كتابه الرائع "إسبانيا المقدسة"(١٣) .

إنه كتاب هام لدراسة تاريخ الكنيسـة الإسبـانية خـاصة بالنسبة لقرطبة لأنه يقدم تفاصيل هامة جداً ونـادرة عن المسيحية بين نصارى الإسبان. كان الكتاب مفقوداً طيلة قرون ثم ظهر بين مخطوطات مكتبة باريسية.

كنا نعرف عن طريق مؤلفين عرب أن قسيساً يدعى ربيع بن زيد من قرطبـة برع فى بلاط عبـد الرحمن الثـالث والحكم الثانى وأن القسـيس قـام بعدة رحـلات بناءً على تكليف من عبـد الرحمن ، وأنه قد أجـرى دراسـات فلكية وكتب عـدة دراسـات عن هذه العلوم تحت رعـاية الحكم(١٤) ، وأنه فى عـام ٩٦١ كتب تقويمه الشهـير باللغـة العربية لكنه أضاف إليه الأعياد الرئيسية التى تحتفل بـها الكنيسة الإسبانية حتى يكون مـؤلفه مفيداً للنصـارى أيضًـا، وذكر أسمـاء الكنائس التى تقـام فيـها الأعياد بالإضـافة إلى معلومات دينية أخرى.

يبدو أن النص العربى قد فُقد كما فقدت نصوص أخرى كثيرة، ولم تحفظ سوى ترجمته اللاتينية التى كتبها على ما يبدو خيراردو دى كريمونا فى القرن الثالث عشر. الجزء الدينى من النص - وهو الجزء الذى نشره سيمونيت - يقدم سلسلة من الأخبار الهامة عن حياة المسيحيين فى ذلك العصر. إن الفصل المدرج فى الكتاب هو أشمل الكتابات الدينية وأكثرها إسهابا مقارنةً بالنصوص القوطية والنصوص الأخرى التى كتبها نصارى الإسبان. إنه يتفق بشكل عام مع النصوص القوطية ، لكنه يضيف أعياداً أخرى ربما تكون قد أُدخلت بعد ذلك ، كما يذكر أماكن توجد بها رفات قديسين، وهو ما ينفى أن تكون الرفات قد نُقلت من أماكنها قبل أو بعد هذا التاريخ، ويُؤكد أيضًا الوضع الجيد الذى كان يحظى به نصارى الإسبان بالنسبة لممارسة شعائر المسيحية الكاثوليكية إبان حكم العرب.

إن الكتاب - رغم أنه باللاتينية - يحفل بالألفاظ العربية ؛ وهو ما يؤكد أنه مترجم عن نص أصلى كُتب بالعربية، وقد أثبت دوزى أن الكتاب حقيقى، وذلك استناداً إلى فقرات لابن العوام تتحدث عنه ، كما أضاف سيمونيت فقرات أخرى لمؤلفين عرب آخرين ، ونشر النص اللاتينى كاملاً ومعه ملاحظات توضيحية حول الألفاظ والفقرات.

ونشر سيمونيت فى مجلة "ثينثيا كريستيانا" بعض المقالات الهامة عن هذه الدراسة، وفى المجلدين الرابع والخامس(١٥) ظهرت رسائل موجهة إلى السيد أوريليانو فيرنانديث غيرا(١٦) بخصوص رحلة إلى أطلال بوباسترو، ففى هذه الرسائل حديث عن رحلة إلى بيابيردى والعثور على أطلال ربما كانت لقلعة عمر بن حفصون الشهير بـ " رائد القومية الإسبانية المسيحية فى أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر".

إن وصف هذه الأطلال والمكان الموجودة فيه يجعله يصحح الخطأ الذى ارتكبه أنطونيو كوندى حينما قال إن بوسترو تقع فى إقليم أراغون ، وهكذا حدد سيمونيت مكان بطولات عمر بن حفصون ليكون فى شمال شبه جزيرة إيبيريا ، وهذا ما جعله يصحح التواريخ أيضًا. ويوضح سيمونيت ذلك بشكل حاسم معتمداً على وثائق عربية ويتحدث عن قلاع وحصون كانت تشكل خط الدفاع عن الأراضى التى يسيطر عليها عمر بن حفصون.

كانت صورة عمر بن حفصون تجذب سيمونيت إلى حد كبير وكان متأثرًا في ذلك بأستاذه سيرافين كالديرون ، الذى كان يقارن ابن حفصون بالسيد بيلايو. كان سيرافين يقول إن عمر كان يمارس نشاطه داخل الأراضى العربية معتمدًا على معاونة النصارى والمولدين كما لو كانوا جواسيس وهو أمر تأكد بعد ذلك. وفى مقال نُشر فى مدريد عام ١٨٦١ – ولم أستطع العثور عليه(١٧) كان يُطلق على الأراضى الواقعة تحت سيطرة عمر بن حفصون "استورياس الجديدة" .

ونشر سيمونيت فى مجلة " ثيوداد دى ديوس" مقالاً عن هذا القائد أسماه صمويل بن حفصون(١٨) فأطلق عليه الاسم الذى اعتنقه بعد تحوله إلى المسيحية. يقول سيمونيت إن هذا القائد يستحق أن نخصص له كتابًا، لا مقالاً واحدًا ، ويقدم قائمة من المراجع العربية لمن يريد التوسع فى هذا الموضوع مستقبلاً. و الجدير بالذكر أن سيمونيت تحدث فى كتابه"أساطير" عن هذه الشخصية فرسم صورة رومانسية له كبطل وكمدافع عن المسيحيين المضطهدين. إنه هنا يعالج الشخصية من وجهة نظر تاريخية ويسوقها كدليل يدعم به نظريته.

ورغم أن المؤرخين قد تحدثوا بموضوعية عن بطولات ومغامرات هذا القائد إلا أنه من المهم أن نتحدث عن كيفية معالجة سيمونيت له وعن تعليقاته حوله فى هذا المقال. يقول سيمونيت فى البداية إنه بعد مائة وسبعين عامًا من السيطرة العربية كانت إسبانيا لا تزال تعج بصراعات داخلية عواقبها وخيمة "وهذا – أيضا – يسيئ إلى ما يسمى بالحضارة العربية"(١٩) . إن الحضارة العربية قوية فقط فى التدمير وفى القضاء على السكان الأصليين: "إن السيطرة الإسلامية لم تستطع أن ترسى فى بلدنا دعائم دولة قوية ومنظمة وسليمة بسبب عناصرها غير المتآلفة " (٢٠) .

كان عمر – قائد تمرد النصارى والمولدين فى الثلث الأخير من القرن التاسع – ينحدر من نسل الكونت القوطى الديفونسو الذى احتفظت عائلته بالدين المسيحى على مدى ثلاثة أجيال حتى تحول أحد أجداد عمر بن حفصون إلى الإسلام. يقول سيمونيت إن والد عمر رغم أنه كان يمارس شعائر الإسلام إلا أنه كان مسيحياً فى داخله" .

حدث أول تمرد لعمر فى عام ٨٨١ حيث تحصن فى بوباسترو ، وكان ينطلق منها فى مناوشات فى القرى المحيطة. ومع ازدياد أعداد قواته كان يهاجم القلاع. هزمه جيش السلطان ، لكنه عاد إلى التمرد فى عام ٨٨٤ ودعا النصارى إلى الالتفاف حوله وهو ما حدث بسرعة ؛ "هكذا كان سخط الذين يعانون من حكم السلطان، وهكذا كان سكان البلاد مستعدين لرد الفعل إزاء اضطهادهم" (٢١) .

فى عام ٨٩٨ تنصّر عمر بن حفصون وفى احتفال مهيب تم تعميده باسم صمويل ، وقد اقتدى به كثير من جنوده. أرسى الوحدة الكاثوليكية وشيّد عدة كنائس. يقول الأسقف رودريغو خيمنيث فى الفصل التاسع والعشرين من كتاب "تاريخ العرب": إن عمر تحول إلى الكاثوليكية فى الظاهر فقط كحيلة سياسية للحصول على معونة نصارى الإقليم. يذكر سيمونيت هذا الخبر فقط ليعارضه بشدة ، ويقول – فى دحضه للخبر – إن زوجة عمر كانت مسيحية ، وإن ابنته شيدت ديراً ، وإن أباه قد تعمد كذلك (٢٢) .

هذه الدراسة الهامة والمليئة بالبيانات الجديدة عن هذا القائد المثير للجدل كان يمكن أن تكون أكثر أهمية لو أن المؤلف لم يكن حريصًا على التقليل من قيمة العرب وتمجيد حياة وأعمال النصارى.

كانت إحدى مشاكل تعليم اللغة العربية فى إسبانيا تكمن فى عدم وجود كتب تعليمية.(٢٣) كان من الضرورى الاستعانة بكتب القواعد والنصوص المنشورة فى الخارج مع الأخذ فى الاعتبار المشاكل التى تترتب على تعلّم لغة أجنبية عن طريق لغة أجنبية أخرى. كانت مشكلة القواعد سهلة نسبيًا نظراً للشرح الذى كان يقوم به مدرس الفصل يوميًا. كان من الأصعب العثور على نصوص صالحة لأن يقرأها المبتدئون ، فهؤلاء لم يكن من المستطاع أن تقدم لهم نصوص صعبة حتى لو وُجدت مطبوعة فى إسبانيا.

لكى يحل سيمونيت هذه المشكلة التى واجهته أثناء التدريس فى غرناطة نشر كتاب " نصوص عربية إسبانية" عام ١٨٨١ بالاشتراك مع الأب ليرشوندى. (٢٤) ، هذا المستعرب – الذى سنتحدث عنه فيما بعد – كان يعيش فى غرناطة بشكل مؤقت ،

واستغل إقامته هناك لكى ينجز مشروع الكتاب الذى كان يفكر فيه مع سيمونيت من قبل.

يقول الاثنان فى المقدمة إن الهدف من الكتاب ليس منافسة كتب أخرى من نفس النوع فى إسبانيا أو فى الخارج وإنما إمداد المدارس بكتاب يسهّل مهمة تعليم اللغة العربية ويحفّز الناس على هذه الدراسة، والكتاب ينقسم إلى أربعة فصول:

١ - عدة نصوص دينية وثلاثة مقطوعات كتبها نصارى طليطلة .

٢ - نصوص جغرافية مع فقرات تصف إسبانيا الإسلامية بشكل عام وسكانها وأخبار عجيبة عن المجتمع والحضارة العربية الإسبانية.

٣ - نصوص تاريخية مع ذكر للحروب بين المسلمين والمسيحيين وقسم لتاريخ حياة الشخصيات .

٤ - نصوص شعرية.

كان سيمونيت مؤمنًا بنظريته التى لم يحد عنها أبدًا ، والتى تتحدث عن التأثير الإيجابى لسكان إسبانيا الأصليين فى الحضارة العربية ، ولهذا ففى حديثه عن تاريخ حياة الشخصيات يتحدث عن تلك الشخصيات ذات الأصل الإسبانى ، أما فى الفقرات فكان يختار المفردات ذات الأصل اللاتينى ، وكان يختار النصوص التى ساهمت فى إشعال الحس الدينى والبطولى الإسبانى. كان الكثير من تلك النصوص لم يُنشر من قبل، وقد أضاف المؤلفان أو اختصرا جملاً تيسيراً للفهم حسب مقتضيات النصوص.

كان يلى النصوص معجم للكلمات المستخدمة فى الدروس، يليها القاموس العربى لشياباريلى، والقاموس العربى بحروف إسبانية لبدرو دى ألكالا ، وملحق القواميس لدوزى.

الكتاب مفيد جداً لأنه حصيلة خبرة وعلم سيمونيت اللذين اكتسبهما من عمله فى التدريس وحصيلة خبرة ليرشوندى الناتجة عن اتصاله المباشر بعرب شمال أفريقيا. كان للكتاب صدى فى أوربا لأن النصوص المدرجة كانت إسبانية تماماً ولم يكن بمقدور

الكثيرين من الأجانب الاطلاع على المخطوطات الإسبانية (وكانت غير معروفة حتى ذلك التاريخ).

كان أحد الجوانب المثيرة للجدل فى حياة الكاردينال خيمنيث دى ثيسنيروس هو إحراقه للكتب العربية بعد الاستيلاء على غرناطة بقليل. حاول أعداء ثيسنيروس دائمًا المبالغة فى عدد وقيمة الكتب التى أُحرقت ، بينما أراد المدافعون عنه التقليل من أهمية الحدث. ونظراً لأفكار سيمونيت ودفاعه المستميت عن الكاثوليكية وعدم ثقته فى الأفكار التحررية وقلة تقديره للحضارة العربية ، فكان من الطبيعى أن يعالج الموضوع.

كان سيمونيت قد دافع قبل ذلك عن الكاردينال ضد المستعرب الإيطالى تشياباريلى الذى تحدث فى مقدمة كتابه "قاموس عربى" عن أهمية الكتاب العرب الذين نبغوا فى شبه جزيرة إيبريا وكتب يقول:

من حسن الحظ فان حظر استعمال اللغة العربية كنتيجة لعدم التسامح الدينى من قبل السلطات الكاثوليكية والاجراءات الوحشية التى اتخذها الكاردينال خيمينيث لم يؤديا إلى ضياع الوثائق العربية القيمة.(٢٥)

ورد سيمونيت على ذلك بقوله: إذا كان السيد تشياباريللى قد استطاع نشر القاموس فذلك لأن راهبًا كاثوليكيًا وإسبانيًا من القرن الثالث عشر – وهو رايموندو مارتين – قد كتبه، ولأن رهبانًا آخرين إيطاليين وكاثوليكيين قد حفظوه فى دير سان ماركوس فى فلورنسا، بالإضافة إلى أن غضب ثيسنيروس لم يشمل سوى المصاحف والكتب الدينية.

يجئ كتابه " الكاردينال ثيسنيروس والمخطوطات العربية الغرناطية" (غرناطة ١٨٨٥) كرد على هجوم جديد تعرض له الكاردينال من قِبل شاب غرناطى يُدعى ك ج ب. نشر هذا الشاب سلسلة مقالات تحت عنوان " فى زمن المسلمين" فى مجلة الهامبرا عام ١٨٨٥ وقال : " من الثابت تاريخيًا أن الكاردينال ثيسنيروس أمر بإحراق مليونين من الكتب العربية فى غرناطة". لم يعجب هذا الرقم سيمونيت فاستدل على مبالغة الشاب بالرقم الذى ذكره البار غوميث دى كاسترو وهو خمسة آلاف كتاب فقط.

من حيث نوع الكتب التى أحرقت يقول سيمونيت إنها كانت كتب دينية فقط وإن الكتب ذات الموضوعات الفلسفية والطبية والتاريخية قد أُعيدت إلى المسلمين لأنها لم تكن تتضمن شيئًا مخالفًا للعقيدة المسيحية. ويؤكد كذلك أن الكاردينال عندما أسس جامعة الكالا أمر بأن تتضمن مكتبتها كثيراً من المخطوطات ذات الموضوعات الطبية والمجالات الأخرى بلغ عددها ثلاثمائة مخطوطة اختفت بعد ذلك.

دافع سيمونيت عن الكاردينال ثيسنيروس بنفس التعصب الذى هاجمه به الآخرون، وقال إن من يهاجمون ثيسنيروس "متحررون ومعادون للعقيدة الكاثوليكية وعقليون يريدون تفخيم العرب وعملهم وحضارتهم والإقلال من شأن المسيحية فى العصور الوسطى". دافع سيمونيت عن إحراق الكتب بحجة أنه كان من الضرورى إخماد بؤرة التمرد أينما وُجدت، وذكر أن الكتب التى أُحرقت لم تكن سوى مصاحف وكتبًا أخرى "من هذا القبيل". يعود إلى القول بأن حضارة العرب لم تكن سامية كما يُتصور ، وإن أهل غرناطة المسلمين – من حيث الحضارة – لم يتعدوا مرحلة الهمجية، وإنه رغم إحراق الكتب إلا أنه قد وصلت إلينا وثائق كافية تمكننا من الحكم على تلك الحضارة بأنها متخلفة وهمجية.

كان سيمونيت – كما نرى – شخصًا مندفعًا جداً. كان مُعجبًا بنظريته ومن هنا فإن كل دراساته التى كتبها اعتباراً من الآن ليست إلا إعادة وتأكيد لما يعتقده هو من أنها دليل على عدم وجود حضارة عربية. وكما يحدث مع كل من يحاول باستماتة إثبات شىء ما فإن سيمونيت يبالغ فى تقدير قيمة بيانات كثيرة ويتحدث عنها بانحياز واضح ويناقض نفسه فى كثير من الأحيان؛ بل إنه يسوق أدلة لم تكن لها قيمة حتى فى عصره.

فى مقالاته" دراسات تاريخية ولغوية حول الأدب العربى الذى كتبه نصارى الأندلس" ، والتى نُشرت فى مجلة جامعة مدريد ٧٢– ١٨٧٣ (٢٦) ، يدرس سيمونيت النصوص التى كتبها بالعربية المسيحيون الذين كانوا يعيشون فى أراض عربية ويقول إنهم – مع احتفاظهم بلغتهم الأصلية – كتبوا نصوصًا عربية جديرة بالذكر. يقول سيمونيت إن هذا شىء هام ، لا من وجهة النظر التاريخية فقط بل بالنسبة للبحث فى حقيقة " ما يُسمى بتأثير الحضارة العربية فى لغتنا وأدبنا" (ص ٢٩٢).

يقول سيمونيت إن العرب استخدموا الترجمات التى قام بها المسيحيون فى سوريا فى دراسة العلوم اليونانية، وفى إسبانيا كان المسلمون أكثر همجية من مسلمى الشـــرق ، وإنـــهم لم يخرجوا من همجيتهم إلا لأن نصارى الأندلس قد وضعوا فى أيديهم – عن طريق الترجمة والتعليم – التراث العلمى الذى وُجد فى إسبانيا خلال العصرين الرومانى والقوطى. يذكر سيمونيت بعض أسماء نصارى الأندلس الذين وصلت أخبارهم إلينا مثل ابن زهير الأشبيلى (طبيب وأديب من القرن الثانى عشر) والذى كان يحفظ كثيراً من الأشعار العربية (وهو ما يُشير إلى وجود شعر جيد وبالتالى وجود درجة من المدنية تفوق الهمجية)، وآخرين ممن جاء ذكرهم فى كتابات سابقة.

يدرس سيمونيت أيضًا فى نفس المقال مخطوطة تتضمن مجموعة الوصايا المقدسة ويعتبرها أهم عمل أدبى كتبه نصارى الأندلس فى القرن التاسع. عدد صفحات المخطوطة ٤٣٥ ، وقد ألفها – أو نسخها – قسيس يُدعى فيسينتى لكى تستعملها كنائس الأندلس. كان الهدف من تأليف المخطوطة هو تجنب أن ينسى الناس والقساوسة دينهم بعد أن تعلموا اللغة العربية. يقول سيمونيت إنه لا يعرف بلد المؤلف لكنه يعرف أنه أديب رائع شعراً ونثراً ، "وهذا شرف لنصارى الأندلس المضطهدين" (ص ٣٠٢).

فى المقال الثانى يواصل سيمونيت دراسة الأدباء المسيحيين الأندلسيين. يقول إن نظريات أبى زكريا بن العوام الإشبيلى التناسقية مأخوذة عن كولوميلا وهذا شىء ليس جديداً ، إذ أن العديد من المؤلفين – من بينهم بنكيرى[٢٧] – قد أجروا مقارنة دقيقة وجدوا من خلالها تشابهًا بل وفقرات مكررة فى العملين. يفترض المؤلفون – دون دليل – أن أبا زكريا كان يعرف اللاتينية وأنه قرأ كتاب كولوميلا فى لغته الأصلية ، لكن سيمونيت يقول "من المفترض جداً أن مسلمى إسبانيا لم يقرءوا كتاب كولوميلا باللاتينية بل فى ترجمة إلى العربية قام بها نصارى ممن يجيدون اللغتين العربية واللاتينية" (ص ٥٤٨) ، ويحاول بعد ذلك إثبات وجود هذه الترجمة المجهولة ، ثم يتحدث عن مخطوطات فُقدت عندما شب حريق فى الاسكوريال عام ١٦٧١ ، ويعلم بوجود هذه المخطوطات عن طريق الفهارس أو عبر طرق أخرى.

بعد أن يدرس سيمونيت كل هذه الوثائق والبيانات يبدأ فى كتابة الاستنتاجات التى تتضمن أحكامه المسبقة. يؤكد أن هذه البيانات دليل - لاشك فيه - على المستوى الراقى الذى وصل إليه نصارى الأندلس فى إجادة اللغة العربية. الوثائق ليست كثيرة ، أولاً لأن غالبيتها فُقدت ، وثانياً لأن نصارى الأندلس لم يخضعوا فى الحال لغزو اللغة العربية التى كانت همجية وغريبة عليهم، وهذا لم يحدث فى الشرق ، لأن الشعب الإسبانى كانت تسانده أوربا فلم يخضع للغزو الإسلامى.

لكن مهما كانت المخطوطات قليلة فإنها كافية لكى نصحح بعض الآراء الخاطئة التى كتبها مؤلفون على غير علم افترضوا أن النصارى قد نسوا لغتهم وأدبهم وعاداتهم ومؤسساتهم، بل وافترض المؤلفون أن نصارى الأندلس كانوا مسلمين من الناحية المدنية والاجتماعية. لدينا دلائل تؤكد أن نصارى الأندلس قد احتفظوا بنقاء الدم وبعقيدتهم وبطقوسهم وبقوانينهم القديمة وبأعمال القديس إيسيدرو وبروحهم القومية. يؤكد سيمونيت أن نصارى الأندلس لم ينسوا لغتهم الأصلية حتى لو كتبوا باللغة العربية ، ويضيف دليلاً جديداً على ذلك هو المفردات العديدة ذات الأصل اللاتينى الموجودة فى النصوص العربية، وهو ما يؤكد أيضاً وجود لغة قومية ذات أصل لاتينى متأثرة باللغة العربية. هذا التأكيد الأخير الذى حاول سيمونيت إثباته قد تأكد فيما بعد ، وهو ما يمكن اعتباره أهم إسهامات سيمونيت فى الدراسات العربية (٢٨) .

الهوامش

(1) ANTONIO ALMAGRO CÀRDENAS: Biografía del doctor D. Francisco Javier Simonet, catedràtico que fue de lengua àrabe en la Universidad de Granada, Granada, 1904 .p.6.

(2)MANUEL GÒMEZ MERENO, unas cartas del Solitario, en " Boletìn de la Real Academia Española", Madrid, 1953 ,XXXIII, p. 213.

(3) ALMAGRO CÁRDENAS, Biografia..., p.25.

(4) GÒMEZ MORENO, Unas del Solitario, p. 215

(٥) نذكر على سبيل المثال أن دوزى كتب إلى سيرافين رسالة عام ١٨٥٠ يطلب فيها طبوغرافية لقرطبة وأن سيرافين وجه الطلب نفسه إلى الكاتب القرطبى لويس م. راميريس

(6) P.R: DOZY: Suplément aux dictionnaires arabes, Leyde, 1881.2 vols.

(7) F. JAVIER SIMONET, Leyendas históricas àrabes, con prólogo de Pedro de Madrazo, Madrid, 1858.

(8) F. J. SIMONET, Leyendas..., prólogo, p. IV.

(٩) كان لسان الدين محمد بن الخطيب أديباً عظيمًا وشاعرًا ومؤرخًا وعالم لغة، بالإضافة إلى كونه سياسياً طموحاً. مات في سجنه عام ١٣٧٤ بعد أن هرب إلى تلمسان بعد أن غضب عليه محمد الخامس ملك غرناطة.

(10) F.J. Simonet, Discurso de recepciòn en la Universidad de Granada. Utilidad del estudio y cultivo de la lengua aràbiga, Granada, 1866.

(11) F.J. Simonet, De la influencia del elemento indigena en la civilizaciòn aràbigo hispaña, " La Ciudad de Dios", IV, 1870 .pp. 5-14 ; 92 - 101

(12) F.J. Simonet, Santoral hispano-mozàrabe escrito en 961 por Rabì ben Zaid obisp de Llìberis,·La Ciudad de Dios", IV,1870, pp.5-14; 192-212.

(13) SIMONET, Obr.cit. p. 105.

(14) AL-MAQQARI, libro VI, cap. V, p. 139 ,ediciòn de D. PASCUAL DE GAY-ANGOS, t. II.

(15) F.J. Simonet, Una expediciòn a las ruinas de Bobastro. Cartas dirigidas al ilustrìsimo señor D. Aureliano Fernàndez Guerra. -" La ciencia cristiana", 1877 ,IV, pp. 271-27,309-22.494-506' :V, pp. 134-47 .

(١٦) اوريليانو فيرنانديث غيرا أديب غرناطي ١٨١٦-١٨٩٤ . نشر عدة مسرحيات وكان عالماً بالجغرافيا والتاريخ. رسم مائة خريطة لجغرافية شبه الجزيرة الأيبرية القديمة وعدة دراسات لنقوش ووثائق .

(١٧) الفقرة يذكرها سيمونيت نفسه في أول رسالة إلى فيرنانديث غيرا. انظر كتاب: Una expedición a las ruinas de Bobastro.

(18)F.J. Simonet, Samuel ben Hafsun, 'La ciencia cristiana", 1879 ,XII, pp. 174 - 87 ; 270 - 80 .

(19) SIMONET, Obr.cit., p. 176 .

(20) SIMONET, Obr.cit., p. 177 .

(21) SIMONET, Obr.cit., p. 280 .

(٢٢) لدراسة شخصية عمر بن حفصون يمكن مطالعة :

la Historia de España dirigida por R. MENENDEZ PIDAL, tomo IV, pp. 196 y ss. LEVI-PROVENCAl, Histoire de l'Espagne Musulmane, Paris, 1950 ; JOAQUíN VALLVÉ, De nuevo

(٢٣) في عام ١٩٤٠ فقط نشر أسين بلاثيوس كتاب

Crestomatía del árabe literal y elementos de gramática لكي يحل محل ملاحظات مدونة باليد كان طلاب جامعة مدريد يستخدمونها فقط أيام كوديرا، وفي عام ١٩٤٤ نشر غارثيا غوميث كتاب :

Antología para principiantes.Textos árabes sin vocalizar, selecionados y reeditados con un glosario, Madrid, 1994

(24) Fr. JOSE LERCHUNDI y F. J. SIMONET, Crestomatía arábigo-española o colección de fragmentos históricos , geográficos y literarios relati vos a España , bajo el periodo la dominación sarracénica, seguido de un vocabulario, Granada, 1881 .

(25) C. SCHIAPAELLI, Vocabulista in arábico, publicato per la prima volta sopra un codice della Biblioteca Riccardiana di Firence, firence, 1871 ,p. XII.

(26) " Revista de la Universidad de Madrid", 2,o época, I, 1872 - 73 , pp. 292 - 310 ; 546 - 61 ; 522 } 48 .

(٢٧) انظر: خوسيه أ . بانكيري: كتاب الفلاحة . مؤلف الكتاب أبو زكريا يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام الأشبيلي.

(٢٨) انظر: دراسات كل من غارثيا غوميث ومنيندیث ببدال ودامسو ألونسو ونيكل ... إلخ

فرانثيسكو خابيير سيمونيت

المعجم وتاريخ النصارى

واصل سيمونيت الدراسات اللغوية التى كان قد بدأها فى أعماله الأولى فنشر "معجم الألفاظ الأيبيرية واللاتينية المستخدمة بين النصارى" عام ١٨٨٨(١) ، وقد حصل هذا المعجم الهام على جائزة أكاديمية اللغة ونُشر على نفقتها ، وأهدى سيمونيت هذا العمل إلى أستاذه سيرافين كالديرون الذى كان قد مات فى هذا التاريخ.

يدرس سيمونيت فى الجزء الأول من الكتاب اللغة التى كان يتحدثها النصارى عند وصول المسلمين الذين كانوا يطلقون عل تلك اللغة لقب" أعجمية ". يعاود سيمونيت الحديث عن أن بعض الإسبان وصلوا إلى حد فهم اللغة العربية أكثر من العرب أنفسهم، ويستعرض كل الأدلة التى سيقت فيما مضى لإثبات هذه المعلومة : هجر استعمال اللغة اللاتينية، وترجمة الكتب المقدسة إلى اللغة العربية، وكتب علم الفلك التى وضعها الأسقف روسيموندو ، والأشعار التى كتبها بعض المسيحيين باللغة العربية...إلخ. بعد ذلك يسوق أدلة على ظاهرة معاكسة تتلخص فى المحافظة على اللغة اللاتينية والتحدث بها باستمرار.

قبل أن نواصل الحديث هناك نقطة يجب توضيحها . إنها نقطة ضعف فى هذه الدراسة التمهيدية، وهى خلط سيمونيت بين اللغة اللاتينية الفصحى أو شبه الفصحى التى كانت تستخدم فى الكنائس والدراسات العلمية ، وبين لغة الشارع أى اللاتينية الدارجة أو الإسبانية. ولا يوضح سيمونيت هذا الأمر بما فيه الكفاية وهو ما يجعل الدراسة غامضة كما يجعل أدلته لا يُعتد بها.

بعض الأدلة على المحافظة على اللغة اللاتينية التى يوردها سيمونيت هى:

١ - أعمال كل من القديس إيسيدرو ، والقديس ايولوخيو والبارو واليـــباندو.. إلخ (وهى باللاتينية الفصحى)

٢ - بعض الوثائق الكنسـية من مـؤتمرات وشـهـادات الوفـاة وغـيـرهـا مكتـوبة باللاتينية (الفصحى أو شبه الفصحى).

٣ - العديد من المخطوطات الخاصـة بأعمال لاتينية قديمة كـان نصـارى الأندلس يحتفظون بها أو كانوا ينسخونها (وهى باللاتينية الفصحى أو شبه الفصحى)

٤ - وجود الكثير من النقوش على شـواهد القبور (معظم هذه النقوش باللاتينية العامية أو هى خليط بين اللاتينية الفصحى والعامية).

٥ - هناك أخـبار يسوقـها المؤلفون العـرب عن اسـتعـمال نصـارى الأندلس للغة اللاتينية (الأدلة التى يسـوقـها هنا غير مقـنعة ومنهـا أن مـؤلفًا مـن باداخـوث - مـات عام ١٠٧٣- كـان يدعى "ابن اللاتينيـة " ، وهو مـا يجـعل سـيـمونيت يظن أن أم المؤلف كانت فقيهة فى اللغة اللاتينية. من المعلوم أن اللاتينية قد تكون صفة للشخص لا للغة مثل ابن القوطية ، وهذا النوع من التسمية كان شائعًا).

٦ - وجود بعض الكلمات والجمل اللاتينية الإسبانية التى يضعها المؤرخون على لسـان شـخـصـيات إسـبانيـة من النصـارى أو المولدين (هنا لا نعـرف هل هـى لاتينيـة فصحى أم عامية)

٧ - بعض الألقاب باللاتينية الإسبانية التى كان يحملها أشخاص من النصـارى أو المولدين أو حتى العرب مثل اسم بتراسيكا (حجر جاف) وكان يطلق على شـخص من أعيان قرطبة، واسم الثاباتير (إسكافى) وكان يُطلق على مؤلف من فالنسيا.

٨ - أسـمـاء جـغرافيـة من أصل لاتينى أو أيبيرى احُتـفظ بـهـا خـلال الحكم العربى (هذه لاتينية عامية)

٩ – بعض الألفاظ اللاتينية الإسبانية أو الأيبرية الخاصة بالأشجار والنباتات والحيوانات والأدوية التى كان النصارى يعلمونها للعرب.

١٠ – شهادة مؤلفين عرب إسبان أنهم عند نطق ألفاظ أعجمية كانوا يطلقون على اللغة اسم " الرومية " ، أو "اللاتينية" ، أو "اللاتينى العامى".

١١ – شهادة الصيدلى المالقى ابن البيطار فى كتابه عن الأدوية البسيطة ، حيث ذكر أسماء الأدوية بالعربية واليونانية واللاتينية الإسبانية والبربرية (وهو مرجع قيم استندت إليه الدراسات الحديثة فى فقه اللغة)

١٢ – شهادة مؤلف مسيحى يُدعى خاكوبو فيترياكو لم فى النصف الأول من القرن الثالث عشر، وهو يؤكد أن نصارى الأندلس فى زمانه كانوا يفهمون اللغة اللاتينية ويتكلمونها (هنا لا نعرف ما إذا كان يشير إلى اللاتينية الفصحى أم العامية أم إلى اللغة الإسبانية)

يتساءل سيمونيت بعد ذلك هل كان نصارى الإسبان يتحدثون العربية كلغة دارجة ويدرسون اللاتينية كلغة فصحى لأسباب دينية ؟ ويرد على تساؤله بأن هذه الفرضية لا أساس لها دون أن يقول لنا لماذا اعتبرها كذلك. يُنهى الفصل بقوله إنه من الواضح أن اللغة اللاتينية قد تغيرت كثيراً منذ وصول العرب نظراً لإهمال الدراسات اللغوية والنحوية ونظراً للتأثير القوى الذى أحدثته العربية. ويؤكد سيمونيت وجود لغة دارجة تأثر بها المؤلفون الذين كانوا يكتبون بالفصحى. هذا هو – دون شك – أهم جزء فى الكتاب.

الفصل الثانى يدور حول موضوع مفضل لدى سيمونيت ألا وهو دحض أقوال مثقفى القرن الماضى ومعاصريه من أن الحضارة العربية كانت متفوقة على ثقافة المسيحيين خلال العصور الوسطى. يقول إن هذه الآراء تُعزى إلى بغض الثقافة المسيحية الناتج عن العلوم المزيفة خلال القرن الثامن عشر أو من قبل شخصيات – مثل دوزى – مغرمة بالثقافة العربية. أما سيمونيت فكان مولعاً بالنقيض ، وراح يجمع أدلة لكى يؤكد أنه إذا كان العرب فى المشرق قد استوعبوا حضارة المصريين والفرس

والسوريين والشعوب التى فتحوها فقد حدث ذلك نفسه فى إسبانيا "التى كان أهلها يتميزون عن غيرهم ولم يكونوا أقل حضارة من الشعوب المسيحية فى آسيا ومصر".

يقول سيمونيت إن علوم إيسيدورو التى احتفظ بها نصارى الأندلس يرجع إليها الفضل فى استعادة الأدب الإسبانى الذى ازدهر خلال القرن الثالث عشر. لم يضف العرب شيئًا ذا قيمة إلى الحضارة. إنهم شعوب همجية عاشت مع شعب متحضر فازدهروا زمنا ما على أنقاض الشعب المهزوم. إن عبد الرحمن الأول ومن خَلَفَه من الحكام كانوا بعيدين عن إخوانهم فى الدين فى المشرق فاستعانوا بكل ما وجدوه مفيداً لدى الشعب الإسبانى المهزوم. ولكى يؤكد سيمونيت هذه المقولة راح يُدلى بأسماء شخصيات بارزة من نصارى الأندلس أو من الإسبان الذين أسلموا لكى يؤكد فى النهاية أن كل شىء ذا قيمة كان إسبانيًا .

ما هى أسباب ذلك ؟ يجيب سيمونيت على هذا السؤال بتأكيدات لا أساس لها أو استناداً إلى وثائق غير دقيقة مثل قلة عدد العرب مقارنة بسكان البلاد الأصليين ، تعاليم القرآن "وهى عقبة أمام تقدم الإنسانية" والنهج القبلى للعرب.

يخصص سيمونيت الفصل الثالث لدراسة الكلمات الإسبانية ذات الأصل العربى وهذه الكلمات "أكثر عدداً من العرب الذين دخلوا إلى إسبانيا". يُبرز سيمونيت الكلمات التى أُعتبرت ذات أصل عربى فى عصرها ثم أثبتت الدراسات أنها لاتينية مُعَرّبة. هذه الدراسة أجراها سيمونيت بدقة وأظهر فيها ثقافته الواسعة وبين أنه لا يكفى التشابه الصوتى بين كلمتين أو ظهور كلمة ما فى معاجم اللغة العربية لكى نعتبر الكلمة ذات أصل عربى. يقبل سيمونيت – مع ايغيلاث أى يانغواس(٢) – أن طول فترة الوجود العربى فى إسبانيا قد خلّف مئات الكلمات فى اللغة الإسبانية ، لكنه يقول إن التيار العكسى – أى تأثير الإسبانية فى اللغة العربية – أكبر. إن الكلمات التى استعملها العرب أو عرفوها تتعلق بشكل أساسى بالملابس، والأكلات، والأدوات المنزلية والزراعية، والتاريخ الطبيعى، والمواد الطبية والتقويم، والأدوات الموسيقية، والفنون والوظائف ونواحى الحياة اليومية. هذه الكلمات لا يستعملها الناس من باب الفضول ،

بل كألفاظ عادية شائعة تشكل جزءاً من اللغة العربية الأندلسية العامية ، ناتجة عن الحاجة لاستعمال الأشياء والوظائف المذكورة وهى أشياء لم تكن موجودة من قبل.

الفصل الرابع هو أهم الفصول وهو الذى أسهم فى تطور الدراسات اللغوية بعد ذلك ويخصصه سيمونيت لدراسة دور نصارى الأندلس فى تكوين اللغة المحلية فى إسبانيا المسيحية. إعجاب سيمونيت بنصارى الأندلس ليس له حدود، ويشعر – عند دراستهم – أنه يقف على أرض صلبة بما لديه من معارف لغوية واسعة. يدرس سيمونيت لغة نصارى الأندلس على أساس أنها أداة ربط لتكوين اللغة القشتالية، وقد أثبتت الدراسات الحديثة معظم النتائج التى توصل هو إليها فى هذا المجال.

وكدليل على تأثير نصارى الأندلس فى تكوين اللغة الإسبانية يسوق أمثلة من الشكل القشتالى للكلمات التى كان يستعملها نصارى الأندلس، ويذكر تاريخ ظهور اللغة القشتالية. يقول سيمونيت : إن أقدم نصوص اللغة القشتالية يرجع إلى القرن الثانى عشر أو أواخر الحادى عشر على أكثر تقدير "وهى فترة أدى فيها الاستيلاء على طليطلة وأويسكا وسرقسطة إلى انتقال عدد كبير من نصارى الأندلس إلى هذه الأقاليم". يضيف سيمونيت إنه من الطبيعى أن تكون هناك لغة إسبانية محلية لكنها ربما كانت " لغة غير ثابتة وفظة" لا ترتقع إلى مستوى اللغة الأدبية(٣) ، اعتباراً من هذا التاريخ سارت لغة القشتاليين بسرعة نحو التوسع والإتقان.

من لأدلة الأخرى التى يسوقها سيمونيت أيضاً الكلمات العربية الموجودة فى اللغة القشتالية. يعترف بأن اللغة القشتالية قد أثرتها اللغة العربية، لكنه يؤكد أن هذه الكلمات العربية قد دخلت إلى اللغة الإسبانية عن طريق نصارى الأندلس الذين ينسب إليهم التحول الذى حدث فى الكلمات اللاتينية والكلمات التى تختلط فيها العربية بالإسبانية. فى النهاية يقول سيمونيت إن الكلمات التى أُهملت على مدى قرون من السيطرة العربية كلمات قليلة. بالنسبة للنحو يقول : " إن ميلنا إلى اللغة العربية كواحدة من اللغات الأكثر ثراءً وكمالاً وفلسفية لا يكفى لكى ننسب إليها دور تحديد الصفة المميزة للغة الإسبانية" . التناقض هنا يبدو جلياً. كيف يستطيع شعب وُصف دائمًا بأنه همجى بلا ثقافة أن يتحدث لغة ثرية وفلسفية؟

فى الفصل الخامس يدرس سيمونيت مصادر اللغة الإسبانية ، ويصنفها إلى مصادر لاتينية ومصادر عربية ومصادر أندلسية ومصادر إسبانية، وفى الفصل السادس يدرس التغيرات الصوتية التى اعترت الكلمات اللاتينية التى كان يستعملها نصارى ومسلمو الأندلس، ويصنف هذه التغييرات، أما فى الفصل السابع والأخير فيكرر ما سبق أن قاله فى الفصول السابقة.

الجزء الثانى من الكتاب عبارة عن معجم تسبقه مقدمة يحدد فيها الطريقة التى استعملها فى كتابة الكلمات ويذكر فيها مراجع. قائمة الكلمات تتبع الترتيب الأبجدى كما هو طبيعى، ويذكر سيمونيت الكلمة باللهجة الأندلسية ثم باللهجة المغاربية ثم باللاتينية ثم بالإسبانية ثم بالإيطالية ثم بالجاليقية...إلخ ، ثم يذكر شكل الكلمة فى القواميس التى اطلع عليها.

هذه الدراسة تعتبر بحثاً عظيماً ودقيقاً ومنهجياً، لا يقلل من شأنها أن سيمونيت كان متعاطفاً مع نصارى الأندلس(٤) . إذا تركنا هذا التعاطف جانباً ووضعنا الدراسة فى مكانها الصحيح فإننا نقول إنها قدمت وتقدم خدمات جليلة للباحثين فى مجال اللغة الإسبانية فى عصرها الأول. هناك بعض الدراسات تفوقت عليها فى بعض المجالات ، أما من حيث مجموعها فليست هناك دراسة أفضل منها.

اعتباراً من نشر " معجم الألفاظ " فإن كل دراسات سيمونيت تُعد تكراراً لما سبق أن ردده أو عبارة عن أدلة يجمعها لإثبات نظرياته.

فى عام ١٨٩١ قرأ سيمونيت بحثًا فى المؤتمر الدولى التاسع للاستشراق والذى عُقد فى لندن حول " المرأة الأندلسية" والذى نُشر فيما بعد فى غرناطة(٥). إن وجهة نظر سيمونيت مهمة هنا لإثبات كيف أن فكرة مسبقة يمكن أن تتحكم فى طريقة النقد.

ما هى وجهة النظر التى يقدمها سيمونيت فى هذا البحث ؟ هى وجهة النظر التى دافع عنها دائماً وهى : " أن العرب كانوا همجيين وإذا كانوا قد قدموا شيئًا حضارياً فبفضل الإسبان" . يبدأ بحثه بالتعليق على آراء المستعربين – ومنهم أ.ف شاك ،

م.دوجات(٦) – القائلة بأن المرأة حصلت فى الأندلس على قدر من الحرية يفوق مثيلتها فى المشرق وأن المرأة الأندلسية عُرفت بنبوغها وثقافتها – . حينئذٍ يتساءل سيمونيت هل من الصواب أن نستخلص من تلك المعلومات التاريخية الواردة فى أشعار الأندلسيين أن الوضع المتميز للمرأة الأندلسية شيء طبيعى فى الثقافة العربية الإسلامية؟ ويجيب على هذا السؤال بالنفى. إن وضع المرأة الأندلسية لا يمكن أن يكون ناتجًا عن تعاليم الإسلام لأن الشريعة الإسلامية والحضارة التى تمثلها كانت تضطهد المرأة وتحولها إلى مخلوق لا يدرك أنه حر الاختيار ولا يتمتع بكرامة البشر.

يقول سيمونيت أيضًا : إن روح الفروسية المزعومة والتى تُنسب إلى العرب – رغم أنها كانت موجودة قبل محمد بفضل المسيحية – اختفت مع الإسلام الذى اختصر دور المرأة إلى مجرد الخدمة فى إطار الحريم. لقد كان تحسين وضع المرأة ناتجًا عن تأثير العنصر المسيحى الذى كانت تمثله المرأة الإسبانية بما لها من صفات ومواهب فرضتها فرضًا على المستعمرين الهمجيين، ويسوق أمثلة على نساء إسبانيات تزوجن من مسلمين، ويعترف بأن العديد منهن فعلن ذلك حبًا فى الترف ، ومع ذلك يقول إنهن ربين أولادهُن على الأخلاق المسيحية لأنهن لم يكن بمقدورهن تنصيرهم.

يقول سيمونيت أيضا إنه يمكن أن يؤكد – ولا يذكر دليلاً على ما يؤكده – أن النساء اللاتى برزن فى الأندلس لنبوغهن وتأثيرهن الاجتماعى كُن من أصل إسبانى وأن كثيرات منهن كنّ بنات لمسيحيين ورُبين على مبادئ الكاثوليكية. تعود إلى التراث المسيحى صفة التفانى العاطفى المليئة بالإيثار والنقاء الموجودة عند الشعراء الأندلسيين والتى تتعارض مع شعر المسلمين فى أماكن أخرى، والذى يتميز بالحسية والغلظة. إن الجهل بهذا الأمر هو جهلٌ بفلسفة التاريخ ونسيان أن الإنجيل هو الذى أعلى من شأن المرأة وجهلٌ بتاريخ العائلة الأوروبية وبتاريخ أدب الشعوب المسيحية. إن ما يُعجبنا فى العرب لا يعدو أن يكون شيئًا ظاهريًا خادعًا(٧) .

الشيء الغريب هو أن يجد سيمونيت فى مسرح القرن السابع عشر ذلك التناقض بين المرأة الإسبانية والمرأة المسلمة (يتساءل الإنسان: ما هو الشيء الذى يقارنه

سيمونيت هنا: المرأة الإسبانية فى القرن السابع عشر مع المرأة المسلمة فى نفس العصر أم المرأة العربية المسلمة بالمرأة المسيحية ؟) الدليل الذى يستشهد به هنا هو مشهد من مسرحية لوبى دى بيغا " الفضيلة والفقر والمرأة" والذى تدور أحداثه فى أفريقيا والذى يتحدث فيه على مع كارلوس الإسبانى:

على : أعتقد أن الحب يخدعك.
فى إسبانيا حيث الحرية
يستحيل أن تتواجد معًا
الفضيلة والفقر والمرأة

كارلوس : النساء العفيفات هنا
– أيها القائد –
عفيفات بالقوة.
فى إسبانيا العفيفات شريفات
من تلقاء أنفسهن مع أنهنّ جميلات.

على : إننا هنا مع كل هذا الحياء
لانكاد نستطيع العيش .

كارلوس : هناك توجد نسوة جميلات
ومع وجود الحرية
تمتلئ المدينة
بمن هن قدوة فى الشرف(٨) (*)

(*) من الغريب أن يبنى حكمًا ما عن العرب استنادا إلى مسرحية كتبها مؤلف معاد للمسلمين (المترجم) .

النتيجة التى يخلص إليها سيمونيت هى أن المرأة الإسبانية - سواء كانت مسيحية أم أسلمت - قد ساهمت بدور فعال فى حضارة الأندلسيين حيث عُرف عنها الذكاء وبرعت فى الأدب. هذا الوضع لم يدم حتى أواخر الحكم الإسلامى فانحط قدر المرأة وأفسدت بسبب التأثير الإسلامى(!) واكتفت المرأة بمحاولة جذب اهتمام الرجل عن طريق جمالها الحسى. يلخص سيمونيت الموضوع بقوله: " هكذا كان وضع المرأة المسلمة الأندلسية. هكذا كان قدرها فى الزمن الأول ثم انحطاطها وسوقيتها مع غروب شمس العرب ، الذين يُعجب بهم البعض دون سبب والذين يحتفى بهم كثير من الكتاب المعاصرين" (٩)

الكتاب الموجز لكل دراسات سيمونيت والذى خصص له كل جهده ولم يره فى حياته منشوراً هو كتاب " تاريخ النصارى"(١٠) ، ورغم أنه يقول إنه لا يسعى إلى قول الكلمة الأخيرة فى الموضوع بل إلى تقديم معلومات جديدة ، إلا أن سيمونيت فى الحقيقة أراد أن يقدم دليلاً على " عظمة وبطولة ومسيحية الإسبان الخاضعين تحت السيطرة الإسلامية"(١١) . كنا قد ذكرنا أن سيمونيت معجبٌ بهذه الفكرة وأنه استخدم كل السُبل والحجج لتأصيلها . هذا الكتاب يجمع وينظم ويناقش كل المعلومات ويقدم رؤية شاملة لحياة نصارى الأندلس منذ بداية الغزو العربى وحتى نهاية وضعهم كنصارى يقيمون فى ممالك إسلامية فى القرن الرابع عشر.

كان الموضوع جديداً تماماً ، فبرغم أن المؤرخين القدماء كتبوا بعض الأخبار عن نصارى الأندلس إلا أن هذه الأخبار جاءت بشكل عارض وكانت تتحدث عن المسيحيين المستقلين. سبب عدم اهتمام الباحثين بالحديث عن نصارى الأندلس ينسبه سيمونيت إلى قلة الوثائق الضرورية. يفترض سيمونيت أن نصارى الأندلس كتبوا تاريخهم باللاتينية أو بالعربية إلا أنه "لم يصلنا أى كتاب فى التاريخ، أما أدبهم فلا يشكل إلا مادة صغيرة لنقاد هذا العصر" (١٢) . لكن هذه الكتب أخفاها المتعصبون المسلمون دون شك ، أو أضاعها مسيحيون جهلاء خلطوا بينها وبين الكتب العربية. الأخبار القليلة التى وصلتنا عن نصارى الأندلس وُجدت فى كتب متفرقة لمؤلفين مسلمين، وبعض هذه الأخبار اختفت أيضاً ولا نكاد نعرف عنها شيئاً.

حاول سيمونيت أن يُعد دراسة كاملة عن الموضوع فاعتمد على الكتب الحديثة التى نُشرت حتى عصره واطلع على كتب الأخبار اللاتينية ووثائق القديسين ومخطوطات المكتبات العامة والخاصة التى استطاع الحصول عليها، وقد مكنته معارفه اللغوية من الاطلاع على الكتب العربية مباشرةً لكى يكمل المعلومات التى لم يجدها فى الوثائق المسيحية المنشورة وغير المنشورة.

يعرض سيمونيت فى مقدمة الكتاب نفس الحجج والأدلة التى كان قد ذكرها فى " المعجم " ، ولهذا فلا داعى لأن نتعرض لها الآن. إنه لا يفعل سوى تغيير الكلمات، لكنه يعرض نفس الأمثلة ويذكر نفس الأسماء ، ربما لأنه لم تكن لديه أمثلة وأسماء أخرى. يتوقف سيمونيت – أحيانًا – لكى يُعدل نقطة لم يوضحها فى كتاباته السابقة، مثل مسألة خضوع المسيحيين للغزاة. يقول سيمونيت: لا يمكن أن ننسب إلى كل المسيحيين الخطأ الذى ارتكبه البعض ممن سلّموا بلدهم للكفار بدافع من الجشع والتطلع إلى المناصب، ولا يجب أن ننسى أن نصارى الأندلس – فى أحيانٍ كثيرة – ساهموا ببطولاتهم ومساعداتهم فى تحقيق الانتصار على المسلمين.

هناك نقطة أخرى يرددها سيمونيت وتدل على كيفية تناوله لحجة ما واستخدامها فى اتجاه ما أو اتجاه آخر وفقًا لما يريد إثباته. هذه النقطة هى الزواج المختلط. رأينا سابقًا فى دراسته عن وضع المرأة الأندلسية أنه يقول إن الزواج المختلط كان شائعًا جدًا وأنه بدأ مع ايخيلونا زوجة رودريغو. الآن يقول إن حالات الزواج المختلط كانت نادرة ويقول إن نصارى الأندلس احتفظوا بدمائهم نقية كما تدل على ذلك الامتيازات التى حصلوا عليها من الملوك فيما بعد. يقول سيمونيت: إذا كانت هذه الزيجات قد تمت – رغم حظرها– فإنها لم تضر العقيدة المسيحية لأن الإسلام يقول إن الإبن المولود لمسلم ومسيحية يجب أن يكون مسلمًا "، وبالتالى فقد سلم نصارى الأندلس من الدخـــلاء ".[(١٣)] ، وهو منطق عجيب، فبالإضافة إلى أنه هو نفسه يبطله فى كلامه السابق فإنه يدحض نظريته. أولاً : كانت الزيجات بين المسلمين والمسيحيات أكثر مما يقول الآن، وكان هو نفسه قد قال إن هذه الزيجات قد أسهمت فى تهذيب همجية

الغـزاة. ثانيًـا : أسـهم الأبناء الناتجين عن هذه الزيجـات فى نشـر الدين وزيـادة عـدد السكان المسلمين مقارنة بالنصارى.

ينقسم الكتاب إلى خمسة أجزاء :

١ – من الغزو حتى آخر الولاة الذين حكموا إسبانيا، أى منذ عـام ٧١١ حتى عام ٧٥٦ ، وهى فترة كانت السلطة الإسلامية فيها ضعيفة ، وكانت تحاول التلطف مع المسيحيين لجذبهم إليها.

٢ – منذ عبد الرحمن الأول وحتى محمد الأول أى منذ عـام ٧٥٦ حتى عـام ٨٧٠ : وهى فترة توطد فيها الحكم الإسلامى واصطدم فيها بالحقوق المدنية والدينية للنصارى الذين احتجوا على الاستبداد والاضطهاد.

٣ – منذ عهد محمد الأول إلى عهد عبد الرحمن الثالث أى من عـام ٨٧٠ إلى عام ٩٣٢ ، وهى فترة تحولت فيها احتجاجات الإسبان – نصارى ومولدين – إلى عداوة وحروب وضعت الحكم العربى على حافة الهاوية.

٤ – منذ حصار طليطلة على يد عبد الرحمن الثالث حتى سقوطها فى يد ألفونسو السادس – أى من عام ٩٣٢ إلى عام ١٠٨٥ – وهى فترة حصل فيها نصارى الأندلس على حريتهم على يد الأمراء المسيحيين فى الشمال.

٥ – منذ استيلاء المرابطين على أندلوثيا وحتى أواخر سنوات السيطرة الإسلامية – أى من عـام ١١١٠ إلى عـام ١٤٩٢ – وتتميز هذه الفترة باضطهاد النصارى نظراً لتعصب الأفارقة وهمجيتهم.

بالإضافة إلى هذه الأجزاء الخمسة هناك سبعة عشر ملحقًا تتضمن نصوصًا ونقوشًا، كما يتضمن الكتاب أربعة فهارس: فهرس المراجع، وفهرس أبجدى لأسماء الأعلام ، وفهرس أبجدى لأسماء الأماكن ، وفهرس أبجدى للموضوعات.

لم نعلق هنا على بعض المقالات الصغيرة التى نشرها سيمونيت هنا وهناك لأن هذه المقالات ليست إلا تكراراً للموضوعات التى تحدثنا عنها بإسهاب فى الكتب التى

أشرنا إليها[١٤] ، وهناك فى جامعة غرناطة توجد أوراق ومجموعة ملاحظات لم تُنشر بعـــد [١٥] ، وربما يكون من المهم نشرها. ومع ذلك فأنا أعتقد أنها لو نُشرت فلن تضيف شيئًا جديداً إلى ما ذكر.

كان سيمونيت - بلا شك - أكثر الباحثين صبراً بين بنى جيله. قام بدراسات قيمة وجادة رغم فكرته الخاصة جداً والقائلة بأن العرب وصلوا إلى إسبانيا همجيين وخرجوا منها همجيين وأن العلماء والأدباء والفنانين الذين يظن الناس أنهم عرب كانوا فى الواقع نصارى من أصل إسبانى.

إذا كانت دراسات سيمونيت التاريخية قد نُشر ما هو أفضل منها حديثًا فإن معجمه لا يزال يمثل معينًا لا ينضب لمن يريد دراسة اللغة الإسبانية فى عصورها الأولى.

الهوامش

(1) F.J. Simonet, Glosario de voces ibéricas y latinas usadas entre los mozárabes, Madrid,1888

(2) LEOPODO EGUFLAZ Y YANGUAS, Glosario etimológico de palabras españolas de origen oriental, Granada, 1886

(3)F.J. Simonet, Glosario de voces ibéricas..., p. CXII.

(٤) هذا ليس حكراً على سيمونيت ولا على زمنه. هناك مؤلفون آخرون شغفوا بهذه النظرية قبله وبعده. كنموذج حالي نذكر الجدل الدائر بين أميريكو كاسترو وسانشيث البورنوث حول الواقع التاريخي لإسبانيا.

(5) F.J. Simonet, Memoria presentada al IX congreso internacional de orientalistas celebrado en Londres en sept. de 1891 ,Tema: "La mujer arábigo-española", Granada, s.a.

(6) A. FEDERICO SCHACK, Poesía y arte de los árabes de España y Sicilia, trad. de don JAUN VALERA, Madrid, 1867 - 71 .Al-Maqqari, trad. De M. DUGAT, Leiden, 1855 .

(7) SIMONET, La mujer arábigo-española, p. 48 .

(8) LOPE DE VEGA Y CARPIO, Virtud, pobreza y mujer, acto III, escena XII, Comedias escogidas, Biblioteca de Autores Españoles, t. 52 .

(9) SIMONET, La mujer arábigo-española, p. 52 .

(10) F.J. Simonet, Historia de los mozárabes, en "Memorias de la Academia de la Historia", XIII, 1897 .

(11) SIMONET, Obr. Cit., p. VII.

(12) SIMONET, Obr. Cit., p. XXIII.

(13) SIMONET, Obr. Cit., p. XXXVI.

(١٤) من بين هذه المقالات :

Recuerdos históricos y poéticos de Toledo, en "Crónica de ambos mundos", Madrid, .1860; Descripción de la ciudad de Granada según los autores árabes, Granada, 1862 ; El siglo de oro de la literatura arábigo-española, tesis doctoral, Granada, 1876 ; Filología arábigo hispana, en "Revista de la Universidad de Madrid",1874 ; concilio III de Toledo, Madrid, 1981 ; Influencia del elemento indígena en la cultura de los moros, Málaga, 1884 ; Cuadros históricos y descriptivos de Granada, Madrid, 1896 .

(١٥) مقالات متعددة نشرت فى " إل سيجلو فوتورو" وأوراق أخرى خاصة به موجودة فى مكتبة غرناطة، الوثائق، صندوق رقم ٧٧ . C

صغار المستعربين وإسهاماتهم

فى هذه الفصول الأخيرة نتحدث عمن يمكن تسميتهم بصغار المستعربين لأن أعمالهم لم تصل إلى مستوى أعمال سابقيهم ، لا من حيث الأهمية ولا من حيث حجمها. وجّه كل المستعربين الصغار اهتمامهم إلى أنشطة متعددة ، وهذا ما أدى إلى عدم تكريس جهودهم للدراسات العربية وإلى عدم تعمق دراساتهم.

اهتم هؤلاء المستعربون الصغار بمجال الدراسات العربية نظراً لغرابة الموضوع ولشاعرية المادة ولسعة هذا المجال، لهذا نلمح فى أعمالهم مزيجًا من البحث العلمى والخيال ، وهو ما رأيناه فى بعض المستعربين الكبار بدرجات متفاوتة. كل هؤلاء المستعربين أضافوا شيئًا هامًا ، وأسهموا كأساتذتهم فى تطور الدراسات العربية فى إسبانيا.

خوان مورينو نييتو:

وُلد فى محافظة بداخوث فى عام ١٨٢٥ ، ودرس القانون فى طليطلة. يقول من تحدثوا عن سيرته الذاتية[١] إن إعجابه بالآثار العربية الموجودة فى طليطلة حفزه على تعلم اللغة العربية دون أن يترك دراسة الحقوق. كان نييتو على ما يبدو دارسا عظيما للغات، فقد تعلم منذ شبابه اللاتينية، والعربية، والفرنسية ، والإنجليزية ، والإيطالية ، والبرتغالية ، والسريانية ، واليونانية ، والروسية. كان قوى الذاكرة لدرجة أنه كان يحفظ أى شىء يقرأه مرة واحدة مهما كان حجم النص.

انتقل نييتو من طليطلة إلى مدريد ومنها إلى غرناطة حيث كُلّف بتدريس مادة اللغة العربية ، لكن هوايته الكبرى كانت السياسة فكرس لها جهده ، وظهر ذلك فى

إنتاجه الأدبي والبحثي. تدور معظم أبحاث نييتو حول الدراسات العربية رغم أن جزءاً كبيراً من دراساته لا يزال مجهولاً لأنه لم يُنشر أو لأنه فُقد.

في عام ١٨٥٦ ألقى نييتو في نادي مدريد الثقافي عدة محاضرات عن الفلسفة والآداب العربية ولم تُنشر هذه المحاضرات. في عام ١٨٥٤ أُختير عضواً بأكاديمية التاريخ، وبهذه المناسبة ألقى خطاباً عن " التاريخ الأندلسي" (٢) بدأ خطابه بالحديث عن تاريخ الشرق قبل وبعد محمد ، ثم انتقل إلى السنوات الأولى للغزو العربي لإسبانيا، وقال : إن هناك ما يُشير إلى وجود تاريخ مكتوب عن هذه الفترة. كان هذا التاريخ في البداية عبارة عن روايات شفوية متفرقة وغير منظمة ثم تحول إلى رواية متقنة ومكتوبة في السنوات الأولى لحكم بني أمية بعد أن أدى تشابك الأحداث واختلاف البيانات إلى صعوبة حفظها شفوياً.

بقية خطاب نييتو عبارة عن دراسة نقدية للمؤرخين العرب المعروفين حتى ذلك الحين ولبعض المؤرخين الذين لم تصلنا أعمالهم لكنهم مذكورون في كتب الآخرين. يشمل هذا العرض الفترة التي تبدأ مع السنوات الأولى للغزو العربي وتنتهي مع آخر مؤرخي مملكة غرناطة. يتحدث أيضاً عن جغرافيين وعن مؤلفي كتب السيرة الذاتية التي كان العرب مولعين بها.

الخطاب دراسة هامة وجيدة رغم أن المعلومات الجديدة التي يضيفها قليلة ، وتكمن قيمة هذه الدراسة في أنها تجمع وتنظم سلسلة أخبار متفرقة. ربما كان أحدث شيء يرد في الخطاب هو الملحق الذي يكمله والذي تُعرض فيه قائمة مراجع كاملة عن المؤرخين المسلمين المولودين في إسبانيا ، ويُشير إلى أسمائهم وتواريخ وفاتهم والمؤلفات التي كتبوها والكتب التي يمكن الرجوع إليها لمزيد من المعلومات عنهم.

كلفته كلية الآداب والفلسفة بجامعة مدريد بإعداد كتاب في قواعد اللغة العربية للطلاب. تحدثنا سابقًا عن حاجة الجامعات إلى كتب مدرسية بالإسبانية في قواعد اللغة العربية. كان أكثر الكتب استعمالاً حينذاك هو كتاب فرانثيسكو كانيس(٣) – وهو كتاب قديم ليست له قيمة علمية – وكتاب كاسباري في ترجمته التي قام بها إتكييل

اوريكوتشيا[٤] ، وكان أمادور دى لوس ريوس عميد الكلية مدركًا للحاجة إلى كتاب فى النحو فاقترح على الحكومة أن تكلف شخصًا متمكنًا بإعداد الكتاب ، وقد وقع الاختيار على نييتو بناء على تزكية باسكوال دى غايانغوس. انتهى نييتو من إعداد الكتاب فى عام ١٨٦٣ رغم أنه لم يطبع حتى عام ١٨٧٢ .[٥]

أخذ نييتو المادة العلمية اللازمة لإعداد الكتاب من مؤلفات سيلفسترى دى ساس ومستشرقين أوربيين آخرين مثل إيوالد وغرسينيوس. من حيث كتابة الأسماء – وهى أعقد المشاكل فى هذا النوع من الكتب – ارتكب نييتو نفس أخطاء زملائه: ابتكر نظامًا جديداً بناه على أساس النظم التى كان معمولاً بها. كان نييتو يرى أن النظام الجديد يساعد على نطق الحروف بشكل أفضل، إلا أن ذلك النظام الجديد أدى إلى زيادة البلبلة.

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أجزاء أهمها الجزء الثالث الخاص بالنحو. تسبق الكتاب مقدمة يُدرس فيها أصل اللغة العربية وتطورها. الكتاب لا يتضمن تدريبات نحوية ولا نصوصًا للترجمة، ورغم أننى لا أعتقد أنه يمكن أن يُقارن بكتب كاسبارى أو ويليام رايت أو أن يحل محلهما إلا أنه ملأ فراغًا وكان مرجعًا على مدى سنوات كثيرة.

ليس لدينا شيء آخر لنييتو فى مجال الدراسات العربية. وعلى حد قول معاصريه، لو أنه كرس جهوده لهذه الدراسات لكان منافسًا لدوزى وغيره من المستشرقين الأوربيين ومتفوقًا عليهم. كانت ثقافته الواسعة ومعارفه العميقة وصفاء عقله تتنبئ بذلك ، ونظراً لأننا لم يصلنا عنه إلا القليل فلا أظن أننا يجب أن نقبل هذا التأكيد دون تحفظ. جرفته السياسة ولم تترك له وقتًا للراحة ولا حتى لتنظيم الأوراق الكثيرة التى كتبها والتى ضاعت بعد وفاته.

إميليو لا فوينتى ألكانترا:

لا نعرف الشيء الكثير عن حياة هذا المستعرب. نعرف أنه كان من ملقة وكان صديقًا وتلميذًا لسيرافين كالديرون، وكان عضواً بأكاديمية التاريخ، ومديراً لمكتبة سان إيسيدرو.

كان أيميلو وأخوه ميغيل من نوى الاتجاهات الرومانسية. شعرا بميل إلى الدراسات العربية كنتيجة لمطالعتهما لمؤلفات والتراسكوت وواشنطن ايرفنج. بعد ذلك دفعهما إلى هذا الاتجاه حماس سيرافين كالديرون منقطع النظير؛ إذ كان سيرافين يعتقد أن إيميلو " أديب عظيم" (٦) .

لم يكرس إيميلو جهوده للدراسات العربية فقط بل وجّه جل اهتمامه لكتابة "مجموعة الأغنيات الشعبية" ، وهو اهتمام يندرج فى إطار الروح الشعبية الرومانسية التى ظهرت عام ١٨٦٥ .

كان إيميليو حريصًا ودقيقًا من حيث المضمون ، أما من حيث الشكل فكان رومانسيًا وأديبًا. هكذا كان كتابه الأول الذى نشره فى مجال الدراسات العربية عن " النقوش العربية فى غرناطة"(٧) . تحدثنا فيما سبق عن ترجمات نقوش قصر الحمراء منذ الفونسو ديل كاستيو وحتى غايانغوس، وذلك فى معرض الحديث عن كتاب " خطط وبناء وأقسام وتفصيلات قصر الحمراء" (٨) . هذان المؤلفان هما اللذان تعاملا مع النقوش بأكبر قدر من الجدية، وتعرضا لها لأسباب متباينة: أسباب عنصرية عند الأول وأسباب علمية عند الثانى.

كان إيميليو لافونتينى يحركه التعاطف مع الشعب البائد والقدر الذى طارد الشعب المهزوم ولغته وآثاره الأدبية والفنية. اختفت كتب عربية كثيرة على يد جهلاء ومتعصبين بينما الآثار

" كانت تنحنى أمام نوائب الدهر أو يد التدمير الجاهلة دون أن يوجد من يبحث وسط الأطلال عن آثار حضارة من شيدوا تلك الأطلال، لكن هذه البقايا (المتآكلة) كانت واضحة الدلالة أمام الشعراء والفنانين الذين درسوا هذه الأعمال الفنية الدقيقة التى تدل على الذوق الراقى لمن أنجزوها فأعادوا فى أذهانهم تركيب فترات الوجود المتناثرة واستحضروا ذكرى سكانها من بين غياهب الماضى. تخيلوا القصر الرائع بجدرانه المذهبة، بأجنحته الرشيقة وغرفه المثيرة ، تغطى أرضيتها السجاجيد، وهو قصر

الملوك أصحاب الهوى ، ومسرح الحفلات البهيجة وحبائل العشق والاحتفالات المهيبة والأحداث المأساوية " . (٩)

رغم هذه المقدمة الرومانسية فإن إيميليو لافوينتي يدخل فى موضوعه بجدية وتركيز. ورغم أن ترجمات غايانغوس دقيقة إلا أنها ناقصة لأن المعماريين الذين طبعوا النقوش ظنوا أن أهميتها ثانوية ولم يهتموا بطباعتها كاملة.

أعاد إيميلو دراستها وأدخل فيها ما لم يتمكن غايانغوس من رؤيته، وأضاف إليها نقوش المقابر ونقوش جنة العريف ونقوش باب الفحم، بل " وتلك النقوش التى كانت موجودة فى غرناطة ثم اختفت". يتحدث إيميليو عن العبارة المنقوشة والمكان الموجودة فيه أو التى كانت موجودة فيه ثم يترجمها إلى الإسبانية مع تقديم ملاحظات يشرح فيها الفقرات الغامضة ، ويصحح الأخطاء الواردة فى الترجمات السابقة ، ويعقد مقارنة بين كل الترجمات السابقة.

يتحدث عن الأشياء المفقودة فيقول فى نبرة رومانسية تُبجِّل ما هو جميل فى الوطن : "الأشياء الجميلة القديمة دُمر منها الكثير فى إسبانيا ، لكن الجزء الأعظم اختفى: الإبريق الثانى – الإبريق الأول كان يقوم هو بدراسته – ربما كان يزين الآن حجرة أحد الإنجليز المغرمين بآثارنا" (١٠)

هذا الأسلوب الرومانسى العاطفى يختفى شيئًا فشيئًا ويحل محله اهتمام حقيقى وعلمى بقضايا الدراسات العربية، القديمة منها والمعاصرة. وفى عام ١٨٥٩ أُرسل إيميليو إلى المغرب – التى كانت تخوض حربًا ضد إسبانيا – لكى يقوم بدراسة سلسلة مخطوطات عربية حصلت عليها الحكومة أو كانت تفكر فى الحصول عليها . وفى عام ١٨٦١ كتب القائمة يسبقها تقرير عن المغرب وقد نُشر العمل فى العام التالى. (١١)

فى هذا التقرير يوجز إيميليو لافوينتى الأشياء الهامة التى رآها أو التى استخلصها من ملاحظاته عن البلد بدءًا من مدينة سبته وانتهاء بتطوان والقرى القريبة منها . يتحدث عن الفن والعمارة والموسيقى والتجارة وعن الحالة الاقتصادية والاجتماعية لهذا الجزء من المغرب، وعن الآمال التى يراها متعدمة. كما يتحدث أيضًا عن الأدب فيأسف لحالة الركود التى ميزت تلك الفترة.

تم شراء ٢٣٣ مخطوطة عن موضوعات متفرقة ، وكان معظمها نُسخًا لكتب معروفة حملها الموريسكيون إلى هناك عند طردهم ، وكان بعض هذه النسخ مصدره المكتبات الخاصة. لم تكتشف في المغرب مخطوطة ذات أهمية خاصة ، لكن إيميليو لافوينتى يعتقد أن المخطوطات التى اشترتها الحكومة مفيدة لدراسة اللغة والعادات والتاريخ والتنظيمات العربية القديمة والحديثة. يصنف لافوينتى القائمة إلى موضوعات. ويقدم وصفًا لكل كتاب موضحًا العنوان والتاريخ وشكل الحروف وحالة المخطوطة. يحاول لافوينتى أحيانًا تحديد الكتاب بالاستعانة بقائمة الكتب الأندلسية المودعة فى الاسكوريال والتى أعدها ميخائيل الغزيرى.

كُلف لافوينتى بإعداد خطاب الرد على خطاب خوسيه مورينو نييتو لدى استقباله فى أكاديمية التاريخ. كان لافوينتى قد اختير عضواً فى أكاديمية التاريخ قبله بعام، وبهذه المناسبة ألقى خطابًا بعنوان " سيطرة الأجناس الأفريقية على إسبانيا" ، يقصد المرابطين والموحدين وبنى مرين ، واعتمد لافوينتى فى خطابه على المصادر العربية إلا أنه لم يضف شيئًا ذا أهمية خاصة[١٢] . وقد كُلف كانوباس ديل كاستيو بالرد على خطابه فتحدث عن نفس الموضوع معتمداً على المصادر المسيحية، وكان خطاب الرد الذى كتبه لافوينتى رداً على خطاب مورينو نييتو أكثر أهمية[١٣] : لأنه قدم فيه وصفًا للدراسات العربية فى إسبانيا منذ عصر رودريغو خيمينيث دى رادا وحتى عصره هو ، وموقف الإسبان إزاء هذه الدراسات وإزاء العرب.

يقول لافوينتى : إن عصر النهضة يتحمل القدر الأكبر من المسئولية عن إهمال واحتقار الأدب العربى إذ أن عصر النهضة اتخذ خطًا جديداً ووجه الاهتمام نحو الآثار اليونانية القديمة، ولما كان هناك العديد من النماذج التى يُحتذى بها " فلم تكن هناك فرصة للالتفات إلى الآداب العربية ولا إلى تاريخ العرب الأندلسيين الذين لم يهتم أحد بآثارهم فى شبه الجزيرة والذين يمثلون أذواقًا واتجاهات تختلف عن الأذواق والاتجاهات السائدة فى عصر النهضة ". [١٤] ينتقل بسرعة إلى القرون التالية ويعترف بأن السنوات الأخيرة للقرن الثامن عشر شهدت نهضة على يد الغزيرى وتلاميذه ويذكر – كنموذج لذلك – كتاب " تاريخ السيطرة العربية" الذى ألفه كوندى. والجزء

الأخير من خطاب لافوينتى عبارة عن دفاع عن أعمال كوندى. يقول لافوينتى : إن النقاط الإيجابية فى أعمال كوندى تفوق النقاط السلبية، خاصة إذا وضعنا فى الاعتبار تلك الظروف التى قام بعمله خلالها.

بدأت أكاديمية التاريخ فى نشر أعمال عربية خاصة بالتاريخ والجغرافيا ، وكان الكتاب الأول من أعمال لافوينتى الذى ترجم وحقق كتاب " أخبار مجموعة" الذى نُشر عام ١٨٦٧ . (١٥)

ترجم الكتاب عن مخطوطة نسخها غايانغوس وقارنها دوزى بمخطوطة أخرى كانت لديه. الترجمة أمينة وحرفية ، وقد حدد إميليو لافوينتى هنا طريقة كتابه الأسماء التى سارت عليها فيما بعد لجنة الأعمال العربية ؛ فانتهت بذلك المشاكل التى كانت ناجمة عن تعدد طرق الكتابة، وقد استعان لافوينتى بنصائح كل من غايانغوس ودوزى واسترشد بهما.

الكتاب الأخير الذى نشره اميليو لافوينتى فى مجال الدراسات العربية هو "بعض أحداث الفترة الأخيرة لملكة غرناطة". (١٦) الكتاب عبارة عن جمع لعدة روايات ووثائق متعلقة بتلك الفترة التى كان اميليو يشعر نحوها بميل خاص " نظراً لأهميتها ولعظمة الشخصيات التى اشتركت فى أحداثها... ، ونظراً لشاعرية شكلها فى المخيلة". (١٧) ويعتمد الكتاب على رواية ايرناندو دى بايثا مترجم الملك أبى عبدالله وشاهد العيان على معظم الأحداث التى يرويها، ثم على " وصف لمعركة اللسانه وأسر الملك" ، لكاتب مجهول الاسم عن مخطوطة مودعة فى أكاديمية التاريخ.

ملحق الكتاب عبارة عن سلسلة من الوثائق المتعلقة بمبارزة بين كل من الأمير الفونسو دى أغيلار والسيد دييغو فيرنانديث دى كوردوبا ، وتكمن أهمية هذه الوثائق فى أنها تبين عدم الوفاق داخل طبقة النبلاء عندما تولى الملكان الكاثوليكيان السلطة ، كما تبين علاقة المسيحيين بالعرب إذ أن ملك غرناطة المسلم قد خصص مكاناً فى مملكته لإجراء المبارزة، وتشكل رسالة ملك غرناطة الوثيقة العربية الوحيدة فى الكتاب، ويقدم لافوينتى ترجمة لها، أما بقية الوثائق فهى بالإسبانية(١٨).

ميغيل لافوينتي الكانترا:

رغم أن ميغيل لم يدرس العربية قط إلا أننا يجب أن ندرج اسمه هنا لأنه اهتم بالدراسات العربية وإن كان لم يأخذ مصادره عن العربية مباشرة، وقد دخل ميغيل ميدان الاستعراب بعد أن شعر بميل رومانسي نحو العرب.

ويحاول كتابه " تاريخ غرناطة"(١٩) أن يكون رد فعل مضاد للرومانسية في التاريخ وضد الرغبة في إبراز ما هو غريب فقط، وفي الحقيقة لم يفعل ميغيل سوى السير على نفس الخطى. يقول في المقدمة:

" إن واشنطن ايرفنج قد مدح الشعر والحقيقة حين وضع كتابه ، لكنه اقتصر على الفترة الرومانسية الخاصة باستيلاء الملكين الكاثوليكيين على غرناطة... ، إن الكثيرين – عندما يقرءون عنوان الكتاب – يتمنون لو أن المؤلف وصف قصر العرب وحكى مغامرات ابن الأحمر ومآثر أوثمين وبطولات ملوك قشتالة والفرسان الذين ساروا تحت لواء الصليب وحققوا بالاستيلاء على غرناطة مجداً وثروة، لكن يجب أن نضع في الاعتبار أن قوانين التاريخ وضمير الكاتب لا يسمحان بالصمت أو بالمرور مر الكرام على الأحداث الهامة والتي ترتبط بتاريخ إسبانيا والتي لو حُذفت فلن يكون التاريخ كاملاً ولكان المؤلف لم يبذل الجهد الكافي. إن المؤلف هنا لابد له من أن يتغلب على ميله الطبيعي إذا أراد ألا يدخل في تاريخ العرب الجذاب"(٢٠)

رغم هذا التأكيد إلا أن الحقيقة أن كتابه – الذي يتضمن أربعة مجلدات – يخصص مجلدين ونصف المجلد " لتاريخ العرب الرومانسي" ، ويمر مر الكرام على الأزمنة القديمة والحديثة. أسلوب ميغيل _مثل أسلوب أخيه إيميليو – بلاغي حافل بالصور الرومانسية. يحب الوصف الشعري والعبارات المؤثرة ، فعندما يتحدث عن الهمجيين – مثلاً – يقول : " إن تخريبهم كان كريح الشمال التي تسرق من الأشجار نضارتها وتثلج النباتات وتقطع أزهار الخريف"(٢١) ، وعندما يصف البدوي في الصحراء يقول : " إنه فارس متجمد على ظهر فرسه الملجم، يجعل عدوه يلحس التراب

بضربة واحدة، هو ذلك الشجاع الذى يتخضب رمحه بالدم فى معركة مشهودة ويحظى باحترام القبيلة كلها" (٢٢).

كانت مصادر ميغيل – كما ذكرنا – غير مباشرة، فهو يعتمد بصفة أساسية على "المكتبة العربية الإسبانية" لميخائيل الغزيرى ، وعلى " تاريخ السلالات المحمدية" لغايانغوس، وعلى " تاريخ السيطرة العربية" لكوندى.

من الواضح – إذن – أن أعماله لها قيمة وثائقية لكنها ليست علمية، فهو يفتقر إلى الوسائل التى تمكنه من النقد البناء، وهو قد تقبّل – دون فحص – كل المعلومات التى قرأها فى الكتب المذكورة.

كان خطابه لدى التحاقه بأكاديمية التاريخ فى عام ١٨٤٧ يتعلق بالموضوع، وكان عنوانه " وضع بعض الأجناس الإسبانية ، خاصة النصارى، وثوراتهم فى العصور الوسطى". يرى ميغيل المشكلة من وجهة نظر المسيحيين، ويعتمد على مصادر مسيحية(٢٣).

ليوبولدو ايغيلاث اى يانغواس:

كان أستاذا للغة العربية وعميداً لكلية الآداب والفلسفة بجامعة غرناطة، وهو ينتمى إلى مجموعة المستعربين الذين كرسوا كل جهودهم للدراسات العربية. كان صديقًا لسيمونيت، وكانت بينهما نقاط التقاء كثيرة من حيث التشدد، لكن ايغيلاث لم يصل إلى درجة تعصب سيمونيت. كتب ايغيلاث كذلك مؤلفات إبداعية، لكنه لم يلبث أن عاد إلى مجال البحث الذى كان يشعر فيه أنه فى مكانه الطبيعى.

كانت رسالة الدكتوراه التى تقدم بها إلى جامعة مدريد فى عام ١٨٦٤ تعالج موضوع " الشعر التاريخى والغنائى والوصفى عند الأندلسيين"(٢٤) . لم أستطع الاطلاع على هذه الرسالة، لكن كونه لم يعد إلى كتابة شىء عن الشعر العربى يدعونا إلى الاعتقاد بأنه ترك مجال الأدب العربى واتجه إلى موضوعات تاريخية ولغوية.

في عـام ١٨٦٦ ألقى خطاب افتتاح جامعة غرناطة [٢٥]، والخطـاب الذى ألـقاه لا يتعلق مباشرة بمجال الاستعراب لكنه يدافع فيه عن الكاثوليكية فى مواجهة العقلانية، ويهاجم نظريات هيجيل الجمالية مستنداً إلى أمثلة من الآداب الشرقية والغربية.

أشرنا فيما سبق إلى الفوضى التى عمّت القرن التاسع عشر فيما يتعلق بطرق كتابة الأسماء العربية بالإسبانية. أحيانًا كان نفس المؤلف يكتب اسمًا ما بطريقتين مختلفتين. وقد أدت محاولات المستعربين لتوحيد طريقة كتابة الأسماء إلى مزيد من الفوضى، فكان بعضهم يعتمد على اللغة العربية المستعملة فى المغرب والبعض الآخر يعتمد على العربية المستعملة فى سوريا أو مصر. وفى عام ١٨٦١ نُشرت فى مدريد رسالة مجهولة المؤلف بعنوان "المبادئ الأساسية للكتابة ونموذج للقراءة[٢٦] " فيها عرض للأبجدية العربية ومقابلها الإسبانى وتتضمن معلومات قيمة عن أصوات اللغتين.

أشرنا أيضًا إلى اللجنة التى شكلتها أكاديمية التاريخ بمناسبة نشر كتاب "أخبار مجموعة" لدراسة مشكلة كتابة الأسماء. وبسبب أن النظام المتبع لم يكن مرضياً أو بسبب النزعة الفردية استمر كل مستعرب فى اتباع طريقته الخاصة فى كتابة الأسماء.

اقترح ايغيلاث – فى كتابه "دراسة حول قيمة الآداب العربية"[٢٧] – اقترح نظامًا آخر فى كتابة الأسماء رأى أنه أفضل من النظم السابقة. هذا النظام مأخوذ عن طريقة الكتابة التى اتبعها الكتّاب الإسبان منذ عصر التواريخ اللاتينية وحتى القرن السابع عشر. ويكمن عيب هذا النظام فى تغير نطق بعض الحروف اعتباراً من القرن السابع عشر.

تكمن قيمة كتاب ايغيلاث الحقيقية فى الطريقة التى استعملها، فقد كان هو أول من حاول دراسة الأصوات عبر التاريخ ، وهو مجال لم يصبح ممكنًا إلا فى الدراسات اللغوية الحديثة[٢٨] . درس ايغيلاث النظام الذى اتبعه المؤرخون والجغرافيون المسلمون فى كتابة الأسماء الإسبانية باللغة العربية ، كما درس النظام الذى اتبعه المدجنون والموريسكيون فى الأدب الألخميادو فسبق عصره. فيما يتعلق

بالأصوات المشتركة يسير ايغيلاث على نهج بدرو دى ألكالا فى كتابه " فن معرفة العربية" ، وفى كتابه " معجم عربى بحروف إسبانية". ويستعمل ايغيلاث أيضًا كتاب " معجم باللغة العربية" الذى نشره شياباريلى ، و " معجم الكلمات الإسبانية والبرتغالية المشتقة من العربية" لانجلمان.

نشر ايغيلاث مقالاً فى مجلة ثينيثيا كريستيانا (٢٩) بعنوان "مكان مدينة اليبريس" ، وهى المدينة التى شهدت عقد مؤتمر الكنيسة الإسبانية فى نهاية القرن الثالث الميلادى. يستعين ايغيلاث بمصادر عربية ويترجم منها فقرات ويثبت أن مدينة اليبريس كانت حتى الغزو العربى عاصمة لإقليم يحمل هذا الاسم ، وأن اليبريس وغرناطة ليستا سوى مدينتين منقسمتين إلى شطرين. يبدو أن بعض العرب أطلقوا عليها اسم دمشق نظرًا لتشابهها مع المدينة الشرقية. بعد ذلك نشر ايغيلاث عام ١٩٠٤ تعديلاً للمقال فى كتاب تكريم فرانثيسكو كوديرا ، وذلك تحت عنوان " أصل مدينتى غرناظة والبيريس وأصل قصر الحمراء". (٣٠)

أهم دراسات ايغيلاث وأوسعها شهرة هو "معجم لأصل الكلمات الإسبانية المشتقة من اللغات الشرقية" (٣١) . ربما كانت صداقته لسيمونيت هى التى أدت إلى اعتناقه نفس أفكاره، أو ربما وصل ايغيلاث إلى نفس نتائج سيمونيت لأنه سار على نفس الدرب، لكن الواقع هو أن مقدمة الكتاب تشبه مؤلفات سيمونيت، فليس هناك فرق بينهما لا فى الموضوعات التى يطرحها، ولا فى وجهة النظر التى يدافع عنها.

أولاً : يفند ايغيلاث فكرة تفوّق العرب ثقافيًا على المسيحيين وينطلق من دراساته اللغوية ليؤكد أن دخول ألفاظ عربية كثيرة فى اللغة الدارجة حدث فى الزمن الذى اعترف فيه المسلمون صراحة بتفوق ثقافة المسيحيين على ثقافتهم. يدلل على ذلك بذكر نص عربى لابن خلدون وترجمة "سلان " له يقول فيه: "كل شعب يشترك مع شعب آخر فى حدود ويعترف بتفوقه يحاول تقليده. يحدث هذا فى زماننا – القرن الرابع عشر – مع العرب الأندلسيين الذين لهم علاقة بالجاليقيين – مسيحيى قشتالة وليون –، فقد أخذوا عنهم ملابسهم وعاداتهم وأخذوا عنهم أيضًا طريقتهم فى تزيين جدران بيوتهم وقصورهم بالصور والرسوم " . هذا الدليل ضعيف لأن القرن الرابع عشر تحديداً

لا يوافق فترة ازدهار الحضارة العربية. إنه لا يتحدث عن القرون الماضية ولا عن أعمال الفونسو الحكيم.

يقول أيضًا – موافقًا سيمونيت – إن الحضارة الأندلسية يُعزى فضلها إلى المسيحيين الذين دخلوا الإسلام ، فهم الذين عالجوا همجية الغزاة بسموهم الحضارى وكانوا هم الذين يديرون بيت المال ، وكانوا مستشارى الأمراء والخلفاء أصحاب الفنون والعلوم ، وكانوا صفوة الشعراء والفصحاء والمؤرخين ، وكانوا جوهر تلك الحضارة الرائعة التى خلفت روائع عمرانية فى جامع قرطبة وقصر الحمراء فى غرناطة. يقول أيضًا : إن العرب لم يفرضوا حضارتهم لأنهم لم تكن لديهم حضارة ، ولم يفرضوا لغتهم ، بل تعايشت لغتهم مع اللغات المحلية الدارجة. يقول ايغيلاث كذلك إن هذا واضح لأن لغة الشعب المحتل لا تختفى إلا إذا كانت من جنس لغة الغزاة أو إذا اختفى الشعب المحتل نفسه، ويخلص إلى القول إن طول فترة تواجد العرب فى إسبانيا لم تخلف سوى بضع مئات من الألفاظ معظمها لا يستعمله أحد فى الوقت الحالى.

أما عن الطريقة التى اتبعها ايغيلاث فى "المعجم" فهى أنه وضع أمام كل كلمة اسم المؤلف الذى أخذها عنه والنص الذى توجد فيه الكلمة بالإضافة إلى ما يقابلها بالعربية، وهو ما يضفى على المعجم أهمية كبيرة من حيث المصادر. يتضمن " المعجم" الكلمات المشتقة من اللغات العربية والعبرية والفارسية والتركية ، وهى كلمات موجودة فى اللغات المستعملة فى شبه الجزيرة باستثناء البشكنس. وقد اعتمد ايغيلاث فى دراسته على كتابات كل من بدرو دى ألكالا، وكوباروبياس ، ودوكانج، وكازيميرسكى ، وتشياباريللى، ودوزى ، وسيمونيت ، وعلى معجم أكاديمية اللغة الإسبانية .

هذا "المعجم" له أهمية علمية كبيرة ، ولم يصدر حتى الآن كتاب يفوقه فى كثير من النقاط. ويُحدث نفس الأثر الذى يُحدثه "معجم" سيمونيت : المعجمان يثبتان عكس ما أراد مؤلفاهما.

كتب ايغيلاث أيضًا أعمالاً إبداعية ، فنشر "حديث الأميرة ثُريدة والأمير أبى الحسن والفارس أثيخا "(٣٢) . يزعم أن كتابه عبارة عن مخطوطة ألخميادية موجودة لديه وأنه قد عثر عليها فى إحدى قرى سرقسطة، ويقول إن الصفحة الأخيرة من المخطوطة عبارة عن صورة مماثلة للصورة التى تزين قبتى صالة العدل فى قصر الحمراء ويضيف:

" سيكون هناك من يتذكر أحداثًا قديمة فيسرح بخياله ويظن بسوء نية أن ما ذكرته عن المخطوطة الألخميادية والمؤلف المجهول إنما هى حيلة من جانبى لكى يلقى النقاد مسئولية أخطائى على غيرى. أنا لن أحدّ من أهوائهم، فكل إنسان حُر فيما يظن..."(٣٣)

الكتاب سهل القراءة ويبدو فى الحقيقة كما لو أنه رواية موريسكية من زمن الرومانسية القديم. والمؤلف يدرج كلمات عربية أضحت طبيعية فى اللغة الدارجة، ويدرج كلمات أخرى ليست معروفة فيوضحها فى النص، وفى نهاية الكتاب يضع قائمة بالكلمات الأقل استعمالاً.

يؤكد ايغيلاث أن الرواية عبارة عن صياغة لنص أصلى حُذف منه جفاف وبطء الأسلوب القديم. أسلوب الكتاب فى الواقع سلس. وصف الملابس والحجرات والمشاهد يبدو وكأنه مأخوذ عن كتاب ألف ليلة وليلة ، وفى بعض الأحيان يتحول كتاب ايغيلاث إلى رواية فروسية، بل إن نصائح الملك سيدى سعد لابنه مولاى أبى الحسن تبدو وكأنها مأخوذة عن رواية دون كيخوتى وبالتحديد عن ذلك الجزء الذى يتضمن النصائح التى أسداها كيخوتى لسانشو. يضع ايغيلاث أمثلة عديدة على لسان الشخصيات، وكتابه ملئ بالمبارزات بين الفرسان. وفى النهاية تتحول الأميرة ثُريدة إلى المسيحية وتصبح راهبة فى دير بورغوس.

ربما كانت الفترة الأخيرة للحكم العربى فى غرناطة تستحوذ على اهتمام المستعربين والأدباء أكثر من غيرها من القرون الماضية؛ نظراً لما تتصف به من بطولات رومانسية وشاعرية، ونظراً لجمال ثريا ولحظ أبى عبدالله التعس.

نشر ايغيلاث كتاباً عام ١٨٩٤ يتعلق بهذه الفترة وعنوانه " موجز تاريخ احتلال غرناطة حسب المصادر العربية" . يستعمل ايغيلاث مخطوطة مجهولة المؤلف موجودة في مكتبة الاسكوريال ونسخها سيمونيت وعنوانها "أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر"[٣٤] ، كما استعمل أيضاً فقرات من كتاب المقرى الذى نشره دوزى وغيره من المستشرقين عام ٥٨– ١٨٥٩[٣٥].

يكتفى ايغيلاث بعرض نصوص المخطوطتين فيخلط بينهما دون تعليق على الأحداث إلا فى حالات استثنائية ، وحينما يبدى تعليقاً فهو يضعه كملحوظة هامشية أسفل الصفحة. من خلال هذه النصوص تبرز صورة لأبي عبدالله الصغير مختلفة عن تلك الصورة التى رسمها المؤلفون المسيحيون. يقول المؤلفون المسيحيون إن تعهد أبى عبدالله بتسليم لوخا إلى الملكين الكاثوليكيين مقابل مساعدات فى حربه ضد عمه الزغل، هذا التعهد لا يعدو كونه مجرد شائعات سرت فى أوساط الشعب، أما فى " أخبار العصر" فيقول إن أبا عبدالله بقى فى المدينة " يحكم باسم الملك المسيحى حتى تخضع له كل أندلوثيا ، وقد اقتنع أهل غرناطة بأن دخوله إلى المدينة لم يكن إلا بهدف تسليمها إلى ملك قشتالة وفاءً لتعهده وكفدية لإطلاق سراحه"[٣٦].

أخيراً وفى عام ١٨٩٦ نشر ايغيلاث بالفرنسية كتيباً عن الصور التى تزين قباب صالة العدل فى قصر الحمراء.[٣٧]. يدرس ايغيلاث كل وجهات النظر التى قيلت فى شأن هذه الصور ، ويخلص إلى القول بأن الأشخاص العشرة الذين يرتدون الثياب العربية ويجلسون على نفس الهيئة هم أول عشرة ملوك من بنى نصر. ويعتقد ايغيلاث أن الصورة نفذها رسام مسيحى فى بداية القرن الخامس عشر، كما يتبين من طراز البناء والنافورات التى تُظهر بوضوح الطراز المعمارى القوطى.

الهوامش

(1) LEOPOLDO EGUÍLAZ Y YANGUAS, Elogio fúnebre del Excmo. Sr. D. José Moreno Nieto y Villarejo, Granada, 1882 .

(2) JOSÉ MORENO NIETO, Estudio crítico sobre los historiadores arábigo-españoles. Discurso leído ante la Real Academia de la Historia el día 29 de mayo de 1864 , "Colección de discursos académicos publicados por el Ateneo", Madrid, 1882 .

(3) FRANCISCO CAÑES, Gramática arábigo-española vulgar y literal con un diccionario arábigo-español. Madrid, 1775 .

(4) C. P. CASPARI, Grammaire arabe...traduite...par E. Uricoechea, París, 1881. V. M. MANANARES DE CIRRE, D. Ezequiel Uricoechea, el primer americano que enseñó árabe en Europa, "Suplemento literario de El Tiempo", Bogotá (Colombia), marzo. 1944 .

(5) JOSÉ MORENO MIETO, Gramática de la lengua arábiga, Madrid, 1872.

(٦) انظر: " رسائل من بسيرافين" التى نشرها غوميث مورينو فى مجلة أكاديمية اللغة الإسبانية، مايو- أغسطس ١٩٥٣ ص ٢٢٣ ": ستشعر الدولة بالامتنان وتشكر دراساته عن ابن القوطية. وأنا - الذى كنت أمثل حجر الزاوية فى كل هذه المعارف - ساكون أول من يهنئ: ليس هناك عيب فى لافوينتى الكانترا إلا كونه رجل أدب...

(7) EMILIO LAFUENTE Y ALC´ANTARA, Inscripciones árabes de Granada, Madrid, 1859 .

(8) PASCUAL DE GAYANGOS, Plans, elevations, sections and details of the Alhambra, London, 1842 .

(9) LAFUENTE Y ALCÁNTARA, Inscripciones..., p.16 .

(10) LAFUENTE Y ALCÁNTARA, Inscripciones..., p. 26 .

(11) EMILIO LAFUENTE Y ALCÁNTARA, Catálogo de los códices arábigos adquiridos en Tetuán por el Gobierno de S. M., Madrid, 1862 .

(12) Discursos leídos ante la Real Academia de la Historia en la recepción publica de D. Emilio Lafuente Alcántara el día 25 de enero de 1863 .Contestación del Ilmo. Sr. Antonio Cánovas del Castillo, individuo de número, Madrid, 1863 .

(13) EMILIO LAFUENTE Y ALCÁNTARA, Discurso de contestación a D. José Moreno Nieto, Leído ante la Real Academia de la Historia el día 29 de mayo de 1864. Colección de discursos académicos publicados por el Ateneo. Madrid, 1882 .

(14) E. LAFUENTE, Discurso de contestación a D.J.Moreno Nieto..., p.18.

(15) EMILIO LAFUENTE Y ALCÀNTARA, Colecciòn de obras aràbigas de Historia y Geografía, t.I.Ajbar Machmuá (Colecciòn de tradiciones). Crònica anònima del siglo XI..., traducida y anotada por don EMILIO LAFUENTE Y ALCÀNTARA, Madrid, 1867 .

(16) EMILIO LAFUENTE Y ALCÀNTARA, Relaciones de algunos sucesos de los ùltimos tiempos del reino de Granada, que publica la Sociedad de BibliÓfilos Españoles, Madrid, 1868.

(17)EMILIO LAFUENTE Y ALCÀNTARA, Relaciones..., p. V.

(١٨) ناقش ليوبولدو ايغيلاث هذا الموضوع أيضًا في كتابه :

Desafìo en Granada de D. Diego Fernàndez de Còrdoba y D. Alonso de Aguilar, Madrid, 1800 .

(19) MIGUEL LAFUENTE Y ALCÀNTARA, Historia de Granada, comprendiendo las de sus cuatro provincias, Almerìa, Jaén, Granada y Màlaga, desde remotos tiempos hasta nuestros dìas, Granada, 1843-46 ،4 vols.

(20) M. LAFUENTE, Historia de Granada, t. I, p. XIV.

(21) M. LAFUENTE, Historia de Granada, t. I, p. 40

(22) M. LAFUENTE, Historia de Granada, t. I, p. 145

(23) MIGUEL LAFUENTE Y ALCÀNTARA, Condiciòn y revoluciones de algunas razas españolas especialmente de la Mozàrabe en la Edad Media. Discurso de recepciòn en la Real Academia de la Historia, Madrid, 1847

(24) LEOPOLDO EGUÌLAZ Y YANGUAS, Poesìa històrica, lìrica y descriptiva de los àrabes andaluces, tesis doctoral, Madrid, 1864 .

(25) LEOPOLDO EGUÌLAZ Y YANGUAS, Discurso inaugural leìdo el dìa 1de octubre de 1866 en la Universidad de Granada. Granada, 1866 .

(٢٦) معلومة مأخوذة من مقال ايغيلاث بعنوان :

Estudio sobre el valor de las letras aràbigas, Madrid, 1874 ،p. 3

(27) LEOPOLDO EGUÌLAZ Y YANGUAS, Estudio sobre el valor de las letras arábigas en el alfabeto castellano y reglas de lectura, Madrid, 1874 .

(٢٨) انظر في هذا العدد :

AMADO ALONSO, Las correspondencias aràbigo-espa`nolas en los sistemas sibilantes, "Revista de Filologìa hispànica", VII, 1946 .A STEIGER, contribuciòn a la fonética del hispano-àrabe y de los arabismos en el ibero-romànico y el siciliano, Madrid, 1932 .AMADO ALONSO, Trueque de sibilantes en antiguo espa`nol, en "Nueva Revista de Filologìa Hispànica", I, 1947 .

(29) LEOPOLDO EGUÌLAZ Y YANGUAS, Del lugar donde fue Iliberis, "La ciencia cristiana", XII, 1879 ،p. 249-59 ؛363-69 .

(30) LEOPOLDO EGUÌLAZ Y YANGUAS, Origen de las ciudades Garnata e Iliberris y de la Alhambra, "Homenaje a D.F.Codera", 1904 ،pp.333-38.

(31) LEOPOLDO EGUÌLAZ Y YANGUAS, Glosario etimològico de palabras espa`nolas de origen oriental (àrabe, hebreo, malayo, persa, turco), Granada, 1886 .

(32) LEOPOLDO EGUÌLAZ Y YANGUAS, El Haditz de la princesa Zoraida, del emir Abulhasan y del caballero Aceja, Relaciòn romancesca del siglo XV o principios del XVI en que se declara el origen de las pinturas de la alhambra, Granada, 1892 .

(33) L. EGUÌLAZ, EL Haditz..., p. VIII.

(٣٤) نشر ماركوس ج. موبللر المخطوطة مع ترجمة لها بالألمانية عام ١٨٦٣ .

(35) KHREI, WRIGHT, Dozy ET DUGAT, Analectes sur l'histoire et la littérature des Arabes d'Espagne, Leyde, 1858-1869 .

(36) LEOPOLDO EGUÌLAZ Y YANGUAS, Reseña histñrica de la conquista del reino de Granada por los Reyes Catòlicos, segùn los cronistas àrabes, Granada, 1894 ،p. 16 .

(37) LEOPOLDO EGUÌLAZ Y YANGUAS, Estudes sur les peintures de l'Alhambra...,Dessins de M. Raphäel Latorre, Granada, 1896 .

تابع : صغار المستعربين

ادواردو سابيدرا إى موراغاس :

كان سابيدرا مهندسًا وجغرافيًا ومعماريًا ومؤرخًا وأديبًا ، ورغم كل ذلك وجد فسحة من الوقت لكى يكون مستعربيًا بالإضافة إلى ما تقدم. شملت معارف سابيدرا مختلف الموضوعات وكتب أكثر من مائتى مؤلّف.

ولد سابيدرا فى تاراغونا عام ١٨٠٩ ، وانتقل إلى مدريد وأصبح صديقًا لسيرافين كالديرون وتلميذًا لغايانغوس. كان مشتغلاً بدراسة اللغة العربية، وهو اهتمام لم يفارقه أبدًا رغم أنه لم يكن اهتمامه المفضل.

فى عام ١٨٧٨ أُختير عضوًا بأكاديمية اللغة الإسبانية حيث احتل كرسى بريتون دى لوس ايريروس، وبهذه المناسبة ألقى خطابًا عن الأدب الألخميادو، وكلف كانوباس ديل كاستيو بإعداد خطاب الرد على سابيدرا فتحدث عن طرد الموريسكيين من وجهة النظر السياسية الدينية[١]. بعد ذلك بسنوات نشر سابيدرا الخطابين فى مجلد واحد وألحق بهما فهرسًا عامًا عن الأدب الألخميادو ومعجمًا للألفاظ الألخميادية[٢] (*)

يشرح سابيدرا معنى الأدب الألخميادو ويأسف لأن جهل الناس بوجوده أدى إلى إتلاف عدة مخطوطات قيمة. وبعد أن يذكر الباحثين الذين اهتموا بهذا الأدب – كوندى، وغايانغوس، ولافوينتى، وموربنو نييتو، وفيرنانديث غونثاليث – يقدم ملخصًا لكل مخطوطة ألخميادية معروفة.

(*) لايزال هذا الكتاب يشكل مرجعًا أساسيًا لكل من يريد دراسة المخطوطات الألخميادية (المترجم)

لا يضيف سابيدرا شيئًا جديدًا عندما يشرح مخطوطة لاجئ تونس[٣] ، التى تختلط فيها ذكرى لوبى دى بيغا بالأشعار الشعبية والعبارات الدينية. ويخلص إلى القول بأن كل هذا الأدب يوضح شخصية الموريسكيين وعاداتهم ومعتقداتهم وأفكارهم وآلامهم. يوضح كيف كان هؤلاء الموريسكيون فى طريقهم إلى الاندماج فى المجتمع الذى يعيشون فيه ، وكيف كان هذا العضو الهام فى المجتمع على وشك الاندماج فى المجتمع الإسبانى لولا أن تعصب المسيحيين أدى إلى بتره. كان إسهام الموريسكيين بقوتهم وحيويتهم سيؤدى إلى عظمة إسبانيا. كل خطاب سابيدرا مفعم بهذا الحنين الذى شعر به الرومانسيون نحو ذلك الشعب الموريسكى.

أهم كتابين لسابيدرا هما " ترجمة جغرافية الإدريسى ، و " دراسة حول الغزو العربى لإسبانيا".

ذكرنا فيما سبق أن جغرافية الإدريسى قد ترجمها كل من كوندى ثم دوزى وغويخى عام ١٨٦٦ . مع ذلك اعتقد سابيدرا أن الترجمتين فى حاجة إلى تحسين. ترجمة كوندى يعيبها أن المترجم لم تكن لديه مخطوطات جيدة فارتكب بعض الأخطاء ، وترجمة دوزى يعيبها أنه ليس إسبانيًا فتعذَّر عليه التعرف الدقيق على إسبانيا وأقاليمها. يدرس سابيدرا [٤] النقاط التى يتفق فيها الإدريسى مع الجغرافيين القدماء بخصوص إسبانيا ، كما يدرس التوافق بين ما كان العرب يطلقون عليه " المحيط" وبين الدوائر الكنسية فى إسبانيا القوطية. النظام الذى يتبعه سابيدرا عند دراسة كل إقليم هو ذكر المدن ثم القرى والأنهار والجبال. إن تطابق ما يذكره مع الواقع الحالى تطابقٌ واضح. يدخل بعد ذلك إلى تحديد البلاد والمعالم الجغرافية التى تبدو له مؤكدة أو محتملة، وهو شىء لم يستطيع القيام به كوندى ولا دوزى.

يكتب سابيدرا الأسماء بحروف عربية ، لا لكى يؤكد حجته وإنما لكى يستطيع قارئٌ ما عالمٌ بمنطقة ما أن يفكر فى معنى تلك الأسماء الجغرافية. عندما يصل إلى الفصل السادس يغير خطة الكتاب ؛ لأنه – طبقًا لما يروى – عثر على مخطوطات عربية لجغرافية الإدريسى [كان قبل ذلك يعتمد على نص دوزى] ، والمخطوطات التى عثر عليها سابيدرا هى: نسخة من أول أقسام المناخ الخامس ، وهى نسخة حررها

غيين روبليس بمناسبة سفره إلى برلين لحضور مؤتمر المستشرقين، ونسخة أمده بها البروفيسور ويريميورغ عن نسخة موجودة فى باريس، ونسخة أولية قورنت بمخطوطات اكسفورد وكامبريدج.

تكمن سابيدرا من تقديم النص العربى لهذا القسم الأول مع الإشارة فى أسفل الصفحة إلى الاختلافات الموجودة فى المخطوطات المعروفة. بعد ذلك يقدم ترجمة النص ويناقش النقاط غير الراجحة فى ملاحظات هامشية. هذه المناقشات طويلة فى الجزء الأول من الكتاب. ورغم أن الكتاب صغير إلا أنه عظيم الفائدة. هو لا يحل المعضلات الجغرافية بشكل حاسم؛ لكنه يقدم آراءً سديدة أفادت الباحثين الذين عكفوا على دراسة الموضوع فيما بعد.

بعد ذلك بعشر سنوات نشر سابيدرا "دراسة حول الغزو العربى لإسبانيا"(٥) . يقول إن ما دفعه إلى تأليف الكتاب هو أن تاريخ العرب فى إسبانيا قد تم اختصاره على النحو التالى: "جريمة دنيئة، خيانة، تدفق فرسان أفارقة عددهم هائل انتشروا فى كل أنحاء شبه الجزيرة فى لمح البصر، وزعيم فى كانتابريا تدعو إلى طاعته قلة من المحاربين" (٦) ، أى أن تاريخ تلك الفترة يُبسَّط الأحداث إلى حد غير معقول ويمتلئ بالأساطير و التناقضات . كل ذلك بسبب نقص المعلومات اللازمة. يعتقد سابيدرا فى ضرورة البدء فى مراجعة التاريخ المكتوب بناءً على المعلومات التاريخية الجديدة التى حصل عليها، ويرفض الأفكار الشائعة والمزيفة.

المصادر التى يعتمد عليها سابيدرا هى مؤلفات لوكاس دى توى ، ورودريغو خيمينيث دى رادا وآخرين، أما المصادر العربية التى يعتمد عليها فهى كتاب أخبار مجموعة، وكتب المقرى وابن خلدون، وغيرهم.

لا يترك سابيدرا فراغات فى كتابه، فعندما لا يتوافر لديه حدث فعلى مؤكد يحاول ملء الفراغ بالظن، لكنه يضيف: " لا شىء يُكتب أو يُروى إلا إذا كان له أصل حقيقى بعيد" (٧) . هكذا يعضِّد بملاحظات هامشية أسفل الصفحة كل تأكيد ، سواء خاص بالأحداث أو بالأسماء، مع ذكر المصدر أو المصادر التى اطلع عليها.

يتوسع سابيدرا في دراسة شخصية رودريغو، ويقدم له صورة رومانسية ويدرس بشكل عارض صورة رودريغو في الأدب داخل وخارج إسبانيا ابتداءً ببدرو ديل كورال وحتى ثوريا مروراً بسوتي. ينتهي عند أول حروب بلايو ويخلص إلى القول بأن سبب خراب إسبانيا لم يكن التدهور الفكرى للقوط ، بل روح التمرد على النظام الناتجة عن المبالغة في الفردية الجرمانية.

قيمة الكتاب أدبية أكثر منها تاريخية. ربما كان هذا الكتاب هو أفضل عمل أدبى كُتب في القرن الماضي في هذا المجال. الكتاب يقرأ كما لو كان رواية تاريخية جيدة، ويستحوذ على اهتمام القارئ نظرا لدقة ترتيب الأخبار الموثقة التي اعتمد عليها المؤلف. والكتاب سهل القراءة ، لكنه يتبع الخيال كثيراً ، وهذا عيب في أي باحث وليس ميزة.

بالإضافة إلى هذه الدراسات الكبيرة نشر سابيدرا بعض المقالات المتعلقة بهذا المجال، ففي عام ١٨٨٤ – بمناسبة النزاع مع المغرب – نشر بحثًا بعنوان " مصالح إسبانيا في المغرب"[٨] يدعو فيه إلى ضرورة وجود سياسة تجذب مواطني هذا البلد ، ويعتقد أن ذلك قد يتأتى بإنشاء مدارس لتعليم العربية وتدريس الوضع في المغرب للدبلوماسيين والموظفين الإسبان الذين يعملون هناك.

وكتب تقريراً لأكاديمية التاريخ في عام ١٨٨٥ تحدث فيه عن " مخطوطة بعنوان تاريخ منصوري" [٩] نشرها ميغيل إماري في مجلة ارشيبو استوريكو سيسيليانو. يلخص سابيدرا العمل ويضيف معلومة مفادها أن الوباء الذى عمَّ الغرب في القرن الثالث عشر والذى لم يوضحه ميغيل أمارى ليس إلا مجاعة صاحبتها أمراض معدية انتشرت على جانبي مضيق جبل طارق بعد معركة العقاب Navas de Tolosa مباشرة أى خلال عامى ١٢– ١٢١٤ .

القى سابيدرا محاضرة عن " المرأة المسيحية في الأندلس" في أحد نوادى مدريد[١٠] ، وهي عبارة عن موجز لحديث سيمونيت عن نفس الموضوع. يقرر سابيدرا أن الذين هربوا إلى الشمال لم يكونوا " كل المسيحيين" بل الأغنياء والنبلاء، وأن النساء

ارتبطن بالغزاة ، إما كزوجات وإما كإماء. هكذا بدأ تأثيرهن الذى يتمثل فى تهذيب خشونة الغزاة. ينتهى حديث سابيدرا بشكل مبهم وشاعرى فيقول: " إلى جانب ملحمة حروب الاسترداد الرائعة هناك ملحمة أخرى صامتة: ملحمة معاناة وخضوع النساء اللاتى لطّفن من همجية الغزاة الخشنين" .

كما نشر سابيدرا فى مجلة ريبستا دى أرشيبوس عام ١٩١٠ "بحثًا تاريخيًا عن عبد الرحمن الداخل "(١١) يعرض فيه صورة موضوعية لشخصية عبد الرحمن دون أن يصدر أحكامًا بشأنها، لكنه يقدم مصادر تصوره فى مختلف جوانب شخصيته كمنظم للدولة وقائد للجيش ومؤسس إمبراطورية، عنيفًا ورحيمًا ومحبًا للفنون والعلوم.

الأب خوسيه ليرشوندى:

ولد فى إقليم سان سباستيان عام ١٨٣٦ وانخرط فى سلك الرهبان الفرانسيسكان عام ١٨٥٧ . عُين مُبشراً رسوليًا فى المغرب. اقتنع بأنه لا يمكنه القيام بعمل متواصل إلا إذا اتصل بالعرب اتصالاً حميمًا ؛ فبدأ فى تعلم اللغة العربية، الفصحى منها والعامية. يقول عنه مترجمه خوسيه ماريا لوبيث (١٢) : إنه كان يجيد العربية كأهلها أو أفضل.

أول دراسة نشرها ليرشوندى عنوانها " اللغة العربية العامية لأهل المغرب"(١٣). استطاع نشر هذه الدراسة فى مدريد بعد أن تغلب على الكثير من المشاكل المادية. بعد ذلك بقليل صدرت طبعة ثانية من الكتاب ، فقد كان كتابًا واضحًا ومرتبًا وتعليميًا بالإضافة إلى كونه الكتاب الوحيد فى هذا المجال، ثم عينته مدرسة الإرساليات فى سانتياغو محاضراً للغة العربية بعد صدور هذا الكتاب.

بعد ذلك أراد أن يقوم بجولة داخلية فى المغرب بهدف التعرف عن قرب على عادات وثقافة الأقاليم الخاضعة للحكومة الإسبانية، وأراد ليرشوندى كذلك الحصول على مخطوطات متعلقة بإسبانيا خلال العصور الوسطى ؛ لكن الحكومة رفضت مطلبه. ثم انتقل إلى غرناطة لحل بعض المشاكل الإدارية مع الإرسالية، وهناك فى غرناطة صادف مناخًا يلائم مشروعاته الأدبية ودراساته للغة العربية. وفى خلال سنة واحدة

– فى عمل متواصل مع سيمونيت – استطاع الانتهاء من كتاب "نصوص Crestomatia" [١٤] الذى أشرنا إليه عندما تحدثنا عن سيمونيت.

عاد إلى شمال المغرب بعد عدة سنوات قضاها فى أنشطة تنظيمية واجتماعية، واستطاع أن يطبع " المعجم الإسبانى العربى" عام ١٨٩٢، وهو كتاب يمثل حصيلة ثلاثين عامًا من جمع البيانات وتدوين الجمل والأمثال الغريبة والهامة. عنوان الكتاب كاملاً هو "المعجم الإسبانى العربى للهجة المغربية مع ذكر عدد كبير من الكلمات المستخدمة فى الشرق وفى الجزائر"(طنجة ١٨٩٢) . ويقدم ليرشوندى فى هذا العمل – بالإضافة إلى الأمثلة والتعبيرات فى اللهجة المغربية – وصفًا لعادات أهل البلاد وديانتهم وملابسهم وأغذيتهم وفنونهم ووظائفهم. والكتاب على هذا النحو عبارة عن شىء متمم لقواميس اللغة العربية الفصحى، يفيد فى دراسة أصول بعض كلمات اللغة الإسبانية، أما من وجهة النظر التاريخية فهو مفيد فى معرفة بعض خصائص اللغة العربية التى كانت مستعملة فى جنوب إسبانيا.

كان ليرشوندى يؤمن بأن المبشر يجب ألا يكتفى بدراسة اللغة الدارجة ، بل عليه كذلك أن يدرس العربية الفصحى. لهذا وضع كتاب" قواعد اللغة العربية" ، لكنه لم يكمله. لا نعرف عن الكتاب إلا أنه كان يطبع كل جزء ينتهى منه وأنه وصل إلى ١٧٦ صفحة[١٥].

وبالإضافة إلى إنتاج ليرشوندى المنشور فاننا يجب أن نضع فى الاعتبار قيامه بتدريس العربية ، فقد أسس مدرسة للغة العربية فى تطوان حتى يتعلم المبشرون هذه اللغة ويستطيعوا القيام بدورهم على أكمل وجه.

فرانثيسكو بونس بويغس :

على عكس ما حدث مع كل المستعربين الذين درسناهم حتى الآن فإن لدينا مقالين عن حياة فرانثيسكو بونس: أحدهما من تأليف غيبرمو غوستافينو ، وهو يشكل مقدمة لمجموعة " دراسات قصيرة" لبونس نشرت عام ١٩٥٢[١٦]، أما المقال الثانى فهو من تأليف بدرو روكا ونشر فى مجلة ريبستا دى أرشيبوس. يرسم المقالان شخصية بونس المعقدة حيث يبدو أنه كان يشك فى كل شىء حوله.

كان بونس صديقًا لخوليان ريبيرا ، وكان عضواً مؤسسًا لما عرف " بمدرسة الاستعراب الحديثة" التى رأسها فرانثيسكو كوديرا، ورغم أن هذه المدرسة تبدأ حيث ينتهى مجال دراستنا هذه إلا أننا ندرج بونس هنا لأن وفاته عام ١٨٩٩ عن سبعة وثلاثين عامًا تجعله ينتمى إلى مستعربى القرن التاسع عشر.

ينتمى بونس إلى أسرة من الفلاحين الفقراء فى إقليم فالنسيا ، وظهرت عليه منذ صغره علامات النبوغ لدرجة أن أستاذيه نابارو داراس وخوسيه ريبيرا - والد المستعرب ريبيرا - قدما له الرعاية وأعاناه على مواصلة الدراسات العليا. عندما انتهى من دراسة الثانوية أراد أن يصبح قسيسًا فالتحق بمعهد فالنسيا، وعندما جاءت لحظة تخرجه ساعده الناس على التأمل بصدق فيما إذا كانت لديه ميول للعمل الدينى. هذا التأمل جعله يترك مجال الكنيسة.

كان خوليان ريبيرا تلميذ كوديرا المفضل واقترح على بونس أن ينتقل إلى مدريد وأعطاه نقوداً للسفر، وقدم له مسكنًا لعدة أسابيع ، وعلمه اللغة العربية والطباعة بالعربية. كان فرانثيسكو كوديرا قد وضع فى إحدى حجرات بيته مطبعة عربية كان يطبع بها نصوصًا عربية عن تاريخ إسبانيا. النقود القليلة التى كان يتقاضاها بونس من العمل فى الطباعة هى التى أعانته على البقاء فى مدريد والانتهاء من الدراسة فى كلية الآداب والفلسفة وهكذا أصبح مستعربًا، وفى عام ١٨٨٦ التحق بمجموعة العاملين فى الأرشيفات والمكتبات وعمل فى أرشيف ألكالا دى ايناريس.

إن قافة بونس الواسعة ودراسته للاهوت والقانون والفلسفة ومعرفته لعدة لغات، كل ذلك ساعده على أن يخلّف إنتاجا غزيراً رغم أنه مات شابًا.

منذ عام ١٨٨٧ بدأ بونس فى نشر مقالات بشكل منتظم فى مجلة إل أرشيبو، وتعالج كل هذه المقالات تقريبًا تاريخ إقليم فالنسيا. جمع خيين غوستابو المقالات ونشرها عام ١٩٥٢ ، وكتب شيئًا عن حياة المؤلف كمقدمة للكتاب. من بين المقالات التى لا تتعلق بإقليم فالنسيا هناك مقال له أهمية خاصة بعنوان " الدراسات العربية

فى عهد كارلوس الثالث" ، وفيه يقدم بونس معلومات عن الباحثين الذين كرسوا جهودهم لهذه الدراسات مثل ميخائيل الغزيرى وكانيس ولو ثانو..إلخ. يقول فى ملاحظة هامشية إنه بصدد إعداد كتاب عن الدراسات العربية فى إسبانيا عامة ، لكن يبدو أنه لم يتمكن من القيام بتلك المهمة لأن روكا الذى كتب عن حياة بونس وفحص كل أوراقه الشخصية لم يجد شيئًا (١٧) عن هذا الموضوع.

بعد ذلك اشترك بونس فى مجلة ريبستا كونتمبورانيا بمدريد ونشر فيها " خواطر رحلة إلى الجزائر وتونس". هذه " الخواطر" هى التى دفعته إلى السفر برفقة كوديرا لفحص ودراسة وشراء مخطوطات عربية غير معروفة ومتعلقة بتاريخ إسبانيا الإسلامية (١٨) " الخواطر" عبارة عن مقالات سطحية لا يتحدث فيها عن المخطوطات التى تم شراؤها.

وضع بونس كتابًا كبيرًا بعنوان " دراسات حول مؤلفات نصارى طليطلة" (مدريد ١٨٩٧) ، وهذه " الدراسات" عبارة عن فهرس وترجمة ودراسة موجزة لمؤلفات لم تثر اهتمام أحد إلا سيمونيت الذى اهتم بها من وجهة النظر اللغوية. يعتقد بونس أن هذه المؤلفات – بالإضافة إلى قيمتها اللغوية– لها أهمية كبيرة ، إذ أنها تبين الوضع الاجتماعى والعادات والمؤسسات القضائية لنصارى الأندلس. " دراسات" بونس عبارة عن وثائق شخصية خاصة بالهبات والبيع والشهادة .. إلخ(١٩).

كانت الدراسة فى البداية تنقسم إلى أربعة أجزاء:

١ – نبذة عن كل وثيقة وفكرة عن مضمونها.

٢ – النص العربى مع الترجمة الكاملة لأهم النصوص.

٣ – ملاحظات لغوية وجغرافية وقانونية حول تلك المؤلفات .

٤ – فهرس عام لكل الأشخاص والأماكن ومفردات اللهجة العامية الواردة فى المؤلفات.

بدأ بونس فى نشـر دراسـاته فى مـجلة Boletín de la Sociedad de Excursiones بالطريقة التى أشرنا إليها، لكنه – نظراً لأسباب تتعلق بالصعوبات المادية – أوقف نشر الجزء الثانى ولم يكمل مهمته.

رغم ذلك كانت دراسات بونس هذه عظيمة الفائدة لأنها وجهت اهتمام الباحثين نحو مجموعة وثائق هامة ، وتبين فيما بعد أن مؤلفات نصارى طليطلة كانت هامة جداً لدراسة لغة وتاريخ تلك الفترة.

كتب بونس بحثًا آخر أكثر أهمية عنوانه " دراسة وترجمة ذاتية للمؤرخين والجغرافيين الأندلسيين" (٢٠) ، ولكى يبين بونس طبيعة بحثه فإنه يستعين بعبارة قالها كانوباس ديل كاستيو فى رده على خطاب لا فوينتى الكانترا لدى التحاقه بأكاديمية التاريخ: " إن دراسة تاريخ المسلمين فى إسبانيا أمر له أهمية حقيقية، إذ يترتب عليه أن يبلغ تاريخنا مرحلة النضج أو يظل فى مرحلة المراهقة". يقول بونس إنه لكى نعرف التاريخ جيداً علينا أن نتعرف على المؤرخين ؛ وهكذا فقط يتجاوز تاريخنا مرحلة المراهقة.

تقدم بونس بهذا البحث إلى مسابقة نظمتها المكتبة الوطنية عام ١٨٩٥، لكن لجنة التحكيم رأت عدم منحه الجائزة الأولى لأن البحث به بعض الأخطاء ويخلو من الفهارس التى كانت ضرورية للعمل. أوصت اللجنة كذلك بإدراج أعمال غير تاريخية للأشخاص الذين تعددت نواحي كتاباتهم، لكن نظراً لحداثة وأهمية وقيمة البحث رأت اللجنة " من المناسب دعوة المؤلف لتقديمه مصححًا ومزيداً فى مسابقة أخرى"(٢١) . هذا ما فعله بونس، وقد حصل كتابه على الجائزة عام ١٨٩٣ .

يضع بونس مقدمة لكتابه من ٢٦ صفحة يعرض فيها الهدف من الكتاب وتقسيم الأجزاء. لم يكن هدفه يقتصر على دراسة المؤرخين ، بل اعترف كذلك بضرورة إدراج الجغرافيين نظراً للعلاقة القوية بين المؤرخين والجغرافيين ، خاصة العرب منهم. لنفس السبب يدرج بونس الرحالة.

فيما يتعلق بالسيرة الذاتية يقدم بونس ملاحظات حول ندرة المعلومات، وهي مشكلة يواجهها من يتصدى لمثل هذا العمل ، وحول كتابة الأسماء العربية بالإسبانية وحول ادراج القصائد في الكتب ، وهو أمر تميز به المؤلفون العرب. يكتفي بونس بترجمة الفقرات " ذات الأهمية الأدبية أو ذات الشهرة التاريخية أو تلك التي تضيف معلومةً ما عن مؤلف" ؛ ولهذا رأى عدم إغفالها(٢٢).

عدد الترجمات – ويدخل فيه ١٦ اسمًا لا ترد في النص – يصل إلى ٣١٩ ترجمة. ينُهي بونس دراسته فيوجز تحليله للمؤرخين والجغرافيين، ويقسم موجزه إلى ثلاثة أجزاء: المؤلفون والكتب وتقييم عام لكتابة التاريخ في الأندلس.

يدرج بونس أيضًا أربعة ملاحق:

١ – عن المؤرخين الذين يجهل مؤلفاتهم وبعض الكتابات التاريخية لمؤلفين مجهولين ودراسات لا نعرفها إلا من خلال إشارات الآخرين إليها.

٢ – فقرات تتعلق بمفهوم التاريخ عند العرب وتتعلق بالمؤلفين الإسبان الذين كتبوا في هذا الموضوع.

٣ – بعض الأخطاء الكبيرة التي وقع فيها مستعربون مشهورون خاصة الغزيري ومن جاء بعده.

٤ – كبار المؤرخين والجغرافيين من غير الإسبان والذين تكتسب أعمالهم أهمية خاصة بالنسبة لتاريخ إسبانيا.

تعتبر " دراسة وترجمة ذاتية..." أهم عمل كتبه بونس ، وهو كتاب وحيد في موضوعة. هذا في رأى النقاد الإسبان والأوربيين على السواء ، ويقدم شوفين تقريظًا للكتاب ويقول عنه : "إنه مفيد في إعطاء دفعة كبيرة للدراسات الخاصة بإسبانيا العربية"(٢٣).

في عام ١٩٠٠ ، أي بعد عام من وفاة بونس ، نُشرت ترجمته لكتاب " الفيلسوف الذى علَّم نفسه" لابن طفيل وهي طبعة على نفقة أستاذه خوسيه أ. نابارو كدليل حب وكتكريم لبونس، وقد كتب مينينديث بلايو مقدمة الكتاب.

ورغم أهمية كتاب ابن طفيل للأدب الإسبانى إلا أنه حتى ذلك الحين لم يكن أحد قد ترجمه إلى الإسبانية بشكل مباشر أو غير مباشر. إن معلومات بونس الفلسفية اللاهوتية هى التى دفعته إلى القيام بهذه الدراسة وترجمة كتاب ابن طفيل الحافل بالصعوبات، سواء من حيث الشكل أو من حيث المضمون. وبفضل دراسات ميغيل أسين بلاثيوس للفلسفة والتصوف الإسلاميين أصبحت دراسة الموضوع فى الوقت الحالى متاحة للمستعربين ولغيرهم من غير المتخصصين، أما بونس فقد تعين عليه حينذاك أن يواجه بنفسه سلسلة من المشاكل ، سواء فيما يتعلق بترجمة المفاهيم المجردة فى الصراع بين العقل والإيمان، أو فيما يتعلق بترجمة المصطلحات الفلسفية.

يعتبر منينديث بلايو كتاب ابن طفيل سابقًا لرواية " الناقد" لبالتاسار غراثيان، وهو رأى تبناه كثيرٌ من الباحثين المعاصرين(٢٤): بهذه الترجمة وضع بونس أمام الباحثين فى الفلسفة والفكر الأندلسى وثيقة عظيمة الأهمية والأصالة.

وقد وجد روكا بين الأوراق الشخصية لبونس بعض " ملاحظات المترجم" لم تُنشر مع الكتاب. يقول بونس فى هذه الملاحظات إنه قام بالترجمة عن نص عربى نشره بروكوكى مع الاستعانة بطبعتين من القاهرة ، وإنه التزم بالنص الأصلى حتى تكون الترجمة أمينة بأكبر درجة ممكنة وإنه لم يسمح لنفسه بالخروج عن الشكل إلا فى الأمور الخاصة بطبيعة كل لغة. يقول كذلك إن خوليان ريبيرا راجع الترجمة وصحح بعض الأخطاء.

فى العام الذى توفى فيه بونس نشر مقالاً فى كتاب تكريم مينينديث بلايو بعنوان "كتابان هامان لابن حزم"(٢٥) . فى هذا المقال يكتفى بتقديم وصف لمخطوطات كتاب " الحب " (هكذا يسميه) ، و " كتاب الملل والنحل" الموجودة فى ليدن والتى نشرها دوزى بالعربية. ترجم بونس إلى الإسبانية عناوين الفصول وبعض الفقرات لكى يبرز أهمية العمل ولكى يثير اهتمام منينديث بلايو – الذى كان حينذاك مديرًا للمكتبة الوطنية – بحيث يطلب نسخًا من هذه المخطوطات.

ترك بونس بعد وفاته كثيراً من الأبحاث فى طور الإعداد، ولم تنشر هذه الأبحاث إلى الآن. رصد بونس عناوين الأبحاث ووصف الوضع الذى ظلت عليه عند وفاته، وكان أحد هذه الأبحاث امتداداً لكتاب " دراسة حول المؤرخين والجغرافيين". كان بونس يعد كتابين عن " الأطباء وعلماء الطبيعة الأندلسيين" ، وسار فيه على نفس طريقة الكتاب الآخر. وقد تقدم بهذا العمل إلى مسابقة نظمتها المكتبة الوطنية عام ١٨٩٥ ، وكما حدث فى الكتاب الأول لم يفز بالجائزة. كانت أسباب عدم منحه الجائزة أن البحث "غير مبتكر ويتضمن تعليقات لا داعى لها وبيانات لا تتفق أحياناً مع شروط المسابقة" ، ومع ذلك فقد"رأت اللجنة أن الكتاب جدير بالتقدير نظراً للجهد المبذول فيه "(٢٦)

الكتاب الثالث بعنوان " دراسة حول الفلاسفة والفقهاء الأندلسيين" ، وهو مجرد خطة، لأن بونس لم يجد مادةً كافية لتأليف كتاب بنفس حجم الكتب السابقة ولأن بونس – كما يقول روكا – شعر بالإحباط إزاء قرار لجنة التحكيم بشأن كتابه عن الأطباء، وكان بونس كذلك يعد بحثًا عن " رحلات ملوك قشتالة وأراجون منذ ألفونسو السادس وراميرو الأول حتى الملكين الكاثوليكيين" ، كما كان يعد أبحاثًا أخرى حول موضوعات عربية.

كان بونس باحثًا دؤوبًا ذا منهج وذا قدرة فائقة على التنظيم. كتب بطاقات لا حصر لها ، وطالع ما لا حصر له من المخطوطات والكتب ، ودوّن كل البيانات التى وجدها متعلقة بالإنتاج العلمى والأدبى لأهل الأندلس، لكنه كان مصنفًا للكتب أكثر منه باحثًا. كان بوسعه – إزاء المادة العلمية الهائلة التى جمعها – أن يكتب دراسات مبتكرة بدلاً من الاكتفاء بدور جامع الكتب.

لا أريد بذلك أن أقلل من قيمة دراساته ، إذ من المعروف أنه فى مجال البحث العلمى لا تقل أهمية مجرد ذكر المعلومة عن تفسير تلك المعلومة، لكننى أبدى الأسف لأن خجله و عزلته عن العالم الخارجي ومنعه من تكوين صداقات ... كل ذلك جعله لا يثق فى نفسه بالقدر الذى يدفعه إلى كتابة دراسة كبيرة كان – دون شك – أهلاً للقيام بها.

غيين روبليس :

كان غيين روبليس عالمًا أثريًا وموظفًا بالمكتبة الوطنية بمدريد ورئيسًا لقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية لعدة سنوات.

درس اللغة العربية على يد سيمونيت ، وبلغ درجة من التمكن من اللغة تكفى للقيام بتصنيف المخطوطات العربية فى المكتبة الوطنية، وقد ترتب على عمله فى قسم المخطوطات أن ألّف كتاب " قائمة بالمخطوطات العربية الموجودة فى المكتبة الوطنية بمدريد" (مدريد ١٨٨٩)، وهو كتاب شامل لم يضع أحد أفضل منه حتى الآن فى هذا المجال.

كرّس غيين روبليس جهوده بشكل أساسى لدراسة الأدب الألخميادو فنشر عدداً هائلاً من الحكايات استخرجها من المخطوطات التى كانت فى متناول يده ، وهكذا استطاع أن يُعرف الناس بهذا النوع من الأدب العربى الذى لم يكن أحد قد وجه إليه الاهتمام الكافى . (*)

أهم كتاب لغيين روبليس هو " أساطير موريسكية" الذى نشره ضمن مجموعة "كُتّاب قشتاليون"(٢٧) ، وقد سار على نهج سيرافين كالديرون وغايانغوس ، فنشر تلك الحكايات لكى يتعرف الناس على "الحياة الخاصة لهؤلاء المسلمين المساكين الذين هم إسبان من حيث الموطن ومن حيث حبهم لبلدنا وصفاتهم وشمائلهم بل ومن حيث عيوبهم"(٢٨).

كان غيين روبليس موظفًا بالمكتبة بالدرجة الأولى ، ثم مستعربًا فى الدرجة الثانية ، وهذا ما جعله يهتم بالتعريف بالكتاب أو المخطوطة التى أمامه بدلا من

(*) لنا ملاحظتان :

١ – الأدب الألخميادو ليس فرعا من الأدب العربى، بل هو أدب إسبانى لغة ومضمونا، فهو مكتوب بالإسبانية (وإن كان بحروف عربية) ، وهو يعالج موضوعات شديدة الارتباط بالأدب الإسبانى المعاصر لها (وإن كان أيضًا وثيق الصلة بالموضوعات الإسلامية) .

٢ – لم يكن غيين روبليس على الإطلاق أول من وجه الاهتمام الكافى للأدب الألخميادو ، بل سبقه إلى ذلك كل من كوندى وسيرافين كالديرون وغايانغوس وسابيدرا (المترجم) .

دراستها وشرحها. إنه يعرض هدفه بوضوح حين يقول: " أريد أن أقدم كثيراً من التفاصيل عن مؤلفي هذه الحكايات وعن الأزمنة والأماكن التي كتبت فيها. ليس لديّ وقت لكي أدخل في مناقشات طويلة تتطلبها هذه الحكايات، بل أسعى إلى استغلال الوقت في نشر نصوص كثيرة. من ناحية أخرى أريد أن أجعل من هذه المجلدات وسيلة لتوسيع دائرة المعرفة، أن تكون المجلدات أدبا أكثر منها بحثًا علميًا. لهذا اكتفي الآن بذكر التأكيدات الهامة حول بعض النقاط وأؤجل إثبات وجهة نظري إلى حين صدور كتاب آخر لي سأنشره قريبًا بإذن الله"(٢٩).

سار غيين روبليس على الخطة التي انتهجها، فاكتفي بعرض ملاحظات بسيطة حول الحكاية التي ينشرها واختار المؤلفات الحافلة بالألوان، والتي يختلط بها الأسى والألم.. يؤكد روبليس أن هذه الحكايات عظيمة الفائدة بالنسبة للباحث اللغوي ولعالم الآثار وللمؤرخ وللفنان، فسيجدون فيها معلومات وإيحاءات وأدلة على الآثار التي طبعها العرب على اللغة والحياة في إسبانيا.

بالإضافة إلى المجلدات الثلاث التي يتكون منها كتاب " أساطير موريسكية" فقد نشر غيين روبليس عام ١٨٨٨ كتابًا يتضمن حكايتين: قصة يوسف، وقصة الإسكندر الأكبر(٣٠)، وتسبق الحكايتين مقدمة طويلة عن هاتين الشخصيتين كما يصورهما القرآن وكما تصورها الحكايتان بعد أن طوّرهما الخيال الشعبي في الشرق. مصدر الحكايتين هو المخطوطات الموجودة في المكتبة الوطنية بمدريد. والحكايتان عبارة عن ترجمات إسبانية لكتب وضعها الموريسكيون بالعربية في منتصف القرن السادس عشر.

ترجمات غيين روبليس ليست حرفية دائمًا. كان يضع في اعتباره أن كتبه موجهة إلى الجمهور العادي لا الى المتخصصين، فاستخدم كلمات معاصرة وطوّر التعبيرات الصعبة، لكنه وضع في ملاحظات هامشية التعبير الأصلي الموجود في المخطوطة. لنفس السبب حذف عبارات المديح التي تلي كل اسم لكي تسهل عملية القراءة. (*)

(*) يحاول بعض الباحثين الأسبان تبسيط أسلوب المخطوطات الموريسكية، وذلك بحذف عبارات مثل (صلى الله عليه وسلم)، (رضي الله عنه) .... إلخ. (المترجم)

هذا الكتاب والكتابان الآخران ليس لهم أهمية كبيرة بالنسبة للباحث فى مجال الأدب أو فى مجال اللغة ، لأن روبليس غيَّر اللغة بشكل عام بل وبعض التفاصيل أحياناً لكى يجعل الرواية مثيرة.

كان روبليس متعاطفاً مع مصائب "هؤلاء الناس الذين كانوا بؤرة حية فى المجتمع الإسبانى، وكانوا سبباً فى انشقاقه بل وفى بعض الأخطار التى واجهها أسلافنا "(٣١) . وقد أدرج روبليس فى كتاب " حكايات يوسف والاسكندر" نصاً لم يكن قد نُشر من قبل عن حياة المبشر الفالنسى خوان مارتين فيغيرولا ، وهو نص هام جداً لأنه يوضح " الاضطهاد الذى تعرضوا له فى علاقاتهم بالمسيحيين... والطريقة التى كان يتبعها البعض فى وعظ هؤلاء المساكين"(٣٢).

أنطونيو الماغرو كارديناس :

ولد الماغرو فى غرناطة فى منتصف القرن الماضى ، والتحق بكلية الآداب بجامعتها وتخصص فى اللغتين العبرية والعربية. كان كاتباً وباحثاً لغوياً ومؤرخاً وعالم آثار ، ثم أصبح وهو شاب أستاذاً للغة العربية فى جامعة غرناطة، وانتقل بعد ذلك إلى سلمنكا كأستاذ للغة العبرية.

وقد نشر ألماغرو عام ١٨٨٦ مجموعة دراسات فى مجال الآثار والتاريخ حول الآثار العربية فى غرناطة بعنوان " المتحف الغرناطى للآثار العربية" ، وترك بعد وفاته كتاباً لم يُنشر تحت عنوان" موجز تاريخى جغرافى لمملكة غرناطة" ، ولا تزال مخطوطات الكتاب موجودة حتى الآن فى مكتبة جامعة غرناطة.

وفى مجال علوم اللغة العربية نشر الماغرو " مبحث لغوى ونحوى للهجة العامية فى المغرب" ، وهو كتاب كان مفيداً للغاية فى ذلك العصر.

أما أهم كتب الماغرو فهو "دراسة حول النقوش العربية فى غرناطة" (٣٣) ، وهو كتاب متوسط الحجم. الكتاب عبارة عن ترجمة أخرى للنقوش الشهيرة التى تزين جدران صالات قصر الحمراء ، وهى نقوش ترجمها كل من : ألونسو ديل كاستيو ، وبابلو لوثانو ، والأب أنتشيباريا، وغايانغوس ، واميليو لا فوينتى ألكانترا.

كل واحد من هؤلاء المذكورين حاول تحسين الترجمات الموجودة وزيادة عدد النقوش المترجمة. أضاف غايانغوس بعض النقوش التى لم تكن موجودة فى ترجمة لوثانو، وادرج لافوينتى ألكانترا نقوشًا جديدة صعبة القراءة نظرًا لتلفها أو لطبيعة موضوعها. ومع ذلك فإنه ترك المجال مفتوحًا أمام إضافات أخرى، و كانت هناك نقوش أخرى- سواء فى قصر الحمراء أو فى مدينة غرناطة - جمعها الماغرو وأدرجها فى كتابه وقام ببعض التصويبات التى أسهمت فى تحسين الترجمات المعروفة فى ذلك الحين.

أضاف الماغرو فى كتابه النقوش العربية الموجودة فى المدرسة. وقد استعمل الفقرات المحفوظة فى متحف اللجنة الإقليمية للآثار ، وأكمل هذه الفقرات بالاستعانة بمخطوطات كانت لدى سيمون أغوتى ؛ وهذا ما مكّنه من تكوين مجموعة كاملة من النقوش التى كانت تزين تلك الجامعة العربية.

أما من حيث المنهج الذى اتبعه الماغرو فهو نفس المنهج الذى سار عليه من سبقوه. إنه يعرض النقوش ويقدم وصفًا للمكان الموجودة فيه ، ثم يقدم الترجمة ، ثم يقدم بعض ملاحظات توضيحية عن النص أو عن معنى كلمة ما أو حول عادة من العادات الإسلامية المتعلقة بالعبارة المنقوشة.

أخيرًا وفى عام ١٩٠٤ نشر الماغرو ترجمة حياة أستاذه سيمونيت ، وهو عمل أشرت إليه عندما تحدثت عن هذا المستعرب.

* * *

هناك مستعربون آخرون معظمهم أساتذة جامعيون - مثل ماريانو غاسبار ريميرو، وباسكوال مينيو، ومكسيميليانو ألا ركون ، وآخرين - يمكن اعتبارهم نقطة وصل بين المستعربين الذين ذكرناهم فى هذا الكتاب وبين المستعربين المعاصرين الذين ينتمون إلى المدرسة التى بدأها كوديرا. ولد هؤلاء المستعربون فى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، وكان معظمهم تلاميذ للمستعربين الذين درسناهم أو زملاء

للمستعربين الذين أعطوا للدراسات العربية فى إسبانيا دفعة قوية خلال السنوات الأولى للقرن العشرين.

هؤلاء المستعربون لا ينتمون إلى أى من الفريقين : إما لأن تكوينهم الثقافى واهتماماتهم مختلفة عن مستعربى القرن التاسع عشر؛ وإما لأن هذا التكوين الثقافى نفسه قد حال بينهم وبين كتابة دراسات هامة فى هذا المجال.

الهوامش

(1) EDUARDO SAAVEDRA Y MORAGAS, Discurso. Tema: "Los escritos de los mudéjares y los moriscos", "Memorías de la Real Academia Española", Madrid, 1889 ،t. VI, pp. 140-327.

كان أوريليانو فيرنانديث غيرا قد تحدث عن نفس الموضوع فى خطاب ألقاه أمام أكاديمية اللغة الإسبانية بمناسبة التحاق شقيقه لويس بها.

(2) EDUARDO SAAVEDRA Y MORAGAS, Discursos leìdos ante la Real Academia Española en la recepciòn pùblica del Sr. D. Eduardo Saavedra el dìa 29 de diciembre de 1878 ...Adéndices al discurso de D. E. Saavedra: Indice general de la literatura aljamiada, Glosario de palabras aljamiadas o poco conocidas que se encuentran en el discurso y en el Apéndice anterior, Madrid, 1889 ,

(٣) هذا الكتاب درسه فيما بعد خايمى أوليفر أسين. انظر: مجلة الأندلس ١٩٣٣ ص ٤٠٩-٤٥٠.

(4) La geografia del Edrisi, trad.por D. EDUARDO SAAVEDRA. "Boletìn de la Sociedad geogràfica de Madrid", 1881-82.

(5) EDUARDO SAAVEDRA Y MORAGAS, Estudio sobre la invasiòn de los àrabes en España, Madrid, 1892 .

(6) E . SAAVE DRA ،Estudio sobre la invasiòn..., p. 9 .

(7) E.SAAVEDRA ،Estudio sobre la invasiòn..., p. 48

(8) EDUARDO SAAVEDRA Y MORAGAS, Intereses de España en Marruecos, discursos pronunciados en el meeting de la Sociedad española de Africanistas y Colonìstas celebrado en el teatro de la Alhambra, el dìa 3 de marzo de 1884 ،Madrid, 1884 .

(9) EDUARDO SAAVEDRA Y MORAGAS, El còdice aràbigo intitulado Tarij Mansurì, Informe a la Real Academia de la Historia el 30 de enero de 1885 ،en "Boletín de la Academia de la Historia",t. V, 1884 ،pp. 159-62 .

(10) EDUARDO SAAVEDRA Y MORAGAS, La mujer mozàrabe, conferencia dada en el cìrculo de San Luis de esta corte, el dìa 21 de abril de 1904 ،Madrid, 1904 .

(11) EDUARDO SAAVEDRA Y MORAGAS, Abderramàn 1; monografìa històrica, ""Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos", 1910 ،XXII, pp. 341-58 ;XXIII, pp. 28-44 .

(12) JOSE MARÌA LÒPEZ, EL padre Lerchundi; Biografìa documentada, Madrid, 1927

(13) JOSE LERCHUNDI, Rudimentos de àrabe vulgar que se habla en Marruecos, Madrid, 1873 .

(14) JOSE LERCHUNDI Y FRANCISCO J. SIMONET, Crestomatia aràbigo-española, Granada, 1881 .

(١٥) هذه الدراسة استخدمها راهب آخر يُدعى رافائيل غونثاليث بيريث لإنجاز كتابه :

Gramàtica de la lengua àrabe literal o clàsica, Tànger, 1910 .

(16) FRANCISCO PONS BOIGUES, Estudios breves. Pròlogo de Guillerno Guastvino, Tetuàn, 1952 .

(17) PEDRO ROCA Y LÒPEZ, Vida y obras de D. Francisco Pons y Boigues ""Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos", Madrid, 1910 ،IV, pp. 496-510.

(18) F. PONS, Estudios breves, p. 67.

(١٩) هذه الدراسة قام بها كل من :

D. Angel Gonzàlez Palencia en Los mozàrabes de Toledo en los siglos XII y XIII, Madrid, 1926-30,

D. ISIDORO DE LAS CAJIGAS, Los mozàrabes; minoràas étnico-religiosas de la Edad Media española, Madrid, 1947-48 .

(20) FRANCISCO PONS BOIGUES, Ensayo bio-bibliogràfico sobre los historiadores y geògrafos aràbigo-españoles, Madrid, 1898 .

(21) P. ROCA, Vida y obras de D.F. Pons Boigues, ""Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos", IV, p. 613 .

(22) F.PONS BOIGUES, Ensayo bio-bibliogràfico..., p. 12.

(23) VICTOR CHAUVIN, Le bibliographe moderne, julio-octubre, 1899 ،pp. 355-57 .

(24) JUAN HURTADO Y ANGEL GONZÀLEZ PALENCIA, Historia de la literatura española, Madrid, 1949 ،p. 687 .

(25)Homenaje a Menéndez y Pelayo en el año vigésimo de su profesorado, Estudios de erudiciòn española, Madrid,I, 1899 ،pp. 509-23 .

(26) P.ROCA, Vida y obras de D.F. Pons Boigues, ""Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos", IV, p. 621 .

(27) FRANCISCO GUILLEN ROBLES, Leyendas moriscas sacadas de varios manuscritos existentes en las Bibliotecas Nacional, Real y de D. Pascual de Gayangos, Madrid 1885 ‹3 vols.

(28) GUILLEN ROBLES, Leyendas moriscas...,t. I, p. 10

(29) GUILLEN ROBLES, Leyendas moriscas...,t. I, p. 13 .Este trabajo no llegò a realizarlo o por lo menos no està publicado.

(30) FRANCISCO GUILLEN ROBLES, Leyenda de José hijo de Jacob y de Alejando Magno, sacadas de dos manuscritos moriscos de la Biblioteca Nacional de Madrid, Biblioteca de escritores aragoneses, Secciòn literaria, Zaragoza, 1888 ‹t. v.

(31) GUILLEN ROBLES, Leyendas, t,I,p.11.

(32) GUILLEN ROBLES, Leyendas, t,I,pròl. P. LVII

(33) ANTONIO ALMAGRO CÀRDENAS, Estudio sobre las inscripciones àrabes de Granada, con un apéndice sobre su Madraza o Universidad àrabe, Granada, 1879 .

خاتمة

كان الهدف من هذا الكتاب هو جمع كل المستعربين الذين اقتربوا من الدراسات العربية بشكل مباشر بدافع من الحركة الرومانسية في الأدب. كلهم - بدرجات متفاوتة -جرّبوا حظهم في الكتابة الروائية قبل أن يقوموا بدراسة جادة في المجال التاريخي أو الأدبي أو اللغوي. كان القالب الكلاسيكي الجديد للقرن الماضي يقيد التخيل ويحصره داخل حدود وقواعد ثابتة، وكانت مهمة الرومانسية هي اكتشاف مجالات جديدة وغريبة ومن بينها المجال الشرقي في المقام الأول، لكنه شرق - كما يقول الماغرو - " تقليدي، ممتد حتى الحدود الغربية لأوربا، حتى إسبانيا، حتى غرناطة"(٣٤).

وسار بعض الكتاب الإسبان في هذا الاتجاه الجديد واهتموا بإحياء التراث العربي في إسبانيا فأدركوا أن هذا التراث كان أكثر جدية وأهمية مما يصوره الخيال. وبينما كان الاستشراق الرومانسي في الدول الأخرى له قيم جمالية وناتجاً عن مدرسة، أدى الاستشراق في إسبانيا إلى إبراز حقائق فرضت نفسها في مجال الآداب والفنون والطبوغرافيا بل وفي الحياة اليومية(٣٥).

كانت هناك حقائق أساسية تكمن وراء الخيال التاريخي ، تلك الحقائق هي التي حددت معالم طريق تاريخ إسبانيا ، وكان من الضروري دراستها. فتح كوندي الباب، ورغم نقد دوزي وأتباعه له إلا أن كتابه ومنهجه حازا الإعجاب ليس فقط في إسبانيا بل وفي خارجها أيضا . اضطر كوندي أن يقوم بعمله بمفرده مستعينا بمثابرته وصبره ، ففي عصره كان الناس يجهلون كثيرا من أسرار اللغة العربية الصعبة ، ولم تكن هناك قواميس يمكن الاستعانة بها ولا مدرسين يُرجع إليهم عند الضرورة. رغم كل ذلك كانت أعمال كوندي - رغم افتقارها إلى الأدوات العلمية التي تحتاج إليها دراسةٌ من هذا

النوع — هامة ، إذ أنها أظهرت للباحثين أن معرفة تاريخ إسبانيا كانت من وجهة نظر واحدة فقط. كان الناس قد درسوا بتركيز وبموضوعية روايات المؤرخين المسيحيين ونظرتهم للأحداث ، لكنهم لم يدرسوا الأحداث من وجهة نظر الشعب الذى غزا إسبانيا وانتصر فيها على مدى قرون كثيرة.

إن نفس من انتقدوا كوندى هم الذين قلدوه بعد ذلك؛ لأن المجال الذى افتتحه كوندى أمامهم كان حافلاً بالإمكانيات.

اتبع غايانغوس نفس الطريق – لكن باستعداد علمى أكثر صلابة – فسارت الدراسات العربية ببطء لكن بشكل أكثر أماناً واتباعاً للمنهج العلمى. رأى غايانغوس أنه قبل القيام بدراسة شاملة ينبغى توفير المادة العلمية وترجمة العديد من المخطوطات التى كانت مجهولة وقابعةً فى المكتبات الإسبانية. وبعد أن جمع غايانغوس العديد من البيانات ودرس مختلف الروايات التى ذكرها المؤرخون العرب جاءت لحظة الشروع فى تفسير تلك البيانات.

كان غايانغوس أول من أسس مدرسة ، ويمكن اعتباره المؤسس الحقيقى للدراسات العربية فى إسبانيا. إن كل المستعربين اللاحقين – تقريباً – كانوا تلاميذه بشكل مباشر أو غير مباشر، وبفضل نموذجه وتأثيره نُشرت وترجمت أعمال كثيرة كانت مجهولة حتى ذلك الحين.

فى المجال اللغوى كذلك كان عمل مستعربى القرن التاسع عشر عظيماً. بدأ مستعربون مثل سيمونيت وإيغيلاث وغايانغوس دراسة اللغة وحددوا تاريخ الكلمات ذات الأصل العربى، وهكذا هدموا نظريات مزيفة عن أصل بعض الكلمات ، ووضعوا أساسا للدراسات الصوتية التاريخية المعاصرة.

وفى مجال الأدب البحثى دُرست الحكايات والأعمال الإبداعية ذات التأثير الواضح فى المؤلفين الإسبان اللاحقين. اكتُشفت تأثيرات متبادلة وحُللت هذه التأثيرات ووضعت نظريات طُورت فيما بعد.

وجه كوندى نظر الباحثين إلى تأثير الشعر الوجدانى العربى فى الشعر الإسبانى خلال العصور الوسطى واهتم كل من سيرافين كالديرون وغايانغوس بعناصر الموسيقى

العربية التى أثَّرت فى الموسيقى الإسبانية ، خاصة الموسيقى الشعبية. أُخرج الأدب الألخميادو إلى النور وأُبرزت أهميته اللغوية، وهو أدب كان مجهولاً حتى ذلك الحين.

على أن أهمية مستعربى القرن التاسع عشر تكمن بشكل خاص فى البدء فى مراجعة الأفكار التى كانت سائدة فى إسبانيا حول الغزو العربى ، وقد بُنيت تلك المراجعة على أساس علمى.

أما فى المجال الأدبى فكانت أهم إنجازات مستعربى القرن التاسع عشر هى اكتشاف جاذبية شعرية ورومانسية لفترة الوجود الإسلامى فى إسبانيا ، وهو جزء من التاريخ كان يعتبره البعض فترةً يجب أن يخجل منها.

المراجع (١)

Bibliografía de Autores Estudiados

Alcaláá, Pedro de, Fray: Arte para ligeramente saber la lengua arábiga, Granada, 1501.

—Vocabulista arábiga en letra castellana. Granada, 1505.

ALDRETE, Bernardo: Del origen y principio de la lengua castellana o romance que hoy se usa en España. Roma, 1606.

ALMAGRO CÁREDENAS, Antonio: Biografía del doctor don Francisco Javier Simonet, catedrático que fue de lengua árabe en la Universidad de Granada. Granada, 1904.

—Estudio sobre las inscripciones árabes de Granada, con un apéndice sobre su Madraza o Universidad. Granada, 1879.

BANQUERI, José Antonio: Libro de agricultura. Su autor el doctor excelente Abu Sacaría Jahja Aben Mohammed ben Ahmed ibn el Awam, Sevillano. Traducido y anotado por... Madrid,1802.

CAÑES, Francisco, Fray: Diccionario español-latino-arábigo. Madrid, 1787.

—Diccionario manual árabe y español. Madrid, 1776.

—Gramática arábigo-española vulgar y literal con un diccionario arábigo-español. Madrid, 1775.

CASIRI, Miguel: Biblioteca arábico-hispaña Escurialensis sive librorum omnium mss. Quos arabice ab auctoribus magnam partem arabo-hispanis compositos bibliotecas cenobii escurialensis complectitur recensio et explanatio. Opera and estudio...Madrid, 1760 - 70.

CONDE, José Antonio: Censura crítica del altabeto primitivo de España. Madrid, 1806

—Censura crítica de la pretendida excelencia y antigüedad del vascuence, por don J.A.C., cura de Montuenga. Madrid, 1804.

—Descripción de España del xerit Aledris, conocido por el Nubiense. Madrid, 1799.

—Historia de la dominación de los árabes en España, sacada de varios mss, y memorias arábigas. Madrid, 1820 - 21, 3 vols.

—Memorias sobre las monedas árabes, principalmente sobre las que fueron acuñadas en España bajo los príncipes musulmanes. Memorias de la Real Academia de la Historia. Madrid, 1885.

DE LA TORRE, Patricio José: Vocabulista castellano arábigo, compuesto y declarado en letra y lengua castellana por M.R.P.Francisco. Pedro de Alcalá, de la orden de San Gerónimo, corregido, aumentado y puesto en caracteres arábigos por...Madrid,1805

EGUÍLAZ Y YANGUAS. Leopoldo: Del lugar donde fue ilberis, en "La ciencia cristiana".1879. XII, págs. 249 - 59, 363 - m369.

—Desafío en Granada de don Diego Fernández de Córdoba y don Alonso de Aguilar. Madrid, 1880.

—Discurso inaugural leído el día 1de octubre de 1866 en la Universidad literaria de Granada. Granada, 1866.

—El haditz de la princesa Zoraida, del Emir Abulhasan y del caballero Aceja. Relación romancesca del siglo XV o principios del XVI, en que se declara el origen de las pinturas de la Alhambra. Sácalas a luz...Granada, 1892.

—Elogio fúnebre del Excmo.Sr.D. José Moreno Nieto y Villarejo. Granada, 1882.

—Etude sur les peintures del'Alhambra, par...Dessins de M. Raphael Latorre, Granada, 1896.

—Estudio sobre el valor de las letras arábigas en el alfabeto castellano y reglas de lectura. Madrid, 1874.

—Glosario etimológico de palabras de origen oriental (árabe, hebreo, malayo, persa, turco). Granada, 1886.

—Origen de las ciudades de Garnata e Illiberis y de la Alhambra, en "Homenaje a Codera", Zaragoza, 1904 , págs. 333 - 38 .

—Poesía histórica, lírica y descriptiva de los árabes andaluces. Tesis doctoral. Madrid, 1864 .

—Reseña histórica de la conquista del Reino de Granada por los Reyes Católicos, según los cronistas árabes. Granada, 1894 .

ESTÉBANEZ CALDERÓN, Serafín: Aparición de los Almogávares en Oriente, en "Revista Militar", Madrid, XI, 1852 .

—Cristianos y moriscos. Novela lastimosa. Madrid, 1838 .

—De la milicia de los árabes en España, en "Revista Militar", Madrid, VIII, 1851 .

—Discurso pronunciado en la apertura de la cátedra de árabe del Ateneo, en "Semanario pintoroesco español", núm.46. Madrid,1848

—Los tesoros de la Alhambra. Novelas y cuentos, Madrid, s.a

—Manual de oficial en Marruecos. Madrid,1844 .

FERNÁNDEZ Y GONZÁEZ, Francisco: De los moriscos que permanecieron en España después de la expulsión decretada por Felipe III, en "Revista de España", Madrid, XIX, XX, 1871 .

—Discurso leído ante la Academia Española en la recepción pública de don...Madrid, 1894 .

—Escultura y pintura en los pueblos de raza semítica, en "Revista de España", Madrid, XIX, XX, 1871

—Estado social y político de los mudéjares de Castilla considerados en sí mismos y respecto de la civilización española, Madrid, 1866

—Historia de Zeryyad ben Amir de Quinena, hallada en la Biblioteca del Escorial y trasladada directamente del texto arábigo original en lengua castellana, Madrid, 1881 .

—Historia de Al-Andalus por Aben Adhari de Marruecos, traducidas...y publicadas con notas y un estudio histórico-crítico por...Granada, 1860 .

—La influencia de las lenguas y letras orientales en la cultura de los pueblos de la Penénsula Ibérica, Madrid,1894 .

—Ordenamiento formado por los procuradores de las aljamas hebreas pertenecientes al territorio de los Estados de Castilla... el año 1432 . Texto hebreo rabínico mezclado de aljamía castellana. Traducido, anotado e ilustrado con una introducción histórica. Madrid, 1886 .

—Plan de una biblioteca de autores árabes españoles o estudios biográficos y bibliográficos para servir a la historia de la literatura arábiga en España, Madrid, 1861 .

GAYANGOS, Pascual de: Leyes de moros y Suma de los principales mandamientos y devedamientos de la Ley y la sunna, por Ica ben Gebir. Memorial histírico español, V. Madrid, 1853 .

—Memoria sobre la autenticidad de la crónica denominada del Moro Rasis. Memorias de la Real Academia de la Historia, Madrid, VIII, 1852 .

—Plans, elevations sections and details of the Alhambra, London, 1842 .

—Principios elementales de la escritura arábiga, Madrid, 1861 .

—Arabic Mss. In Spain, en "Westminster Review", London, XXI, 1834 .

—The History of the Mohammedan dynasties in Spain, extracted from the Nafhu-t-tib min Ghosni-l-Andalusi-r-rattib...Al-Maqqari. London, 1840

GULLÉN ROBLES, Francisco: biografías de algunos célebres letrados que pertenecieron al ilustre colegio de Abogados de Málaga, 1876 .

—Catálogo de los manuscritos árabes existentes en la Biblioteca Nacional de Madrid, Madrid, 1889 .

—Historia de málaga y su provincia, Málaga, 1874 .

—Leyendas de José, hijo de Jacob, y de Alejandro Magno, sacadas de dos manuscritos moriscos de la Biblioteca Nacional de Madrid. Zaragoza,1886.

—Leyendas moriscas sacadas de varios manuscritos, Madrid, 1885 - 96 .

LAFUENTE ALCÁNTARA, Emilio: Catálogo de los códices arábigos adquiridos en Tetuán por el gobierno de S.M.Madrid, 1862 .

—Colección de obras arábigas de historia y geografía, Ajbar Machmuá(Colecci-ón de tradiciones). Crónica anónima del siglo XI... Traducida y anotada por...Madrid,1867 .

—Discursos leídos ante la Real Academia de la Historia en la recepción pública de don Emilio Lafuente Alcántara el día 25 de enero de 1863 Madrid, 1863 .

—Discurso de contestación a la recepción en la Academia de la Historia de don José Moreno Nieto, el 29 de marzo 1864. Madrid 1864.

—Inscripciones árabes de Granada, precedida de una reseña histórica y de la genealogía detallada de los reyes Alhamares. Madrid, 1859.

—Relaciones de algunos sucesos de los últimos tiempos del Reino de Granada que publica la Sociedad de bibliófilos Españoles. Madrid,1868.

LAFUENTE ALCÁNTARA, Miguel: Condición y revoluciones de algunas razas españolas y especialmente de la moz árabe en la Edad Media. Discurso de recepción en la Academia de la Historia, Madrid, 1847.

—Historia de Granada, comprendiendo la de sus cuatro provincias, Almería ,Jaén, Granada y Málaga, desde remotos tiempos hasta nuestros días. Granada, 1843 - 46.

LAFUENTE, Modesto: Discursos leídos en la sesión pública de la Academia de la Historia en la recepción de don Modesto Lafuente, el 23 de enero de 1853. Madrid,1853.

LERCHUNDI, José: Crestomatía arábigo-española, Granada,1881.

—Rudimentos de árabes vulgar que se habla en el Imperio de Marruecos. Madrid 1873.

—Vocabulario español- arábigo del dialecto de Marruecos. Tánger,1892. MORENO NIETO, José Discursos leídos ante la Real Academia de la Historia en la recepción pública de don José Moreno Nieto, el 29 de mayo de 1864.

—Estudio crítico sobre los historiadores arábigo-españoles. Madrid, 1882.

—Gramática de la lengua arábiga, Madrid, 1872.

PONS BOIGUES, Francisco: Apuntes sobre las escrituras mozárabes toledanas que se conservan en el Archivo Histórico Nacional. Madrid 1897

—El filósofo autodidacto de Aben Tofial. Novela psicológica traducida por...,con un prólogo de Menéndez y Pelayo. Madrid, s.a.

—Ensayo bio- bibliográfico sobre los historiadores y geógrafos arábigo-españoles. Madrid, 1898.

—Estudios breves. Tetuán, 1932

SAAVEDRA Y MOAGAS, Eduardo: Abderrahman 1, monografía histórica, en "Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos". Madrid, XXII, XXIII, 1910.

—discursos leídos ante la Real Academia Española en la recepción pública del señor don Eduardo Saavedra, el 20 de diciembre de 1878 . Madrid,1878

—Discurso de contestación leído ante la Real Academia de la Historia en la recepción pública del Excmo. Sr. Adolfo Carrasco y Sáiz, general de división, el día 1 de julio de 1900 . Madrid, 1900 .

—El códice arábigo intitulado Tarij Mansuri, en "Poletín de la Real Academia de la Historia". Madrid , t. V, 1910 .

—Intereses de España en Marruecos. Madrid, 1884 .

—La Geografía de España de El Idrisi, Madrid, 1881 .

—La mujer mozárabe. Madrid, 1904 .

—Estudio sobre la invasión de los árabes en España. Madrid, 1892 .

SIMONET, Francisco Javier: Concilio III de Toledo. Madrid, 1891 .

—Cuadros históricos y descriptivos de Granada. Madrid, 1896 .

—Crestomatía arábigo-española o colección de fragmentos históricos, Nación sarracena, seguido de un vocabulario por el R.P. Fray José Lerchundi y don Francisco Javier Simonet. Granada, 1881 .

—De la influencia del elemento indígena en la civilización arábigo-hispana en "La Ciudad de Dios", Madrid, V, 1870 .

— . Madrid, 1860

—Descripción del Reino de Granada bajo la dominación de los Naseritas, sacada de los autores árabes y seguida del texto inédito de Mohammad ibn Aljatib

—Descripción de la ciudad de Granada, según los autores árabes. Granada, 1862 .

—Discurso de recepción en la Universidad de Granada. Granada, 1866 .

—El cardenal Ximénez de Cisneros y los manuscritos arábigo-granadinos. Granada, 1885 .

—El Siglo de Oro de la literatura arábigo-española. Tesis doctoral. Granada, 1867

—Estudios históricos y filológicos sobre la literatura arábigo-mozárabe, en "Revista de la Universidad de Madrid". Madrid, 1872 - 73

—Filología arábigo-hispana, en "Revista de la Universidad de Madrid". Madrid,1874.

—Glosario de voces ibéricas y latinas usadas entre los mozárabes, precedido de un estudio sobre el dialecto hispano-mozárabe. Madrid 1888

—Historia de los mozárabes. Madrid,1897 - 1903 .

—Influencia del elemento indígena en la cultura de los moros de Granada, Málaga, 1894 .

—Leyendas históricas árabes, con prólogo de Pedro de Madrazo. Madrid, 1858 .

—Memoria presentada al IX Congreso Internacional de Orientalistas celebrado en Londres en septiembre de 1891 , sobre el tema: la mujer arábigo-española. Granada, s.a.

—Samuel ben Hafsun, en "Ciencia "Madrid, XII, 1879 .

—Santoral hispano-mozárabe, escrito en 961 por Rabi ben Said, obispo de Illiberis, en "Ciudad de Dios "Madrid, V, 1871 .

—Una expedición a las ruinas de Bobastro, en "Cristiana", Madrid, IV y V, 1877 .

المراجع (٢)

Bibliografía General

ALLISON PEERS, E: Ramon lull. A. Biography. London, 1929.

—Historia del movimiento romäntico español. Madrid, 1954.

ALONSO, Amado: Trueque de sibilantes en antiguo-español, en "Nueva Revista de Filología Hispánica",Buenos Aires, I, 1947.

—Las correspondencias arábigo-españolas en los sistemas sibilantes, en "Revista de Filología Hispánica". Buenos Aires, año VIII, 1946.

—Poesía arábigo-andaluza y poesía gongorina, en "Al-Andalus". Madrid, VIII, 1943.

ALONSO MUNOFERRO, Luis: La Facultad de Medicina en la Universidad de Alcalá de Henares. Madrid, 1945.

AMADOR DE LOS RIOS Y VILLALTA, A: Inscripciones árabes sobre Córdoba. Madrid, 1880.

AMADOR DE LOS RIOS, José: Mozárabes, mudéjares y moriscos, en "Revista española de ambos Mundos", Madrid, noviembre, 1854.

ASTARBA, Pablo: Apología de la lengua vascongada o ensayo crítico-filológico de su perfección y antigüedad sobre todas las que se conocen, en respuesta a los reparos propuestos en el Diccionario Geográfico-Histórico de España. Madrid, 1804.

BALBÍN DE UNQUERA, Antonio: El padre Hervás y la Filología comparada. Madrid, 1885.

BARRAU-DIHIGO, L: Contribution a la critique de Conde, en "Homenaje a don Francisco Codera". Zaragoza, 1904.

—Les origines du royaume de Navarre, d'aprés une théorie récente, en "Revue Hispanique". París, VI, 1900.

MATAILLON, Marcel: Erasmo y España. México, 1950.

—L'arabe á Salamanque au temps de la Renaissance, en "Hesperis" París, XXI, 1935.

BLANCO GARCÍA, P: La literatura espa˜mola en el siglo XIX. Madrid, 1941.

BOVER, Joaquín María: Biblioteca de escritores baleares. Palma de Mallorca, 1844.

Cagigas ,Isidro de las: los mozárabes. Madrid, 1947 - 48.

—CÁNOVAS DEL CASTILLO, A: El Solitario y su tiempo. Madrid, 1883.

ARRERAS Y BAUDI, Francisco :Relaciones de los vizcondes de Barcelona con los árabes. Zaragoza, 1904.

CARRASCIO URGOITI, María Soledad: El moro de Granada en la literatura del siglo XV al XX. Madrid,1956.

CARRIAZO, Juan de Maas: Las treguas de Granada, en "Al-Andalus" Madrid, XIX, 1954.

—Una confirmación inédita de la "Relación" de Hernando de Baeza, en "Al-Adalus". Madrid, XIII, 1948.

—CASPARI, C.F.: Grammaire arabe. Traduie par E. Uricoechea. París, 1881.

CASTELLANO, Sergio: Literatura árabe. Madrid, 1946.

—Los estudios árabes en España. Madrid, 1947.

—CASTELLANOS, Basilio S.: El Siglo XIX. Madrid, 1957.

CASTRO, Américo: La realidad histórica de España. México, 1954.

CATALAN MENÉNDEZ-PIDAL, Diego: Ideales moriscos en una Crónica de 1344, en "Nueva Revista de Filología Hispánica". México, VII,1953.

CIROT, G.: La maurophille littéraire en Espagne au XVIe. Siécle, en "Bulletin Hispanique". París, XL, 1938 ,XLI, 1939, XLIII, 1940.

CODERA Y ZAIDÍN, Francisco: Discursos leídos ante la Real Academia Española en la recepción pública del Excmo. Sr. D. Francisco Codera. Madrid,1910.

—Informe sobre Historia de Caravaca y de su Santísima Cruz, por D. Quintín Bas y Martínez, en "Boletín de la Real Academia de la Historia ," Madrid, VIII, 1886.

—Informe sobre D. Faustino de Borbón y sus Cartas para ilustrar la historia de España, en "Boletín de la Real Academia de la Historia ," Madrid, IX, 1886.

—Almacén de un librero morisco descubierto en Almonacid de la Sierra, en "Boletín de la Real Academia de la Historia.V,1884, COLE,J.M.: Escuelas de lenguas orientales en los siglos XIII y XIV, en Analecta sacra Tarraconensis ", XVII, 1944.

CONTRERAS, Rafael: Estudio descriptivo de los monumentos árabes de Granada, Sevilla y Córdoba, o sea la Alhambra, el Alcázar y la Gran Mezquita de Occidente, Madrid,1878

COVARRUBIAS Y OROZCO, S.: Tesoro de la lengua castellana. Madrid, 1611.

CHAPLYN, Marjorie A.: Le roman mauresque en France de Zayde ua dermier Abencérrage. Nemours, 1928.

CHAUVIN, Victor: bibliographie des ouvrages arabes ou relatifs aux Arabes publiés dans l'Europe Chrétienne de 1810 a 1875. Liége, 1892 - 1922, 12 vols.

—Le bibliographie moderne, Liége, 1899.

CHURCHMAN, R. and ALLISON PEERS, E: A survey of the Influence of Sir Walter Scott in Spain, en "Revue hispanique". París, IV, 1922.

1600. Philadelphia, 1927.

DEL CASTILLO Y OLIVAS, P. M.: diálogos españoles-árabes o guía de la conversación mogharbl.. Madrid, 1860.

DE LA FUENTE, Vicente: Historia de las sociedades secretas antiguas y modernas en España. Lugo, 1871.

—Historia de las Universidades, Colegios y demás establecimientos de enseñanza en España. Madrid, 1884 - 1889.

DE LA TORRE Y DEL CERRO, Antonio: La Universidad de Alcalá. Datos para su historia. Madrid, 1910.

DERENBOURG, Hartwig: Les manuscritos arabes de L'Escurial. Paris, 1884.

DOZY REINHART, I: Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le Moyen Age. Leyde, 1849.

DUBLER, Cesar K.: Los nombres árabes de materia médica en la obra del doctor Laguna, en "Al-Andalus". Madrid, XVI, 1941.

DUGAT, Gustave: Histoire des Orientalistes de l'Europe du XIIe. Au XIX siécle pré-dée d'aune esquisse historique des études orientales. París, 1868 - 70.

DURÁN, Agustín: Romancero General. Biblioteca de Autores Españoles. Madrid, 1851.

EGUREN, José María: Memoria descriptiva de los códices notables conservados en los archivos eclesiásticos de España. Madrid, 1859.

FERNÁNDEZ ALMAGRO, Melchor: Granada en la literatura romántica española, discurso leído el día 9 de diciembre de 1951 en su recepción pública en la Real Academia española. Madrid, 1951.

FERNÁNDEZ CASANOVA, Adolfo: Discurso de recepción en la Real Academia de San Fernando. Madrid, 1892.

FERNÁNDEZ DE MORATÍN, Leandro: Obras póstumas...publicadas por orden y a expensas del Gobierno de S.M. Madrid, 1867.Tomo II.

FITZMAURICE-KELLY, J.: Chroniques, en "Revue Hispanique." París, 1897.

FLORANES, Rafael de: Orígenes de los Estudios de Castilla, especialmente los de Valladolid, Palencia y Salamanca. Madrid, 1793.

FOSTER,J.: History of the dominion of the Arabs in Spain, Translated from the Spanish of Dr. J.A. Conde. London, 1854.

Fück, Johann: Die Arabischen Studien in Europa. Leipzig, 1955.

GARCIA GÓMEZ, Emilio: Veinticuatro jaryas romances en muwassahas árabes, en "Al-Andalus". Madrid, XVII, 1952.

—Dos nuevas jaryas romances (XXV y XXVI) en muwassahas árabes, en "Al-Andalus". Madrid,XIX,1954.

—Nuevas observaciones sobre las jaryas romances en muwassahas hebreas, en "Al-Andalus". Madrid, XV, 1950.

—D. Miguel Asín (1871 - 1944). Esquema de una biografía. Biografía de D. Miguel Asín, en "Al-Andalus". Madrid, IX,1944.

—Silla del Moro y Nuevas escenas andaluzas.Madrid

GARCÍA MERCADEL, José: Historia del Romanticismo en España. Barcelona, 1943.

CONDY Y ALCÁNTARA, José: Historia de los falsos cronicones, Madrid, 1868.

GÓMEZ DE CASTRO, Alvar: De rebus gestis a Francisco Ximenenio Cisnerio, Archiepiscopo Toletano. Alcalá, 1869.

GÓMEZ MORENO, Manuel: Unas cartas del Solitario, en ""Boletín de la Real Academia Española", Madrid, XXXIII, 1953.

GONZÁLEZ PALENCIA, Angel: Historia de la literatura arábigo-española. Barcelona, 1928.

—El arzobispo D. Raimundo de Toledo. Madrid, 1942.

—Los mozárabes de Toledo en los siglos XII y XIII. Madrid, 1926 - 30.

—Moros y cristianos en la España medieval. Estudios histórico-literarios. Madrid, 1945.

—CONZÁLEZ, Joaquín: Essai chronologique sur les musulmans célébres de la ville d'Alger...Alger, 1866

—Fatho-l-Andaluci. Historia de la conquista de España. Argel, 1889.

—HOOGULET, M.: Diversorum scriptorum loci de regia Aphtasidarum familia et de Ibn Abduno poeta. Leide, 1839.

—JANER, Florencio: Condición social de los moriscos de España, cuasas de su expulsión y consecuencias que ésta produjo en el orden económico y político. Madrid, 1857.

—GIMENEZ, Alberto: *La ciudad del Estudio. Ensayo sobre la Universidad española.* México, 1944.

—OURDAIN, A.: *Recherches critiques sur l'age et l'origine des traductions latines d'Aristote et sur les Commentaires grecs ou arabes employés par les docteurs scholastiques.* París, 1840.

—OERSCH, Alphonse: *Correspondance de Nicolas Clenard.* Bruxelles, 1940.

—*L'Humanisme belge á l'époque de la remaissance: études et portraits, deuxiéme série,* Louvain, 1933.

—LÓPEZ, José María: *El Padre Lerchundi. Biografía documentada.* Madrid, 1927.

—LUNA, Miguel de: *Historia de la pérdida de España por el Moro Abulcasin.* Madrid,1654.

FLORENS CASTILLO, Vicente: *Liberales y románticos. Una emigración española en Inglaterra (1823 - 1834).* México, 1954.

MALO DE MOLINA, Manuel: *Rodrigo el Campeador. Estudio histórico fundado en las noticias que sobre este héroe facilitan las crónicas y memoriales árabes.* Madrid, 1857.

MANCEÑO Y OLIVARES, Miguel: *La batalla de Barbate.* Arcos de la Frontera, 1899.

MARISCAL, N.: *D. Alfonso el Sabio y su influencia en el desarrollo de las ciencias médicas en España,* Madrid, 1922.

MARLÉS, M. de: *Histoire de la domination des Arabes et des Maures en Espagne et en Portugal depuis l'invasion de ces peuples jusqu'á leur*

MARTINENCHE, E.: *L'Espagne et le Romantisme francais.* París, 1922

MARTÍNEZ DE LA ROSA, F.: *Doña Isabel de Solís, reina de Granada.* Madrid, 1839.

MARTÍNEZ TEBAS, Ernesto: *Estudio crítico-biográfico del ilustre hijo de Albacete, Excmo. Sr. D. Francisco Fernández y González,* Albacete, 1925.

MAURA, Antonio: *D:Francisco Fernández y González,* en "Boletín de la Academia Española". Madrid, IV, 1917

MELGARES Y MARÍN, Julio: Estado de la Universidad de Alcal'a de Henares desde su fundación hasta el año 1805, en "Revista de Archivos, bibliotecas y Museos".Madrid, VIII, 1903.

MELÓN Y RUIZ DE GORDEJUELA, A.: Lupercio Latras y la guerra de moriscos y montañeses de Aragón a fines del siglo XVI. Zaragoza, 1917.

MENÉNDEZ Y PELAYO MARCELINO: Estudios y discursos de crítica histórica y literaria. Madrid, 1941.

—Historia de los heterddoxos. Madrid, 1881. T. III.

—La ciencia española. Santander, 1954.

—Necrología de D. Pedro Roca, en "Revista de Archivos, bibliotecas y Museos". Madrid, 1903.

—Orígnes de la novela. Madrid, 1943.

MENÉNDEZ PIDAL, Ramón: Orígenes del español. Estado lingüístico de la Península Ibérica hasta el siglo XI. Madrid, 1929.

MILLÁS VALLICROSA, J.: El literalismo de los traductores de la corte de Alfonso el Sabio, en "Al-Andalus". Madrid, 1, 1933.

—Las traducciones orientales de los manuscritos de la biblioteca Catedral de Toledo. Madrid, 1942.

—Nuevas aportaciones para el estudio de la transmisión de la ciencia a Europa a través de España. Barcelona, 1943.

MITJANA, Rafael: Lettres de Mérimée á Estébanez Calderón, en "Revue Politique et Littéraire", 12 y 19 noviembre. París, 1812.

MOHL, Jules: Vingt-sept ans d'Histoire des Etudes Orientales. Rapports faits á Société Asiatique de París de 1840 á 1867.parís, 1879.

MONNERET DE VILLARD, U.: Lo estudio dell'Islam in Europe nel XII e nel XIII secolo, en "Studi e testi",110. Vatican City, 1944.

MOREJÓN, Antonio, H.: Historia de la medicina. Madrid, 1842.

MUÑOZ Y GAVIRIA, José: Historia del alzamiento de los moriscos. Madrid, 1861.

NEUVONEN, E.K.: Los arabismos del español en el siglo XIII. Helsinki, 1941

.NICOLÁS, Antonio: bibliotheca hispana nova. Madrid, 1783.

—bibliotheca hispana vetus. Madrid, 1788.

—OLIVER ASÍN, Jaime: Un morisco español, admirdor de Lope, en "Al-Andalus", Madrid, 1, 1933.

OLIVER Y HURTADO, J. y M.: La batalla de Vejer o del lago de la Janda, comúnmente llamada de Guadalete. Granada, 1869.

ORTIZA, J.: La preclara facultad de artes y filosofía de la Universidad de Alcalá de Henares en el siglo de oro. Madrid, 1942.

PANO Y RUATA, Mariano de: Las coplas del peregrino de Puey y Moncon. Viaje a la Meca en el siglo XVI..,con una introducción de D. Eduardo Saavedra. Zaragoza, 1897.

PELLAT, Charles: Langue et littérature arabes. París, 1952.

—Quatre lettres de J.A. Conde á Silvestre de Sacy, en "Revue Hispanique". París, XVIII, 1908.

RIBERA, Julián: La música de las cantigas. Madrid, 1927.

—Historia de la música árabe medieval y su influencia en la española. Madrid, 1927.

—La música andaluza medieval en las canciones de trovadores, troveros y mennisingers. Madrid, 1923 - 24.

RICARD, Robert: Etudes et documents pour l'histoire missionaire de l'Espagne et du Portugal. Louvain, 1950.

ROCA, Pedro: Vida y escritos de D. José Antonio Conde, en "Revista de Archivos, bibliotecas y Museos". Madrid, VIII, 1903 ; IX 1903 ; X, 1904.

—Noticia de la vida y obras de D. Pascual de Gayangos, en "Revista de Archivos, bibliotecas y Museos". Madrid, I, 1897 ; II 1898 ; III, 1899.

—Vida y obras de D. Francisco Pons Boigues, en "Revista de Archivos, bibliotecas y Museos". Madrid, IV, 1900.

ROERSCH, Alphonse: Correspondance de Nicolas Clenard. Bruxelles, 1940.

RON DE LA BASTIDA, G.: Los manuscritos árabes de Conde, en "Al-Andalus", Madrid, XXI, 1956.

RAMON Y SALAMERO, C.: Dos cartas inéditas de Mérimée a Estébanez Calderón, en "Revista de libros". Madrid, 1919.

RUJULA Y DE OCHOTERENA, José de: Indice de los colegiales de S. Ildefonso y menores de Alcalá. Madrid, 1946.

SAINZ DE ROBLES, Federico C.: Esquema de una historia de las Universidades españolas. Madrid, 1944.

SÁNCHEZ PÉREZ, José: Un arabista español del siglo XVIII, Fray Patricio José de la Torre, en "Al-Andalus", Madrid, XVIII, 1953.

SAAVEDRA, Angel, Duque de Rivas: La morisca de Alajuás. Comedia en tres jornadas. Madrid, 1841.

SARRAILH, Jean: L'émigration et le romantisme espagnol, en "Revue de Littérature comparée", X, 1930.

SCHIAPARELLI, C.: Vocabulista in arabico. Publicato per la prima volta sopra un codice della biblioteca Riccardiana di Firenze. Firenze, 1871.

Siguenza, José de, Fray: Historia de la orden de San Jerónimo. Madrid, 1907 - 9.

SIMON DÍAZ, José: Epistolario de D. Pascual de Gayangos. Aportación documental para la erudición española. Madrid, 1948.

_ Estébanez Calderón, numismático y amigo de Dozy. Aportación documental para la erudición española. Madrid, 1947.

—Interventción de Alfonso el Sabio en la redacción de sus obras, en "Revista de Filolog˜Ma Espaíola". Madrid, 1915.

STEIGER, Arnold: Contribución a la fonética del hispano-árabe y de los arabismos en el ibero-románico y el siciliano. Madrid, 1932.

STERN, S. M.: Un muwassah arabe avec terminaison espagnole, "Al-Andalus". Madrid, XIV, 1949.

TAPIA, Eugenio de: Discurso histórico-crítico del imperio musulmán en España y las causas que retardaron en la Monarquía castellana los progresos de la restauración y de las letras hasta el siglo XIII. Madrid, 1838.

TICKNOR, J.: Historia de la literatura española. Trad. Por D. Pascual de Gayangos. Madrid, 1856

VALENTÍ, JOSÉ: Los estudios arábigos en España (folleto). Madrid, 1910

VALERA, Juan: Estudios críticos sobre literatura, política y costumbres de nuestro siglo. Madrid, 1864.

VELÁZQUEZ Y BOSCO, Ricardo: Arte del califato de Córdoba, Medina Azzahra y Alamiriya. Madrid, 1910.

VIARDOT, L.: Histoire des arabes et des maures d'Espagne. París, 1851.

VIVES, Luis: Opera omnia. Valencia, 1785.

VOSSLER, Karl: La ilustración medieval en España y su trascendencia europea, en "Estampas del mundo romántico". Buenos Aires, 1946.

ZEKI, Ahmed: Rapport sur les manuscrits arabes conservés á l'Escurial en Espagne, presenté á son Excll. Fakhri Pachá ministre de l'Instruccion publique. Caire, 1894.

المحتويات

المؤلفة

- الاسم : مانويلا مانثاناريس دى ثيرى .
- أستاذة بجامعة واين ستيت (ديترويت) بالولايات المتحدة الأمريكية .
- يعتبر هذا الكتاب أهم مؤلَّفاتها ، ومن أهم ما كُتب حتى الآن عن الاستعراب فى إسبانيا .
- نشرت المؤلفة - بالإضافة إلى ذلك - العديد من الدراسات عن الأدب الألخميادو وعن الثقافة العربية الإسلامية .

المترجم

- الاسم : جمال أحمد عبد الرحمن .
- من مواليد ١٩٥٦ بقرية بنى مجد (أسيوط) .
- حاصل على درجة الإجازة العليا (الليسانس) فى اللغة الإسبانية بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف (١٩٧٩) من كلية اللغات والترجمة - جامعة الأزهر .
- الدراسات التمهيدية للدكتوراه فى جامعتى سلمنكا ومدريد .
- حاصل على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف من جامعة مدريد المركزية (١٩٨٩) .
- فى عام ٢٠٠١ رقى إلى درجة أستاذ بقسم اللغة الإسبانية بكلية اللغات والترجمة .
- له العديد من الكتب المترجمة والمقالات المنشورة فى مصر والخارج حول موضوعات مختلفة من الأدب الإسبانى والعلاقة بين الإسلام والثقافة الإسبانية .

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومـى للترجمـة مشـروع تنميـة ثقافيـة بالدرجـة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التـوازن بين المعـارف الإنسـانيـة فى المجـالات العلمـيـة والفنيـة والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ - الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ - التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ - ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ - مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ - التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ - خطاب الحكاية	چيرار چينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ - مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ - ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ - التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ - الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ - أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ - مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ - الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ - قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ - خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ - تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ - مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ - دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ - التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ - رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ - الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ - الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ - التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ - الرواية العربية	روجر ألن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ - الأسطورة والحداثة	پول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ – نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ – نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ – الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ – قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ – ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢ – عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ – اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
٤٤ – بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥ – التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ – عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ١	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ – حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩ – الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ – العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ – الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ – المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥ – ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ – مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ – المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ – التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ – موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢ – لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ – فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ – مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ – العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

٧٢ – السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣ – نقد استجابة القارئ	جين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤ – صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
٧٥ – فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ – جاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ – العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ – شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠ – بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
٨١ – الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢ – مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣ – مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
٨٤ – موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ – منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
٨٦ – طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧ – نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
٨٨ – الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩ – الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠ – وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ – المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ – أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجيل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ – محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ – الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥ – مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ – ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ – هوية فرنسا (المجلد الأول)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
٩٨ – الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ – تاريخ السينما العالمية	ديڤيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ – مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١ – النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ – السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣ – قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ – أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥ – مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ – الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : أشرف على دعدور
١٠٧ – صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨ – ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود علي مكي
١٠٩ – حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ – النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	ت : مني قطان
١١١ – المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ – الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ – راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ – مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ – غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ – امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ – المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلى أحمد	ت : مني إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ – النهضة النسائية في مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ – النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنيل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ – الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ – الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندي ، وإيزابيل كمال
١٢٢ – نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ – الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيثل الكسندر وفنادولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤ – الفجر الكاذب	چون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ – التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديڤى	ت : سمحه الخولى
١٢٦ – فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ – إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨ – الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ – الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ – الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١ – مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ – ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ – الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤ – تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ – المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ – فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ – مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	چوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨ – عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ – پارسيڤال	ريشارد ڤاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ – حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١ – اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ – الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣ – قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤ – صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ – موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ – الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبد الرؤوف اليمبى
١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ – التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ – غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ – مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ – الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى	جي أنبال وآلان وأوديت فيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧ – خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩ – الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ – آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ – من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ – تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
١٦٤ – شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ – حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليفمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ – فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ – دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ – إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ – الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ – وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ – حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ – معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ – صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ – التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ – نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ – أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ – مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ – حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ – قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبد الأمير حمدان
١٨١ – النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ – العنف والنبوءة	و . ب . ييتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ – جان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	ت : فتحى العشرى
١٨٤ – القاهرة .. حالمة لا تنام	هانز إيندورفر	ت : دسوقى سعيد
١٨٥ – أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ – معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ – الأرضة	بُزُرْج علوى	ت : علاء منصور
١٨٨ – موت الأدب	ألفين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ – العمى والبصيرة	پول دى مان	ت : سعيد الغانمى
١٩٠ – محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجانى
١٩١ – الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ – سياحت نامه إبراهيم بك جـ١	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ – عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ – مختارات من النقد الأنجلو – أمريكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ – شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ – المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ – الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ – الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ – تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ – ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ – الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ – الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ – تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ – الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى – سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ – الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ – ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ – شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ – السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ – مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ – فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢ – قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ – مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ – قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ – سياحت نامه إبراهيم بك جـ٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ – جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ – مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ – رايولا	خوليو كورتازان	ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ - بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ - الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ - شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ - فرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ - العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نفادى
٢٢٤ - دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ - حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت : طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ - المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماردينا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ - مأزق البطل الوحيد	نورمان كيمان	ت : أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠ - عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ - الدراقيل	خايمى سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ - مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ - فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ - الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ - ديوان شمس تبريزى ج١	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦ - الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ - مصر أرض الوادى	روبين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ - العولمة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩ - العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر - رابوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ - فى انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ - سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ١)	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ - الغليان	لاورا إسكيبيل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ - نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ - قصص مختارة	جابرييل جرثيا ماركث	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ - الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	وولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ - حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ - لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ - علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباظة
٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٥٢ - رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : على بدران
٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ - الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ - أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ – ديكارت	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ – تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ – الغجر	سير أنجوس فريزر	ت : عُبادة كُحيلة
٢٥٩ – مختارات من الشعر الأرمنى	نخبة	ت : ڤاروچان كازانچيان
٢٦٠ – موسوعة علم الاجتماع ج٣	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٦١ – رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ – مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ – الكشف عن حافة الزمن	چون جريين	ت : على يوسف على
٢٦٤ – إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ – روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ – مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ – فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عرودكى
٢٦٨ – ديوان شمس تبريزى ج٢	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ – الحضارة الغربية	توماس سى . باترسون	ت : شوقى جلال
٢٧٢ – الأديرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ – الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ – السيدة بربارا	رومولو جالجوس	ت : محمود على مكى
٢٧٥ – ت. س. إليوت شاعرًا وناقدًا وكاتبًا مسرحيًا	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ – فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمسانى
٢٧٧ – الچينات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزى
٢٧٨ – البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ – الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ – من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ – الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ – طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ – السهل يحترق	خوان رولفو	ت : على البمبى
٢٨٤ – هرقل مجنونًا	يوربيدس	ت : أحمد عتمان
٢٨٥ – رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ – سياحت نامه إبراهيم بك ج٣	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ – الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كينج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ – الفن الروائى	ديفيد لودچ	ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ – ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ – علم اللغة والترجمة	جورج مونان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ – مقدمة للأدب العربى	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ – فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ – سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ – مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوى
٢٩٧ – فن النحو بين اليونانية والسوريانية	ديونيسيوس ثراكس – يوسف الأهوانى	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ – مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت : مصطفى حجازى السيد
٢٩٩ – ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ – أسطورة بروميثيوس مج١	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى وبهاء چاهين
٣٠١ – أسطورة بروميثيوس مج٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى ومحمد الجندى
٣٠٢ – فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ – بـوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ – ماركس	ريـوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ – الجلد	كروزيو مالابارته	ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ – الحماسة – النقد الكانطى للتاريخ	چان – فرانسوا ليوتار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ – الشعور	ديفيد بابينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ – علم الوراثة	ستيف جونز	ت : ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ – الذهن والمخ	انجوس چيلاتى	ت : جمال الجزيرى
٣١٠ – يونج	ناجى هيد	ت : محيى الدين محمد حسن
٣١١ – مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ – روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت : أسعد حليم
٣١٣ – أمثال فلسطينية	خابير بيان	ت : عبد الله الجعيدى
٣١٤ – الفن كعدم	جينس مينيك	ت : هويدا السباعى
٣١٥ – جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت :كاميليا صبحى
٣١٦ – محاكمة سقراط	آ. ف. ستون	ت : نسيم مجلى
٣١٧ – بلا غد	شير لايموفا – زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ – الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ – صور دريدا	جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ – لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ – تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج١)	ليفى برو فنسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ – وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو. إيوجين كليتباور	ت : خالد مفلح حمزة
٣٢٣ – فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ – اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٢٥ – عالم الآثار	فيليب بوسان	ت : كرستين يوسف
٣٢٦ – المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت : حسن صقر
٣٢٧ – مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت : توفيق على منصور
٣٢٨ – يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٢٩ – رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت : محمد عيد إبراهيم

٣٣٠ – كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت : سامى صلاح
٣٣١ – عندما جاء السردين	ستيفن جراى	ت : سامية دياب
٣٣٢ – رحلة شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٣٣ – الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	ت : بكر عباس
٣٣٤ – لقطات من المستقبل	آرثر س. كلارك	ت : مصطفى فهمى
٣٣٥ – عصر الشك	ناتالى ساروت	ت : فتحى العشرى
٣٣٦ – متون الأهرام	نصوص قديمة	ت : حسن صابر
٣٣٧ – فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٣٣٨ – نظرات حائرة وقصص أخرى من الهند	نخبة	ت : جلال السعيد الحفناوى
٣٣٩ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٣	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٤٠ – اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت : فخرى لبيب
٣٤١ – قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت : حسن حلمى
٣٤٢ – سلامان وأبسال	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٤٣ – العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	ت : سمير عبد ربه
٣٤٤ – الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	ت : سمير عبد ربه
٣٤٥ – الركض خلف الزمن	بونه ندائى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦ – سحر مصر	رشاد رشدى	ت : جمال الجزيرى
٣٤٧ – الصبية الطائشون	جان كوكتو	ت : بكر الحلو
٣٤٨ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ١	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٤٩ – دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدرون وآخرين	ت : أحمد عمر شاهين
٣٥٠ – بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	ت : عطية شحاتة
٣٥١ – مبادئ المنطق	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٣٥٢ – قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	ت : نعيم عطية
٣٥٣ – الفن الإسلامى فى الأندلس (هندسية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٥٤ – الفن الإسلامى فى الأندلس (نباتية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٥٥ – التيارات السياسية فى إيران	حجت مرتضى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٥٦ – الميراث المر	بول سالم	ت : بدر الرفاعى
٣٥٧ – متون هيرميس	نصوص قديمة	ت : عمر الفاروق عمر
٣٥٨ – أمثال الهوسا العامية	نخبة	ت : مصطفى حجازى السيد
٣٥٩ – محاورات بارمنيدس	أفلاطون	ت : حبيب الشارونى
٣٦٠ – أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ت : ليلى الشربينى
٣٦١ – التصحر : التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	ت : عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢ – تلميذ باينبرج	هاينرش شبورال	ت : سيد أحمد فتح الله
٣٦٣ – حركات التحرر الأفريقى	ريتشارد جيبسون	ت : صبرى محمد حسن
٣٦٤ – حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	ت : نجلاء أبو عجاج
٣٦٥ – سأم باريس	شارل بودلير	ت : محمد أحمد حمد
٣٦٦ – نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	ت : مصطفى محمود محمد

العنوان	المؤلف	المترجم
٣٦٧ – القلم الجرىء	نخبة	ت : البرّاق عبد الهادى رضا
٣٦٨ – المصطلح السردى	جيرالد برنس	ت : عابد خزندار
٣٦٩ – المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	ت : فوزية العشماوى
٣٧٠ – الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	ت : فاطمة عبد الله محمود
٣٧١ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ٢	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٧٢ – عاش الشباب	وانغ مينغ	ت : وحيد السعيد عبد الحميد
٣٧٣ – كيف تعد رسالة دكتوراه	أمبرتو إيكو	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٧٤ – اليوم السادس	أندريه شديد	ت : حمادة إبراهيم
٣٧٥ – الخلود	ميلان كونديرا	ت : خالد أبو اليزيد
٣٧٦ – الغضب وأحلام السنين	نخبة	ت : إدوار الخراط
٣٧٧ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٤	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٧٨ – المسافر	محمد إقبال	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٧٩ – ملك فى الحديقة	سنيل باث	ت : جمال عبد الرحمن
٣٨٠ – حديث عن الخسارة	جونتر جراس	ت : شيرين عبد السلام
٣٨١ – أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	ت : رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢ – تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	ت : أحمد محمد نادى
٣٨٣ – هدية الحجاز	محمد إقبال	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٨٤ – القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	ت : إيزابيل كمال
٣٨٥ – مشترى العشق	محمد على بهزادراد	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٨٦ – دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ت : ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧ – أغنيات وسوناتات	چون دن	ت : بهاء چاهين
٣٨٨ – مواعظ سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٨٩ – من الأدب الباكستانى المعاصر	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٩٠ – الأرشيفات والمدن الكبرى	نخبة	ت : عثمان مصطفى عثمان
٣٩١ – الحافلة الليلكية	مايف بينشى	ت : منى الدروبى
٣٩٢ – مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانخا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٣٩٣ – فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	ت : نخبة
٣٩٤ – القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	ت : هاشم أحمد محمد
٣٩٥ – آلام سياوش	إسماعيل فصيح	ت : سليم حمدان
٣٩٦ – السافاك	تقى نجارى راد	ت :محمود سلامة علاوى
٣٩٧ – نيتشه	لورانس جين	ت :إمام عبد الفتاح إمام
٣٩٨ – سارتر	فيليب تودى	ت :إمام عبد الفتاح إمام
٣٩٩ – كامى	ديفيد ميروفتس	ت :إمام عبد الفتاح إمام
٤٠٠ – مومو	مشيائيل إنده	ت : باهر الجوهرى
٤٠١ – الرياضيات	زيادون ساردر	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٠٢ – هوكنج	ج . ب . ماك ايفوى	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٠٣ – ربة المطر والملابس تصنع الناس	تودور شتورم	ت : عماد حسن بكر
٤٠٤ – تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ت : ظبية خميس
٤٠٥ – إيزابيل	أندريه جيد	ت : حمادة إبراهيم
٤٠٦ – المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	ت : جمال أحمد عبد الرحمن

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٩٠٥٢ / ٢٠٠٢

ARABISTAS ESPAÑOLES DEL SIGLO XIX

MANUELA MANZANARES

يعالج هذا الكتاب مسيرة الاستعراب الإسبانى منذ بدايتها وحتى السنوات الأولى من القرن العشرين، ويركز الاهتمام على الجهود التى بذلها مستعربو القرن التاسع عشر على وجه التحديد.

والكتاب يلقى الضوء على قضية الأدب الذى كتبه مسلمو الأندلس بعد سقوط دولتهم فى غرناطة، ويتعرض لجذور المناقشة التى لا تزال دائرة حتى اليوم: هل كانت الثقافة العربية الإسلامية مفيدة لإسبانيا (كما يرى أميريكو كاسترو) أم هى التى أدت إلى تخلفها عن بقية دول أوربا (كما يرى سانشيث البورنوث)؟

لقد أدت جهود أولئك المستعربين إلى إبراز الجوانب الإيجابية لحضارتنا، وقد انعكس ذلك - دون شك - على صورة المسلم فى الأدب الإسبانى الحديث.

تصميم الغلاف أمين الصيرفى